

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم أصول الدين

العلاقة بين الراوي والمروى

من جهة اختصاص بعض الرواة في موضوعات مخصوصة

إعداد الطالب

محمد سعيد بكر حسن

الرقم الجامعي: ٦٠٧١٦١٤٤٠٠٢

إشراف

الدكتور محمود نادي عبيدات

* قُدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الدكتوراه، في تخصص الحديث الشريف، في جامعة

العلوم الإسلامية العالمية.

عمان في ٢٨/٣/٢٠٢٢م

The world Islamic science & education university

Faculty of graduate studies

Dept of Theology

**The relationship between the carrier and the Hadith speak out
on the competence of some carriers of the modern novel in
specific topics**

Authorship

Mohamed said bakr Hassan

Supervision

Dr. Mahmoud nadee Obeidat

Submitted in partial fulfillment of the requirements of the

degree of doctorate in al Hadith at

The World Islamic science and Education University

Amman

28-3-2012

● ملخص باللغة العربية:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ﷺ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد:

فهذا مشروع رسالة علمية بعنوان: (العلاقة بين الراوي والمروي من جهة اختصاص بعض الرواة في موضوعات مخصوصة)، تقدم به الباحث الطالب: محمد سعيد بكر حسن، في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراة.

وقد هدَفَ الباحث من عنوانه هذا إلى إثبات وتأكيد وجود علاقة مباشرة بين طرفي الحديث الشريف، من جهة رواته من الصحابة الكرام ومن حمل عنهم الرواية، ومن جهة المتن والرواية نفسها، فبعد أن بيّن الباحث معنى الراوي والمروي، ومقصوده بالعلاقة بينهما، قام بتناول طرائق الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، حيث تناول دواعي وأسباب الرواية عند المكثرين والمقلين من الرواة، وقام ببيان ما لدراسة تراجم الرجال ومروياتهم من خلال كتب الرجال والمسانيد من أثر في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، كما عرّج على علم أسباب ورود الحديث الشريف، الذي كان له كبير الأثر في الكشف عن العلاقة بين الرواة وما رَوَوْا من هدي النبي ﷺ .

وكان للباحث وقفة مهمة مع ظاهرة التخصصية في رواية الحديث الشريف، فقد تبين له كيف أن تخصص بعض الرواة في موضوعات محددة ترك أثراً بالغاً في نفس هؤلاء الرواة وحياتهم العامة والخاصة، وكان ذلك قد انعكس على شخصية كل منهم إيجاباً بحكم تفاعلهم المبني على يقينهم بهذه الروايات وصدق راويها النبي الكريم ﷺ.

ثم ختم الباحث رسالته بما يعرف بالتطبيق العلمي لما توصل إليه من حقائق، وذلك من خلال قيامه بعرضٍ واستقراءٍ لنماذجٍ حديثة تُبين ثمرات العلاقة بين الراوي والمروي كما تُبين كيف أن الراوي قد أثر وتأثر بالرواية والحديث.

ولعل من أبرز ما تحقق من نتائج في هذا البحث أن يكشف الباحث عن عظيم الانسجام بين الراوي والمروي، وعن أهمية ظاهرة التخصص في الرواية عند الرواة، وأن الرواة لم يكونوا مجرد أدوات أو آلاتٍ روايةٍ فقط؛ بل كان لهم دور في فهمها والتعاطي الإيجابي معها، وكانوا الأمناء على أدائها، والمتابعين لاستعمالها في حياتهم حتى أتاهم اليقين.

● ملخص باللغة الانجليزية:

Praise be to Allah, and peace and blessings be upon our master Muhammad al-Amin peace be upon him, and his family and his companions is followed until the day of judgment and after:

This is a draft of a thesis entitled: **(The relationship between the carrier and the Hadith speak out on the competence of some carriers of the modern novel in specific topics)**

made by the student researcher: Muhammad Saeed Hassan Bakr, in the International Islamic University of Science, to complement the requirements for obtaining a doctorate.

The aim of the researcher from the title of this to prove and confirm the existence of a direct relationship between the parties to the Hadith, on the narrators of his noble Companions, and carry them novel, and on the Metn and the novel itself, after the researcher the meaning of the narrator and narrated, and meant by the relationship between them, the handling methods of detection about the relationship between narrator and narrated, dealing with reasons and the reasons for the novel when Almktherin and Almkulain of narrators, and the statement is to study the biographies of men and the reports make through the books of men and the Musnad of impact in the detection of the relationship between narrator and narrated, as he stopped on the etiology and Rhode Hadith, who was has a large impact on the disclosure of the relationship between the narrators and told of the Prophet peace be upon him.

The researcher pause the task with the phenomenon of specialization in the novel the Hadith, it has been shown him how to allocate some of the narrators in specific topics to leave a significant impact in these same narrators and their public and private, and it was reflected on the character of each of them positively by virtue of their interaction based on the certainty of these novels Rawiha and sincerity of the Holy Prophet peace be upon him.

Then researcher concluded his letter with what is known as the application of scientific findings of facts, and through his

presentation and extrapolation models Hadith showing the fruits of the relationship between narrator and narrated as show how the narrator has affected and influenced by the novel and modern.

Perhaps the most important results achieved in this research that reveals the researcher for a great harmony between the narrator and narrated, and that the narrators were not mere tools or machines novel only; but have had a role to understand and deal positively with them, and they were the trustees of their performance, and observers for use in their lives even overtook them certainty.

بسم الله الرحمن الرحيم

● المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:
فإن الحديث الشريف بمكوّنَيْهِ؛ الإسناد والمتن، يحتاج من الدارسين إلى مزيدٍ من الجهد لتحقيق عظيم الفائدة منه. يقول علي بن المديني رحمه الله: "التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم". ويظهر للباحث ما في عبارة ابن المديني رحمه الله تعالى من فهمٍ مبكّرٍ لقيمة الرجال الذين حملوا المرويات، حتى إنه جعل منهم أو من جهدهم واستبانة طرائقهم والبحث في خطواتهم نصف العلم، الذي يوازي في قيمته ما يحملون من روايات كريمة عن النبي ﷺ، هي نصف العلم الثاني.

وقد أخذ بعض العلماء على عاتقهم دراسة أبوابٍ تتعلق في الإسناد تحديداً كعلم الجرح والتعديل وأسباب قبول الرواية أو ردّها بناءً على علومٍ مخصوصة تتعلق بالإسناد وغير ذلك، كما قام بعض العلماء بدراسة أحوال المتن وما يخضه من موضوعاتٍ هي في الغالب تبحث في فقه الحديث، ودراسته دراسة تحليلية لاستنباط الحُكْم والأحكام والفوائد وغيرها، فأبدع هؤلاء وأولئك وخدموا حديث النبي ﷺ أيما خدمة، وكان لابد من دراسةٍ تجمع بين الإسناد والمتن، وتؤسس للكشف عن ثمرات العلاقة بين الراوي والمروي من جهة اختصاص بعض الرواة في موضوعاتٍ مخصوصة.

ولهذا كانت هذه الدراسة التي تبين علاقة الراوي بالمروي في هذا الجانب الذي يحتاج إلى كشف وتحليل ودراسة.

عامٌ كامل عاشه الباحث بين فنون الرواية والدراية، تناول فيه كثيراً من علوم الحديث وأنواعه، وناقش جملة من المسائل بغية تأكيد الانسجام والتوافق بين الراوي والمروي، حتى تحصّل على شيءٍ مما طلب خدمةً للسنة النبوية الكريمة.

هذا جهد المُقَلُّ يُقدِّمه الباحث في مشروع رسالته هذه، وهو يسأل الله تعالى أن تكون قد أسهمت في خدمة سُنَّة نبينا محمد ﷺ، فإنْ كان في الرسالة من خير فمن الله تعالى الموفق والهادي إلى سواء السبيل، ثم بفضل الأساتذة والعلماء الذين قدّموا للباحث النصح والإرشاد، وأخصُّ من هؤلاء، المشرف فضيلة الدكتور محمود نادي عبيدات - حفظه الله - الذي أوسع للباحث صدره وبيته، وقَدَّم له عصارة علمه وتجربته، فجزاه الله تعالى عن الإسلام والمسلمين كل خير، ثم الشكر للجنة المناقشة لهذه الرسالة، وهم السادة الأساتذة والعلماء:

١. الأستاذ الدكتور زياد أبو حماد.

٢. الأستاذ الدكتور محمد عيد الصاحب.

٣. الأستاذ الدكتور زهير عثمان.

وإذ أنسى من شكري فلن أنسى جامعتي الحبيبة جامعة العلوم الإسلامية العالمية ورئيسها الأكرم الأستاذ الدكتور عبد الناصر أبو البصل، وعميد كليتنا الأستاذ الدكتور زياد أبو حماد حفظهم الله ورعاهم. والله نسأل أن يغفر وأن يتجاوز عما فيها من خلل وعلل، كما لا ينسى الباحث أن يهدي ثوابها إلى الحبيب المصطفى ﷺ، ثم إلى والديه الكريمين، وإلى زوجته وأولاده والبنين، والله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

● مشكلة الدراسة:

تتمثل مشكلة البحث ببيان علاقة الراوي بالمروي من جهة اختصاص بعض الرواة بموضوعات خاصة، وسوف تجيب هذه الدراسة عن الأسئلة الآتية:

١. ما حدود العلاقة بين الراوي والمروي، وهل تقف عند كون الراوي ناقلاً لما روى فقط؟.

٢. هل اختص بعض الرواة برواية موضوعات خاصة؟

٣. هل عرف الصحابة والتابعون التخصص في الرواية؟

٤. ما أسباب نشوء ظاهرة التخصص في الرواية وما صور ذلك التخصص؟.

٥. ما فوائد وثمار ظاهرة التخصص في الرواية؟

● أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة بعدة أمور محددة منها:

١. التأكد من وجود ظاهرة التخصص في الرواية، ومحاولة إثباتها في عصور الرواية الأولى.

٢. اكتشاف ما لظاهرة التخصص في الرواية من أثر على المكتبة الحديثية، وما لها من دور في إثراء العلوم الأخرى كذلك.

٣. التمهيد لبناء قاعدة للدراسات الموضوعية للسنة النبوية، مما يعين الباحثين لها على إجراء الدراسات الفقهية والفكرية التي تنطلق من السنة النبوية المرتبة بشكل موضوعي ومتخصص.

● أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة بالآتي:

١. بيان علاقة الراوي بالمروي من جهة اختصاص بعضهم بموضوعات معينة.
٢. تحديد مفهوم الاختصاص في الرواية وبيان ما لهذا المفهوم من صور وأشكال.
٣. تتبع عصور الرواية للكشف عن وجود ظاهرة الاختصاص لدى بعض الرواة واهتمامهم برواية موضوعات مخصوصة.
٤. بيان أسباب نشوء ظاهرة الاختصاص في الرواية لدى الرواة.
٥. الكشف عن ثمرات اختصاص الرواة بالموضوعات المخصوصة.

● الدراسات السابقة:

لم يجد الباحث من الدراسات السابقة ما يطابق واقع دراسته التي اختارها، وإن كان هنالك من الدراسات التي تقترب في حالها من فصول ومباحث هذه الدراسة ومن تلك الدراسات:

١. "أسباب ورود الحديث ضوابط ومعايير" لمحمد عصري زين العابدين.

٢. الحديث الموضوعي "دراسة تأصيلية تطبيقية" للدكتور خالد محمد الشрман.

٣. "المغازي والسير علماؤها وطبقاتهم" للدكتور حاكم المطيري.

٤. "أحاديث حذيفة في الفتن" لعبد الباسط يوسف الغريب.

٥. "أمهات المؤمنين في مدرسة النبوة" مصطفى الطحان.

٦. المصنفات المختلفة التي تناولت الرواية ضمن الموضوعات المخصصة عموماً

● تحديات الدراسة:

واجه الباحث في أثناء دراسته تحديات عديدة، ومن هذه التحديات:

١. شح الدراسات المتخصصة في الموضوع ذاته، وإن كان هذا مما يميز دراسة الباحث، وقد اعتمد الباحث على الاستقراء والمُعانية لاسيما في كتب المسانيد والجوامع في أثناء دراسته، لتجاوز هذه المشكلة.

٢. عدم التصريح من قبل الرواة أنفسهم بأنهم تخصصوا في موضوع كذا وكذا، وعدم تصريح من جاء بعدهم ممن أخرجوا لنا الحديث الشريف بمسألة التخصص هذه، ما جعل الباحث يعتمد على الجمع الموضوعي للراوي الواحد حتى يغلب على ظنه أنه صار لدى هذا الراوي أو ذاك تخصص أو ميل في موضوع كذا وكذا تحديداً.

• منهجية الباحث في الدراسة:

قام الباحث بتقديم يبيّن أهداف دراسته ومشكلاتها، ثم تناول مباحثها وفصولها معتمداً على الاستقراء والنظر وجمع الشواهد الموصلة إلى ما وصل إليه من نتائج أظهرت بما لا يدع مجالاً للشك في وجود علاقات مباشرة بين الراوي والمروي، وقد تصل هذه العلاقة بين الراوي والمروي لأن تكون علاقة وجود وعدم، فالراوي هو مُخَرِّج الرواية نعم، وهو أحياناً يكون جزءاً منها لاسيما عند الروايات التي اشتملت على الحوار والسؤال، أو تلك الروايات التي وصفت فِعَلَ رسول الله ﷺ أو صفاته الخَلْقِيَّة والخُلُقِيَّة، فلولا فضل الله ثم جهود الصحابة الكرام ما عُرفت السُّنة ابتداءً ولا نُقلت إلينا بعد ذلك ثمّة عبر التابعين وتابعيهم، وهذا ما يؤكد أن خير وسيلة وطريقة لاكتشاف العلاقة بين الراوي والمروي هي الاستقراء والمعابنة، هذا وقد حرص الباحث في أثناء دراسته على لزوم المنهجية العلمية المعتادة عند البحث العلمي، والتي من معالمها:

- ١.نسبة الأقوال والآراء إلى أصحابها، وتخريج الأحاديث والآيات وعزوها إلى مظانها.
- ٢.الرجوع إلى المصادر الأصيلة في البحث مع الانتفاع بالمراجع المتأخرة لما فيها من فائدة .
- ٣.محاولة الاقتصار في الاستشهاد على الأحاديث الصحيحة المروية في الصحيحين قَدْرَ الإمكان.
- ٤.التعريف ببعض الرجال ممن وجد الباحث أن للتعريف بهم فائدةً تمسُّ أصل البحث.
- ٥.تشكيل الكلمات والعبارات الموهمة .
- ٦.تفريع المسائل المنتمية لموضوع الرسالة بشكل مباشر وتجزأتها والتفصيل بها في حدود الخطة المتاحة.

• ومن أهم المناهج التي استخدمها الباحث:

أ. المنهج التحليلي: من خلال الوقوف على النصوص وتحليلها لإيجاد العلاقة بينها وبين روايتها لاسيما عند الحديث عن أسباب ورود الروايات ودواعي روايتها.

ب. منهج الاستقراء وجمع الشواهد وتحليلها للوصول إلى الحقائق المنشودة وتحقيق الأهداف المرجوة من البحث.

ء. منهج التمثيل المختصر للحقائق والنظريات الواردة في البحث، دون إطناب ولا زيادة، والحرص على الاختصار خصوصاً في الموضوعات الجانبية التي يمكن للبحث أن ينهض بدونها.

● حدود الدراسة:

ستقتصر الدراسة على بيان العلاقة بين الراوي والمروي في جانب اختصاص بعض الرواة ببعض المرويّات على القرون الثلاثة الأولى، كما ستدور الدراسة في دائرة الحديث الصحيح الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم قدر المستطاع، وإلا ففي الصحيح والحسن مما جاء في كتب الرواية الأخرى.

- خطة الدراسة:

تم تقسيم الدراسة إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وتفصيل ذلك على النحو الآتي:

- المقدمة:

وتشتمل على مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث، وحدود الدراسة، وتقسيماتها.

- التمهيد : وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المفاهيم الأساسية:

أولاً: المعنى اللغوي لكُلِّ من الراوي والمروي.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي لكُلِّ من الراوي والمروي.

ثالثاً: مفهوم الاختصاص في الرواية.

المطلب الثاني: طرائق الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي.

المطلب الثالث: أسباب وجود ظاهرة الاختصاص في الرواية.

● الفصل الأول: اختصاص بعض الرواة من الصحابة بالرواية في موضوعات مخصوصة:

المبحث الأول: اختصاص أمهات المؤمنين بالأحاديث التي تبرز الحياة الخاصة للرسول صلى الله عليه وسلم (حياته الشخصية في بيوته).

المبحث الثاني: اختصاص عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في أحاديث الصيد.

المبحث الثالث: اختصاص أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه في أحاديث الأئمة والصيد.

المبحث الرابع: اختصاص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في أحاديث الفتن.

● الفصل الثاني: اختصاص بعض الرواة من التابعين بالرواية في موضوعات مخصوصة:

المبحث الأول: اختصاص بعض أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنه برواية أحاديث التفسير عنه.

المبحث الثاني: اختصاص بعض التابعين بالرواية في موضوع المغازي والسير.

● الفصل الثالث: ظاهرة الاختصاص في الرواية وشيوعها في المصنفات الخاصة:

المبحث الأول: مصنفات في موضوع الجهاد.

المبحث الثاني: مصنفات في موضوع الفتن والملاحم.

المبحث الثالث: مصنفات في موضوع الدعاء وعمل اليوم والليلة والذكر.

المبحث الرابع: مصنفات في موضوع الإيمان والاعتقاد.

المبحث الخامس: مصنفات في موضوع الفضائل.

المبحث السادس: مصنفات في موضوع الأحكام.

المبحث السابع: مصنفات في موضوع الأدب.

المبحث الثامن: مصنفات في موضوع الزهد.

الفصل الرابع: الثمرات العلمية التي تركتها الرواية في الموضوعات المخصصة.

المبحث الأول: علاقة الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بمسألة ضبط الرواة.

المبحث الثاني: علاقة الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بالعلوم المختلفة.

● **الخاتمة:** وتشتمل على نتائج البحث والتوصيات.

العلاقة بين الراوي والمروي

من جهة اختصاص بعض الرواة في موضوعات مخصوصة.

● التمهيد : وفيه ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: المفاهيم الأساسية:

أولاً: المعنى اللغوي لكلاً من الراوي والمروي.

ثانياً: المعنى الاصطلاحي لكلاً من الراوي والمروي.

ثالثاً: مفهوم الاختصاص في الرواية.

المطلب الثاني: طرائق الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي.

المطلب الثالث: أسباب وجود ظاهرة الاختصاص في الرواية.

● التمهيد:

● المطلب الأول: المفاهيم الأساسية:

قبل الحديث عن العلاقة بين الراوي والمروي بشكل تفصيلي لابد أن نقف على مفهوم: الراوي، ومفهوم: المروي، ومفهوم الاختصاص في أصل لغة العرب، وفيما جرى عليه اصطلاح علماء التخصص، وهم أهل الرواية والدراية.

● أولاً: المعنى اللغوي لكُلِّ من الراوي والمروي.

١. المعنى اللغوي للراوي:

تباينَ أهل اللغة في تحديد معنى كلمة: الراوي، ومن ذلك قولهم بأن الراوي هو: "مَنْ يقوم على الخيل"^١. وقال آخرون: أصلُ الراوي مِنْ: روى، وروى لهم: أتاهم بالماء، وروى القوم: استقى لهم، ورويْتُ في الأمر: نظرتُ وفكرتُ^٢.

وفي المعنى اللغوي لكلمة الراوي عند قولهم: "نظرتُ وتفكرتُ" ما يوحي ابتداءً بأن الراوي هو الذي يُعطي مما يملك عن وعي وبصيرة، وهذه إشارة ابتدائية لطيفة تشي بعمق العلاقة بين الراوي والمروي، وأن الراوي ليس مجرد ناقل للرواية، وإن كان هذا هو أصل عمله، فقد جاء عن رسول الله ﷺ ما يوحي بأن النقل للرواية هدفٌ بحدِّ ذاته، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (نَضَرَ اللهُ امرءاً سمع منَّا حديثاً فبلَّغَهُ كما سمعَهُ، فَرُبَّ مبلِّغٍ أوعى من سامع)^٣.

^١ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط دار إحياء التراث بيروت، ط ١٩٩٥م، ج ٥، ص ٣٨٣.

^٢ الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط مؤسسة الرسالة، ط ٣، ١٩٩٣م، ص ١٦٦٥.

^٣ ابن حبان، أبو حاتم محمد، صحيح ابن حبان، كتاب العلم، حديث (٦٤)، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، ورواه، الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الحث على سماع العلم، ح ٢٦٥٧، وقال الترمذي: حسن صحيح.

٢. المعنى اللغوي للمرروي:

لم يجد الباحث في معاجم اللغة مَنْ تناول مفهوم المرروي زيادة على ما وقع له من كلام في المعجم الوسيط، حيث قيل: بأن المرروي: "هو من الماء العذب، والكثير"^١

• ثانياً: المعنى الاصطلاحي لكُلِّ من الرَّاوي والمَرروي .

١. المعنى الاصطلاحي للراوي:

يُعرّف الرامهرمزي الراوي بأنه: "الناقل للحديث، المُعتني به، الذي تحمّله عن شيوخه بأحد طرق التحمّل، وتعلّم منهم، ثم أداه إلى تلامذته، وعلمه لهم بإسناده الذي تحمّله به"^٢.

ويتناول أبو البقاء الكفوي شيئاً من العلاقة بين الرواية (المرروي) والراوي، مبيناً ثبات حكم الرواية ولو تغيّر الراوي أو الآخذ لها فيقول: "الرواية يعمُّ حكمها الراوي وغيره على مرّ الأزمان"^٣

هذا ويحاول الرامهرمزي الجمع بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي للراوي فيقول: "الأصل في الراوي أنه الذي ينقل الماء لمن يشربه فيزيل عطشه، وشبّه به راوي الحديث لأنه يأتي الناس بريّهم من الآثار والأخبار"^٤.

وفي هذا الجمع المتقدم للرامهرمزي رحمه الله ما يُظهر بوضوح تام عمق العلاقة بين الراوي والمرروي، إذ يُدرك الراوي تماماً حاجة الناس للمرروي فيأتيهم به عذباً زلالاً دون نقص ولا تعكير قدر استطاعته.

^١ إبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبد القادر، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية، ج ١، ص ٧٩٩.

^٢ الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٣ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٩٩٣، ص ٤٧٩.

^٤ الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢. المعنى الاصطلاحي للمروي:

عرّف أهل الدراية، المروي تعريفاً محدداً فهو بحسب ابن حجر رحمه الله يعني: الممتن نفسه.

والمتن كما ذكر السيوطي في التدريب: هو "ما ينتهي إليه السند من الكلام"^١

وهناك عدة أمور ترتبط بتحديد مفهوم الراوي والمروي لا بد من الوقوف عليها لما فيها من إضافة تخدم دراستنا للعلاقة بين الراوي والمروي، وهذه الأمور هي:

١. يرتبط المعنى الاصطلاحي للراوي والمروي بعصر الرواية الأول؛ فإذا كان عصر الرواية قد امتدّ حتى نهاية القرن الخامس الهجري أو بعده فهذا يعني أن الراوي هو كل من تحمّل الرواية وأداها من بداية النطق بها على لسان محمد ﷺ حتى نهاية القرن الخامس الهجري أو بعده.

٢. يُعنى علم المصطلح بدراسة القوانين والأحوال المتعلقة بالراوي والمروي أو بالسند والمتمن كما يطلق عليها بعض العلماء.

وهذا ما يجعلنا نقف على مفهوم مصطلح الحديث من جهة؟، ومفهوم السند والمتمن من جهة أخرى، وقفة سريعة تخدم دراستنا - بعون الله تعالى -:

فقد عرّف الشيخ عز الدين بن جماعة (ت: ٧٣٣هـ) علم الحديث أو المصطلح بقوله:

"هو علم بقوانين يُعرّفُ بها أحوال السند والمتمن".

بينما عرّفه شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر (ت: ٨٥٢هـ) بقوله:

أولى التعريفات بأن يقال: "معرفة القواعد المُعرّفة بحال الراوي والمروي"^٢

^١السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٦م، ج ١، ص ٦.

^٢ السابق، ج ١، ص ٨.

والملاحظة هنا في تناول ابن حجر لمصطلحي الراوي والمروي بدلاً من مصطلحي السند والمتن، والذي لا ندري هل قصد بذلك ابن حجر التفريق في المعنى بين مصطلحي الراوي والمروي ومصطلحي السند والمتن أم أنه أراد التأكيد على أنهما يحملان المعنى نفسه؟، ولدى النظر في حاشية كتاب: منهج النقد في علوم الحديث، للدكتور عتر، وجد الباحث بأن الدكتور عتر يقول في التفريق بين المعنيين فتراه يقول: "قوله (يعني قول ابن جماعة): أحوال السند والمتن، أدقُّ من قولهم: أحوال الراوي والمروي، وإن اختاره الحافظ ابن حجر، لأن معرفة حال السند تستلزم معرفة حال كلٍّ من رواته، لكن معرفة حال الراوي لا تستلزم معرفة حال السند من جميع الوجوه كالشذوذ والإعلال".¹

وإن كان فيما قاله الدكتور عتر حفظه الله وجهة في التفريق بين مصطلحي السند والمتن من جهة ومصطلحي الراوي والمروي من جهة أخرى، فإن هذا لا يمنع من أن أتأوّل للإمام ابن حجر ذكْرَهُ لمصطلحي الراوي والمروي دون السند والمتن في التعريف بأن المقصود بالراوي جُملة الرواة، وهم رجال السند كلهم وحال الرواية بينهم، والمروي إنما يُقصد به أصل المتن، أو ما ينتهي إليه السند من الكلام.

● أما تركيب جملة: (العلاقة بين الراوي والمروي)، فيقصد الباحث به:

أوجه الالتقاء، ومجالات التأثير المتبادل بين متون الأحاديث المروية عن النبي ﷺ، ورواتها الذين هم رجال الإسناد، من عهد الصحابة الكرام إلى الذين أخذوا عنهم تبعاً في عصور الرواية المتعاقبة.

¹عتر، د. نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، مرجع سابق، ص ٣٢.

● ثالثاً: مفهوم الاختصاص في الرواية:

١. الاختصاص في اللغة:

قال ابن منظور: " خصص: خصه بالشيء يخصه خصاً وخصوصاً وخصوصية، وخصوصية، والفتح أفصح، وخصمه واختصه أفرد به دون غيره، ويقال: فلان اختص بالأمر وتخصص له إذا انفرد، وخص غيره واختصه ببه، ويقال: فلان مخصّ بفلان أي خاص به وله به خصية"^١.
وبالتالي فإن أصل الاختصاص الانفراد بالشيء، والتميز به.

٢. الاختصاص في الرواية اصطلاحاً:

ليس هناك ما يحدد أصل الاختصاص في الرواية عند علماء الحديث، وإن كان يذهب الذهن عند تناول هذا المصطلح الى ما يسمى بقريظة الاختصاص كمرجح من مرجحات قبول الرواية أو رفضها، وقريظة الاختصاص هنا هي التي تعني اختصاص الرواة برواية أحاديث شيوخ مخصوصين، وهي من أهم القرائن التي بُني عليها علم العلل في التّرجيح بين الرّواة المختلفين على شيوخهم المكثّرين.
وقد اهتم علماء الحديث وعلله بمعرفة طبقات الحفّاظ ومراتب أصحابهم، فقسّم ابن المدينيّ والنّسائيّ^٢ أصحاب نافع تسع طبقات مع اختلافهما في ذكر رواة كل طبقة.
كما قسم النّسائيّ أصحاب الأعمش سبع طبقات^٣.
وهذا الاختصاص يعود إلى عدّة قرائن، منها قوة الحفظ أو الكتابة أو طول الملازمة وقِدَمِهَا، أو قرابة الرّأوي، ونحو ذلك من الأسباب الكثيرة.
والاهتمام بهذه القريظة ومعرفة طبقات أصحاب الحفّاظ ومنازلهم من شيوخهم، ومراتبهم بين بعض، يعطي المرء قوّة وملكة في تحليل الحديث والتّرجيح عند الاختلاف، دون كثير عناء أو جهد، قد يبذله من جهل ذلك.

^١ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، مرجع سابق، ج٤، ص١٠٩.

^٢ ابن سعد، محمد بن سعد البغدادي، الطبقات، دار المعارف، ط ١٩٩٩م، ج٢، ص٥٣.

^٣ السابق، ص٧٨.

ويستخدم علماء الحديث هذه القرينة بقولهم - مثلاً - : فلان أثبت، أو أحفظ فيه، أو كان يعرض، أو كان يكتب، أو لازمه كثيراً، ونحو ذلك مما يدل على التَّمييز عن غيره في شيء يقتضي تقديمه عند الاختلاف.

قال ابن القيم في تقرير قاعدة هذه القرينة: " ولا تنافي بين قول من ضَعَفه وقول من وثَّقَه، لأنَّ من وثَّقَه جمع بين توثيقه في غير الزُّهري وتضعيفه فيه، وهذه مسألة غير مسألة تعارض الجرح والتَّعديل، بل يظنُّ قاصر العلم أنها هي، فيعارض قول من جَرَّحَه بقول من عدَّله، وإمَّا هذه مسألة أخرى غيرها وهي الاحتجاج بالرجل فيما رواه عن بعض الشُّيوخ وترك الاحتجاج به بعينه فيما رواه عن آخر، وهذا كإسماعيل بن عيَّاش، فإنه عند أُمَّة هذا الشَّأن حَجَّة في الشَّاميين أهل بلده وغير حَجَّة فيما رواه عن الحجازيين والعراقيين وغير أهل بلده.

ومثل هذا تضعيف من ضَعَف قبيصة في سفيان الثَّوريِّ واحتجَّ به في غيره كما فعل أبو عبد الرحمن النَّسائي.

وهذه طريقة الحذاق من أصحاب الحديث أطباء علله يحتجُّون بحديث الشَّخص عمن هو معروف بالرواية عنه وبحفظ حديثه وإتقانه وملازمته له واعتنائه بحديثه ومتابعة غيره له ويتركون حديثه نفسه عمَّن ليس هو معه بهذه المنزلة^١

ومن الأمثلة عليها قول ابن معين: " حماد بن سلمة أعرف بعلي بن زيد من حماد ابن زيد "

وقال أبو حاتم: " المسعودي أفهم بحديث عون "^٢

ويدخل في هذه القرينة من سمع من الراوي قبل الاختلاط، فيرجح جانبه لاختصاصه بالسماع منه قبل غيره، وقد تفرد هذه القرينة.

ومن أمثلته قول أبي حاتم: " إسرائيل أقدم سماعاً من زهير في أبي إسحاق "^٣

^١ ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفروسية، دار المعرفة، ط ١، ص ٥٤.

^٢ ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، العلل ومعرفة الرجال، دار المعرفة، ط ١، ١٤٠٥هـ، ج ٢، ص ١٠٤.

^٣ السابق، ج ٢، ص ٢٠٠.

وعلى الرغم مما ذكرتُ من المعنى المتبادر بالنسبة لقرينة الاختصاص هنا إلا أنني سأتناول معنى آخر من معاني الاختصاص في الرواية وأعني به هنا:

اعتناء الرواة برواية موضوعات مخصوصة، واهتمامهم بالرواية ضمن أبواب محددة، ليتأكد من خلال ذلك عمق علاقة الراوي بالمرروي تحديداً، لا عمق علاقة الراوي بشيخه كما هو معلوم عند علماء العلل والجرح والتعديل.

والاختصاص هنا لا ينفي الاهتمام من قبل الرواة بمختلف الموضوعات، بمعنى أن اختصاص الراوي وعنايته بمرويات الجهاد مثلاً لا ينفي عنه اعتناؤه واختصاصه بالرواية في موضوعات أخرى، وإن من أكثر ما يتم تمييز ظاهرة الاختصاص لدى الرواة ما يأتي:

١. شهرة الراوي بالرواية في موضوع مخصوص كشهرة الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في الرواية لأحاديث الفتن ومثل ذلك شهرة الإمام الزهري في الرواية لأحاديث موضوع المغازي مثلاً.
٢. كثرة عدد مرويات الراوي في الرواية ضمن موضوع محدد وذلك يعرف بالاستقراء لجملة ما روى في كتب السنن والجوامع والمسانيد، وسيأتي بيان ذلك عند متابعة ما روت أمهات المؤمنين من أحاديث يحكين فيها خبر الحياة الخاصة للنبي ﷺ داخل بيته.

● المطلب الثاني: طرائق الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي:

يعد الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي من أكبر أدوات الكشف على ظاهرة التخصص في الرواية، ومن

أبرز وسائل الكشف عن هذه العلاقة ما يأتي:

أولاً: دراسة دواعي وأسباب الرواية.

ثانياً: دراسة تراجم ومرويات الرجال من خلال كتب الرجال وكتب المسانيد.

ثالثاً: دراسة أسباب ورود الحديث الشريف.

أولاً: دراسة دواعي وأسباب الرواية.

من أبرز دواعي وأسباب الرواية لدى رواة الإسلام ما يأتي:

١. وجود الطلاب السائلين:

فقد ذكر الإمام الذهبي: "أن أبا هريرة رضي الله عنه أخذ عنه ٨٠٠ من التابعين".^١

وإن لكثرة السائلين أثراً في جعل المجال أرحب وأوسع لأداء الحديث النبوي، وإنما يتقرر العلم إذا توفرت

فرصة أكبر لأن يتكرر بكثرة عرضه وروايته، وهذا مما أكد العلاقة بين الراوي والمروي.

٢. أن بعض الصحابة جعلوا من الحديث الشريف مرجعاً أصيلاً لكل شؤونه، فصار الحديث الشريف جزءاً

من حياته رضي الله عنه:

فعن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (منعت العراق درهمها وقفيها، ومنعت

الشام مديها ودينارها، ومنعت مصر إردبها^٢ ودينارها، وعُدتُم من حيث بدأتُم، وعُدتُم من حيث بدأتُم،

وعُدتُم من حيث بدأتُم، شهد على ذلك لحم أبي هريرة ودمه).^٣

^١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٧٩.

^٢ القفيز: مكيال يتواضع الناس عليه، وهو عند أهل العراق ثمانية مكاكيك، وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، ط دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٧م، ج ٣، ص ٥٧.

^٣ الإردب: هو مكيال لهم يسع أربعة وعشرين صاعاً والهمزة فيه زائدة، وانظر: ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٠.

^٤ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، ط ١، ٢٠٠١م، كتاب الفتن، باب اقتراب الفتن، ح ٢٨٩٦.

ومعلوم لدى الفقهاء والمحدثين أنه كلما كانت علاقة الراوي بالمرروي أقرب، كانت روايته أدق وأصوب، قال الآمدي (ت ٦٣١هـ): "أن يكون راوي أحد الخبرين مباشراً لما رواه، والآخر غير مباشر، فرواية المباشر أولى، لكونه أعرف بما روى"^١.

وفي رواية أخرى يُعبر فيها أبو هريرة رضي الله عنه عن مدى الانسجام بينه وبين الروايات النبوية الشريفة فيقول: "إني كنت امرأة مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني"^٢

٣. الحاجة إلى وصف أحوال دقيقة من جوانب التشريع في حياة النبي ﷺ:

ولا عجب إن كانت معظم أحاديث كتاب الغسل وكتاب الحيض في صحيح الإمام البخاري من مرويات عائشة رضي الله عنها، تقول آمال قرداش: "تميزت عائشة رضي الله عنها بروايتها لأحاديث الأحكام، ونقلت أحكام النساء الخاصة بهن، ولم يُضارِعها في ذلك أحد"^٣.

وهذا ما يعني ويؤكد ظاهرة الاختصاص في الرواية لدى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على الرغم من كونها من المكثرات للرواية وليس من المقلات لها.

ومثال ذلك، ما روت رضي الله عنها (أن النبي ﷺ كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يدخل أصابعه في الماء فيخلل بها أصول شعره، ثم يصب على رأسه ثلاث غُرْفٍ بيديه، ثم يفيض على جلده كله)^٤.

^١ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الإحكام في أصول الأحكام، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٦٤.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب كيف كان عيش النبي ﷺ، ح ١١٨.

^٣ قرداش، آمال، دور المرأة في خدمة الحديث الشريف في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، العدد ٧٠، ط ١، ١٤٢٠هـ منشورات وزارة الأوقاف

القطرية، ص ٦١ .

^٤ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الغسل، باب الوضوء قبل الغسل، ح ٢٤٨.

ويظهر في الحديث مدى قُرب الراوي (عائشة) من صاحب الرواية (النبي محمد ﷺ)، ونتيجة لذلك قُربها رضي الله عنها من الرواية، لدرجة أنها تصفُ فعل النبي ﷺ وصفاً قريباً ودقيقاً (أصول شعره)، ومُفصلاً (ثم يصب... ثم يفيض).

٤. دفعُ شبهاتٍ تمَّ إثارتها، أو الردُّ على تساؤلاتٍ محددة:

فقد كانت عائشة رضي الله عنها تروي الرواية لتدفع عن سُنَّة النبي ﷺ بَعْضَ لَعَطٍ أو خَطَأٍ تراه أو تسمعه، ولا يضيرها وهي الأنثى؛ أن تقف موقفاً علمياً واضحاً أمام فطاحل الرجال، لتسدَّ ثغرة قد لا يسدُّها غيرها بحكم قُربها من رسول الله ﷺ، ومن ذلك: (أنها سُئلت، فذكروا لها قول ابن عمر رضي الله عنهما: ما أحبُّ أن أصبح مُحرماً أنضحُ طيباً، فقالت رضي الله عنها: أنا طيِّبُ رسول الله ﷺ، ثم طاف في نسائه، ثم أصبح مُحرماً)¹.

٥. وجود مشهد خاص وحساس يصعب نسيانه من ذاكرة الراوي:

بمعنى أن الرواية تخصُّ الراويَ فهو يحكيها على سبيل النقل التاريخي، إضافة لكونها دين، فهو يحكي المشهد الحساس بينه وبين الحضرة النبوية الكريمة، فهذه أم المؤمنین صفة رضي الله عنها وهي من المُقلات للرواية، حيث لا تزيد عدد مروياتها على عشرة أحاديث، هي التي روت حديث: (إنها صفة) المشهور.

قالت: (كان رسول الله ﷺ مُعتكفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدَّثته ثم قمتُ فانقلبتُ، فقام معي ليُقلبني، وكان مَسكنها في دار أسامة بن زيد، فمرَّ رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعَا، فقال النبي ﷺ: على رِسلكما، إنها صفة بنت حبي، فقالا: سبحان الله يا رسول الله، قال: إن الشيطانَ يجري من الإنسانِ مجرى الدم، وإني خشيتُ أن يقذفَ في قلوبِكُما سوءاً، أو قال: شيئاً)².

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الغسل، باب من تطيب ثم اغتسل وبقي أثر الطيب، ح ٢٧٠.

² البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب التكبير والتسبيح عند التعجب، ح ٥٨٦٥.

ولا يعني قولنا بأن الراوي يحكي المشهد الخاص مع الرسول ﷺ أنه ليس فيها تشريع ولا حكم ولا أحكام، بل هي هذا وذاك.

ومن المشاهد الخاصة والشخصية في الرواية، ما روى عمر بن أبي سلمة رضي الله عنه وهو من المقلين للرواية، (أنه سأل رسول الله ﷺ: أيقبل الصائم؟ فقال له رسول الله ﷺ " سل هذه " - لأم سلمة، وهي أم عمر السائل رضي الله عنهما- فأخبرته؛ أن رسول الله ﷺ يصنع ذلك، فقال: يا رسول الله! قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال له رسول الله ﷺ: " أما والله، إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له)'.¹

6. في معرض الإجابة على سؤال أو التعليق على حادثة:

فالراوي هنا لا يقصد الرواية قصداً، إنما يأتي بها على سبيل استدعاء الدليل، واستحضار الشاهد، ومثال ذلك: ما روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، وهو من المقلين للرواية حيث بلغت مروياته 60 حديثاً، أنه (مرَّ بشرحبيل بن السمط وهو في مُرَابَطٍ له، وقد شقَّ عليه وعلى أصحابه، قال: ألا أحدثك يا ابن السمط بحديث سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: رباطٌ يومٍ في سبيلِ الله أفضلُ - وربما قال خيرٌ - من صيامِ شَهْرٍ وقيامه، ومن مات فيه وقِيَتْ فتنة القبر، ومُيِّ له عمله إلى يوم القيامة)².

¹ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب من لم يواجه بالعتاب، ح 1108.

² الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، مرجع سابق، كتاب فضائل الجهاد، باب فضل الخدمة في سبيل الله، ح 1665، وفي سنده انقطاع إلا أن له شاهداً عند الإمام مسلم، من رواية سلمان الفارسي رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: "رباط يومٍ وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات؛ جرى عليه عمله الذي كان يعمل، وأُجرى عليه رزقه، وأمن الفتان"، وانظر: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله، ح 1913.

ومن الأحاديث التي أجاب بها بعض الصحابة على سؤالات التابعين، ما روى البخاري عن أبي إسحاق قال: سألتُ زيد بن أرقم رضي الله عنه " وهو من المقلين للرواية (كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة، قلت: كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع عشرة)'.
فهي إجابة مباشرة لسؤال محدد أثبتت واحدة من الإحصائيات التي يمكننا أن نعتمد عليها عند تعدادنا لغزوات النبي ﷺ عدا عن كونها رواية تخص عدد غزوات الصحابي الراوي وحده.

٧. في معرض الحكاية لموقف غريب مع النبي ﷺ:

والغربة في الغالب تُنقَش في الذاكرة ولا تكاد تُنسى، لما تحمله من عنصر المفاجأة أحياناً أو عنصر الجِدَّة في أحيان أخرى، مما يكسر العادة المكررة، فهذا سلمة بن الأكوع رضي الله عنه الذي لا تزيد مروياته على ٧٧ حديثاً، يروي مشهداً غريباً جرى له مع النبي ﷺ، فيقول:

(بايعتُ النبي ﷺ ثم عدلتُ إلى ظلِّ الشجرة، فلما خَفَّ الناس قال ﷺ: يا ابن الأكوع، ألا تبائع؟، قال: قلت: قد بايعتُ يا رسول الله، قال: (وأيضاً)، فبايعته الثانية فقلت له: يا أبا مسلم، على أيِّ شيء كنتم تبائعون يومئذ؟ على الموت)².

ومع الغربة يضاف إلى هذا الحديث عنصر الاعتزاز بالنفس والافتخار، كيف لا، وقد تكررت بيعته لرسول الله ﷺ، فهل بعد هذه الغربة وهذا الافتخار من غربة وافتخار؟!، وكيف ينسى سلمة رضي الله عنه مشهداً كهذا!.

ومن مشاهد الغربة التي أثبتتها المقلون في ذاكرتهم ونقلوها لمن بعدهم ما رُوي عن أبي زيد الأنصاري عمرو بن أخطب رضي الله عنه وهو من المقلين للرواية أنه قال: (صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل، فصلى، ثم

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الصحيح الجامع، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب كم غزا النبي ﷺ، ح ٤٤٧١.
² السابق، كتاب الأحكام، باب من بايع مرتين، ح ٦٧٨٢.

صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل، فصلى، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا^١.

وتبدو الغرابة في هذه الرواية بالنسبة لمن شهدها من الصحابة، وبالنسبة لنا كذلك، ونحن نعلم أن من منهج النبي ﷺ أنه يتخوّل أصحابه في الموعدة، وأنه يقول الكلام الذي إذا أراد العاد أن يعدّه عدّه، فالإطالة تعني الغرابة هنا، ثم إن في خاتمة ما قال هذا الصحابي الجليل وهو يصف فعل النبي ﷺ وقوله هنا أنه قال: فأعلمنا أحفظنا، وفي ذلك إشارة إلى أهمية تحمّل الرواية وحفظها، على الرغم من أنه رضي الله عنه لم يُعطينا التفصيل الدقيق لما قاله النبي ﷺ في خطبته الطويلة هذه.

٨. في معرض الحكاية لموقف على سبيل الافتخار بالقرب من النبي ﷺ:

وغالباً ما يأتي هذا الافتخار في أبواب المناقب والفضائل، ومن ذلك أن أنس بن مالك ﷺ يقول: حدثني أبو بكر الصديق ﷺ قال: (نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلتُ: يا رسول الله! لو أنّ أحدهم نظرَ إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر! ما ظنُّك باثنين، الله ثالثهما)^٢. لقد كان أبو بكر الصديق ﷺ من المقلين للرواية نسبياً، قياساً مع سائر الخلفاء الراشدين، على الرغم من أنه كان الأقرب إلى النبي ﷺ فقد روي له ١٤٢ حديثاً، وقد جاءت رواية أبي بكر ﷺ هذه لوصف موقف اختلطت فيه مشاعر الخوف والرجاء، موقفٍ شهدته أبو بكر ﷺ مع النبي ﷺ {ثَانِي اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} (التوبة: ٤٠)، فكانت الرواية الصادقة الموافقة لما جاء في القرآن الكريم، وكلا الروایتين؛ ما جاء في القرآن أو في السنة يشهد لأبي بكر ﷺ بالخير.

ومما جاء في أحاديث المناقب وذكر في باب الافتخار بالخير ما روى عبد الرحمن بن عوف وهو من الصحابة المُقلين للرواية عن النبي ﷺ على الرغم من كونه من العشرة

^١ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب أعلمنا أحفظنا، ح ٢٨٩٢.

^٢ السابق، كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ، ح ٦١١٩.

المبشرين بالجنة، بل هو الذي روى حديث التبشير بالجنة المعروف، فقد روي عنه رضي الله عنه انه قال: قال ﷺ: (أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزيبر في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد ابن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)¹

٩.رواية الحديث الذي يبدو فيه الإعجاب الظاهر من قبل الراوي لِمَا سمع من الروايات:

فمن قزعة مولى زياد، وهو من التابعين المقلين للرواية أنه قال: (أربع سمعتهن من أبي سعيد يحدث بهن عن رسول الله ﷺ، فأعجبني وأنقني)².

- أن لا تسافر امرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو محرم ،
- ولا صوم يومين: الفطر والأضحى،
- ولا صلاة بعد صلاتين: بعد العصر حتى تغرب الشمس، وبعد الصبح حتى تطلع الشمس،
- و" لا تُشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد الأقصى)³.

فقزعة رحمه الله وهو من التابعين، وقد أعجبه هذا المروري من رسول الله ﷺ عبر أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أراد أن ينقله لغيره ليفيد منه في صورة من صور تأثر الراوي بالمروري.

ولقد وقفت على بحث علمي مُحكَّم للأستاذ الدكتور نزار عبد القادر ريان رحمه الله، وهو الشهيد، بإذن الله، وعنوان هذه الرسالة هو: الدواعي العلمية لرواية الصحابة

¹ أحمد بن حنبل، المستند، ط مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٩م، ح ١٥٤٣، وقال أحمد شاکر: إسناده صحيح، وهو عند: الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح ٣٧٤٧،

² قال القاضي عياض، معنى أنقني: أعجبني، وانظر المنهاج شرح صحيح مسلم، ج ٢، ص ٥٠..
³ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب جزاء الصيد، باب حج النساء، ح ١٨٦٤.

الأحاديث النبوية، وهي من منشورات البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بغزة، وقد وضع الأستاذ الريان ستة دواعٍ لرواية الصحابة للحديث النبوي الشريف ومثّل عليها، وهذه الدواعي التي ذكرها هي¹:

١. نشر العلم وتعليم الناس حديث الرسول ﷺ.

٢. دفع الشبهات وإنكار المنكر.

٣. التثبت من صحة الحديث.

٤. الاستدراك على الرواة.

٥. الرواية تأمُّماً.

٦. إجابة سؤال طالب العلم.

¹ريان، د.نزار عبد القادر، الدواعي العلمية لرواية الصحابة الأحاديث النبوية، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، المجلد التاسع، العدد الأول، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٣٣.

وللدكتور الريان رسالة علمية أخرى بعنوان: الدواعي التربوية لرواية الصحابة الأحاديث النبوية، وهي من إصدارات البحث العلمي في الجامعة الإسلامية بغزة، وقد بحثتُ عنها طويلاً في موقع الجامعة على الانترنت للإفادة منها، فلم أجد إلا صورة غلافها فقط، ولما أكرمني الله تعالى بزيارة غزة مطّلع هذا العام في فوجٍ إغاثةٍ أردني؛ قمتُ بزيارة مخصصةٍ لمكتبة الجامعة الإسلامية هناك، إلا أنني لم أعر على الرسالة، وإن كنتُ أحسبُ أن فيها خيراً عظيماً.

ومناسبة الحديث عن العلاقة بين الراوي والمروي، لا بد من الإشارة هنا إلى أننا وإن حُرمتنا شرف الرواية، لتأخرنا عن عصور الرواية، فإن هذا لا يمنع من أن نتعلم وما نُعلّم من هدي النبي ﷺ، فهذا الأستاذ الدكتور الريان وهو البروفسور في الحديث الشريف بالجامعة الإسلامية في غزة، كان قد كتب رسالة الماجستير حول (أحاديث الشهيد والشهادة)، ثم إن الباحث يحسب أنه قد نال هذه الرتبة - بإذن الله- بعد أن قتلته اليهود أيام الحرب الأخيرة على غزة، وشأنه هذا يشبه كذلك الإمام ابن النحاس الدمشقي الذي كتب (مشارع الأشواق في مصارع العشاق في فضائل الجهاد) وتمنى في مقدمة الكتاب على الله تعالى أن ينال الشهادة، حتى نالها لاحقاً، ولا نزكي على الله أحداً.

ثانياً: دراسة تراجم ومرويات الرجال من خلال كتب الرجال وكتب المسانيد.

١. اكتشاف العلاقة بين الراوي والمروي من خلال كتب الرجال:

يُعدُّ النظر في كتب الرجال من أقرب الطرق للوصول إلى العلاقة بين الراوي والمروي، ذلك أن مصنفِي هذه الكتب كانوا يشيرون إلى حال الرواة مع مروياتهم بشكل مباشر أو غير مباشر فيما سيأتي تفصيله.

وإن كانت المعلومة في الغالب عزيزة وشحيحة في كتب الرجال حول كثير من الرواة، لأن بعض من صنف في كتب الرجال كان يترجم لبعض الرواة تراجم مختصرة، أو تراجم مجتزأة لا تحكي علاقته بالمتن بقدر ما تحكي ما كان عليه من صفات الجرح والتعديل، كما تتناول التراجم أيضاً أقوالاً عامة في بعض الرواة لا ترقى إلى مستوى التفصيل.

إلا أنه على الرغم من ذلك فإنه تبقى الفائدة التي يجنيها الدارسون للعلاقة بين الراوي والمروي من خلال كتب الرجال فائدة مطلوبة ولا تُنكر.

وحتى يتضح لنا المقال فإن الباحث سيعرض لشيء من منهج أحد المصنفين في الرجال وهو الإمام الذهبي (ت: ٧٤٨هـ) في كتابه سير أعلام النبلاء، لما اهتم الامام الذهبي وتوسع في كشف علاقة الرواة بمروياتهم، مُظهراً طريقتة في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، فإلى التفصيل في هذه المسألة:

• منهج الإمام الذهبي^١ في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي:

^١ الإمام الذهبي: (٦٧٣ هـ - ٧٤٨ هـ)، وهو شمس الدين أبو عبد لله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَائِمَاز، التُّرْكُمَانِي الأصل، ثم الدمشقي، المقرئ، الإمام الحافظ، محدِّث العصر وخاتمة الحفَّاظ، ومؤرخ الإسلام، طلب الحديث وله ثماني عشرة سنة، فسمع الكثير، ورحل، وُعني بهذا الشأن، وتعب فيه، وخدمه إلى أن رسخت فيه قدمه، قال السخاوي عنه: إن المحدثين عيال الآن في الرجال وغيرها من فنون الحديث على أربعة: المرزي، والذهبي، والعراقي، وابن حجر،

يُعدُّ الإمام الذهبي من علماء التراجم المعدودين، ممن كان له جهود في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، وذلك بما حوى كتابه السِّيَر من تفصيل وإسهاب أحياناً عند الحديث عن بعض الرواة. ومن خلال تتبُّع ما جمع من تراجم لبعض الرواة خلَّص الباحث بنقاط منهجية تُثبت أن الذهبي رحمه الله كان يقصد الربط بين الراوي والمروي، وإن لم يكن له تنصيب على ذلك، فإلى ما توصل إليه الباحث من منهجية الإمام الذهبي في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي من خلال النقاط الآتية:

١. في وصف الإمام الذهبي للرجل من رجاله بأنه: حافظ متقنٌ، ما يدلُّنا على عمق علاقة هذا الرجل (الراوي) بما يحفظ من (المروي):

ومثال ذلك: عند ترجمته لمحمد بن نصر، يقول فيه:

"محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، الإمام، شيخ الإسلام، أبو عبد الله الحافظ".

ثم ينقل الذهبي عن أبي محمد بن حزم قائلاً: "أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن، وأضبطهم لها، وأذكرهم لمعانيها، وأدراهم بصحتها، وبما أجمع الناس عليه مما اختلفوا فيه، قال: وما نعلم هذه الصفة أتمَّ منها في محمد بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليس لرسول الله ﷺ حديث، ولا لأصحابه إلا وهو عند محمد بن نصر؛ لما أبعَدَ عن الصدق".^١

ومما يُذكر أيضاً في وصف الرجال بالحفظ والإتقان عند الإمام الذهبي، ما جاء في السير من وصف الذهبي لعليِّ ابن المديني رحمه الله، فقد نقل عن النسائي قوله: كأن الله خلق عليَّ بن المديني لهذا الشأن. وقال إبراهيم بن معقل: سمعت البخاري يقول: ما استصغرتُ نفسي عند أحد إلا عند علي بن المديني.

الترجمة من: الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة/ نشر مكتبة الصديق، ط الأولى، ١٩٨٨م، ص ٢٣٠.

^١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٤٠.

وفي تأكيد علاقة الراوي بالمرروي ينقل الذهبي عن الإمام البخاري كلاماً سمعه من شيخه ابن المديني يقول:
التفقه في معاني الحديث نصف العلم، ومعرفة الرجال نصف العلم.

وهذه العبارة التي قيلت على لسان ابن المديني لها عمقها في مسألة العلاقة بين الراوي والمرروي من ناحية أن ابن المديني يلتفت إلى أهمية العناية بالرواية بشكل مبكر من خلال ما عبّر عنه ب(التفقه في معاني الحديث)، ويجعل ذلك نصف العلم وهو جانب الرواية، أما جانب المرروي والذي عبّر عنه ب(معرفة الرجال)، فهو نصف العلم الآخر.

كما ينقل الذهبي كلام أبي حاتم الرازي الذي يقول: كان ابن المديني علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل .

ثم يصف الذهبي ابن المديني بأنه أمير المؤمنين في الحديث، وينقل عن الإمام أحمد بأنه كان لا يسميه، إنما يكتنيه تبيلاً له، وقال: ما سمعتُ أحمدَ سماه قط¹.

٢. في بيان الإمام الذهبي لكثرة رحلات (الراوي) وكثرة شيوخه، طلباً (للمروي) ما يدل على عمق العلاقة كذلك بين الراوي والمرروي:

باعتبار أنه كلما كثرت رحلات الراوي طلباً للحديث تعمقت علاقة هذا الراوي بروايته إذ كيف له أن يُقصر فيها أو أن يُفِرط في تحملها وأدائها وهو قد قطع الفيافي والوهاد من أجل تحصيلها وحيازتها، ولقي في سبيل ذلك العنت والمشقة، وكذلك الحال بالنسبة لمن كان يحرص على تكثير الشيوخ لتأكيد ما عنده من مرويات ولتنويعها وتكثيرها، ما جعل العلاقة بين الراوي والمرروي أكثر عمقاً ورسوخاً من حيث الحفظ والفهم والاستيعاب.

والشواهد على ذلك عنده كثيرة منها:

ما جاء في ترجمة الإمام الذهبي لأبي عمرو بن حمدان، وبعد التعريف به يقول:
"وارتحل به والده الحافظ أبو جعفر إلى العجم، والعراق، والجزيرة، والنواحي، وسمعه الكثير، وطلب هو بنفسه... ثم يقول: ارتحل إلى الحسن بن سفيان النسوي، وإلى الأهواز فأكثر عن عبدان الجواليقي، وإلى الموصل فأكثر عن أبي يعلى، وإلى جرجان فأكثر عن

¹ ترجمة ابن المديني بتصريف من: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٤٢.

عمران بن موسى ابن مجاشع السخيتاني، وسمع بالبصرة من زكريا الساجي، ومحمد بن الحسين بن مكرم، وإلى بغداد فأخذ عن أحمد بن الحسن...¹.

٣. الأوصاف الشخصية التي يُطلقها الذهبي على الرواة وعلاقتها بالمرويات:

إن فيما يصفه الإمام الذهبي من بعض أحوال الرواة وما كانوا عليه من صفات الورع والزهد أو الكرم والجد أو الشجاعة والإقدام وغيرها؛ كل ذلك مما يوحي بمدى التأثر العميق والانسجام الوثيق بين شخصية الراوي، وما يحمله من جليل شأن المروري، ومثال ذلك ما أخبر به الإمام الذهبي عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة، ونقل ما قال الواقدي فيه من أنه: "كان ثقة، فقيهاً، عالماً، سخياً، كثير الحديث"، وقال ابن سعد: "كان يقال له: راهب قريش، لكثرة صلاته"، وروى الشعبي عن عمر بن عبد الرحمن "أن أخاه أبا بكر كان يصوم ولا يُفطر"².

وإن كان هذا يخالف عموم ما جاء في السنة من النهي عن الوصال في الصيام وأن أطول الصيام بحسب ما ورد هو صيام داود عليه السلام الذي كان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

٤. ما ينقله الإمام الذهبي عن بعض (الرواة) للحديث وأنهم يجمعون بين الحفظ والفهم للحديث (المروى):

كل ذلك ما يؤكد العلاقة بين الراوي والمروري، ومثال ذلك ما ذكره الإمام الذهبي في ترجمة ابن صاعد قال: "وقال حمزة بن يوسف السهمي: سألت أبا بكر أحمد بن عبدان، فقلت: ابنُ صاعد أكثر حديثاً أو الباغندي؟ فقال: ابن صاعد (أكثر حديثاً)، ولا يتقدمه أحدٌ في الدراية، والباغندي أعلى إسناداً منه". ثم يتابع الإمام الذهبي قوله مؤكداً عمق الصلة بين الراوي والمروري فيقول في صاحب الترجمة نفسه: "قال الحاكم: سمعتُ أبا عليّ الحافظ يقول: لم يكن بالعراق في أقران أبي محمد ابن صاعد أحدٌ في فهمه، والفهم عندنا أجل من الحفظ"³.

¹ السابق، ج ١٦، ص ٣٥٦.

² الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤١٦.

³ السابق، ج ١٤، ص ٥٠٤.

وهذا كلام في غاية النفاسة، وهو يثبت عمق العلاقة بين الراوي والمروي على أساس أن الرواة لم يكونوا فقط نَقَلَةً لما يحفظون، بل هم الفقهاء الواعون لما يسمعون.

٥. ما ينقله الإمام الذهبي عن بعض الرواة من اللطائف والفرائد التي تثبت عمق صلتهم بالمرويات، ومن ذلك:

- قال الإمام الذهبي: "قال يحيى بن سعيد: قلتُ لسالم في حديثٍ: أسمعته من ابن عمر؟، فقال: مرة واحدة! أكثر من مئة مرة".^١

وفيه مدى حرص الراوي على المروي، وعدم اكتفائه من الرواية مهما تكرر سماعه لها.

- قال الإمام الذهبي: "قال ابن عون: كان محمد (ابن سيرين) يأتي بالحديث على حروفه، وكان الحسن (البصري) صاحب معنى".^٢

وفي هذا ما فيه من دقة ابن عون في الوصف لعلاقة كل من محمد بن سيرين والحسن البصري بالمروي وهما من خيرة الرواة من طبقة التابعين من حديث رسول الله ﷺ؛
- فالأول حرفيُّ الرواية، لا يتجاوز حروفها ولا يتصرف في مبانيها.
- والثاني يهتم بمعنى الرواية، يسمح لنفسه بتجاوز المباني إلى سعة آفاق المعاني، وسيأتي الحديث مفصلاً في مسألة الرواية بالمعنى، وكيف تُشكّل أساساً كبيراً من أسس العلاقة بين الراوي والمروي.

ولعل من المفيد أن نذكر هنا حال ابن عون نفسه عند الرواية، إذ يصفه بكّار بن محمد السّيريني فيقول:
"كان ابن عون إذا حدّث بالحديث يخشعُ عنده، حتى نرحمهُ، مخافة أن يزيد أو ينقص".^٣

^١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٦٥.

^٢ السابق، ج ٤، ص ٦٠٨.

^٣ السابق، ج ٦، ص ٣٦٩.

٢. اكتشاف العلاقة بين الراوي والمروي من خلال كتب المسانيد:

تعدُّ المسانيد الحديثية من أنفع الكتب في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، والكشف كذلك عن ظاهرة التخصص في الرواية؛ فهي التي حشد فيها مصنفيها أحاديث الراوي الواحد في المكان الواحد، وهذا الجمع المسند مما يمكِّنُ الباحث المطيل للنظر في أحاديث الراوي الواحد أن يكشف عن منهج هذا الراوي من خلال حصره لأبرز الموضوعات التي كان يحرص الراوي على الرواية فيها. وقد يُظهر لنا مدى تأثير الراوي بالرواية من النواحي النفسية المعنوية وغيرها، أو عمق تأثير الراوي بالرواية حيث الزيادة أو الرواية بالمعنى أو غيرها من الأمور التي سنأتي عليها لاحقاً، ومن النماذج الموضحة لذلك:

• مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ):

تُظهر لنا العلاقة بين الراوي والمروي في مسند الإمام أحمد ابتداءً من طبيعة شخصية الإمام أحمد عليه رحمة الله، التي جمعت بين الحرص على السند والرواية من جهة، وبين الاهتمام البالغ بالمتن وفقه الحديث من جهة أخرى، كيف لا، وقد وصف الإمام الشافعي الإمام أحمد فقال: "أحمد ابن حنبل؛ إمام في خصال كثيرة: إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في القرآن، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة".^١ وقد حشد الإمام الذهبي ما به يرد على من خلع عن الإمام أحمد بن حنبل صفة الفقه وأبقاه على صفة التحديث فقط، فقال:

"قال ابن عقيل: من عجيب ما سمعته عن هؤلاء الأحداث الجُهال أنهم يقولون: أحمد - يعني ابن حنبل - ليس بفقيه لكنه محدثٌ.

قال: وهذا غاية الجهل لأنَّ له اختيارات بناها على الأحاديث بناءً لا يعرفه أكثرهم، وربما زاد على كبارهم . قلت (أي الذهبي): أحسنهم يظنونهم محدثاً وبس، بل يتخيلونه من بابَةِ محدثي زماننا، ووالله لقد بلغ في الفقه خاصةً رتبة الليث ومالك والشافعي وأبي يوسف، وفي الزهد

^١الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١١، ص ٣١٩.

والورع رتبة الفضيل وإبراهيم بن أدهم، وفي الحفظ رتبة شعبة ويحيى القطان وابن المديني، ولكن الجاهل لا يعلم رتبة نفسه، فكيف يعرف رتبة غيره^١.

ومن المفيد هنا أن نشير بأن الذين اشتغلوا في ترتيب وتحقيق مسند الإمام أحمد لم يحكموا على أحاديثه بالصحة والضعف بناءً على نظرتهم المتكاملة للراوي والمروي أو للسند والمتن معاً، إنما كان الحكم في الغالب الأعم على نظرتهم إلى السند ورواة الحديث فقط، فهم يقولون: هذا حديث صحيح الإسناد، أو ضعيف الإسناد وهكذا، وهذا ما يعني، وباعترافهم: أن جهداً آخر لابد منه لإتمام المهمة في القطع بالحكم على أحاديث المسند وبيان درجتها من حيث الصحة والضعف، وهو جهد الفقهاء الفاهمين للنظر في صحة المتن وسلامتها، مضافاً إلى جهد أهل الاختصاص من المحدثين.

يقول محققو المسند - جزاهم الله خيراً- في مقدمة التحقيق: "وغير خافٍ على طلبة العلم الحُذاق أن صحة السند وحدّها لا تكفي لصحة المتن، فإن جواز وقوع الخطأ من الثقة لا خلاف فيه، وهو جائز عقلاً وعادةً، وواقع فعلاً وحقيقةً، ثم يقولون: ولهذا اشترط في الحديث الصحيح سلامته من الشذوذ والعلة، وهما يقعان في أحاديث الثقات"^٢.

ثم يتابع المحققون قولهم: وقد قال أهل هذا الفن: "إن قول المحدث في حديث ما: إسناده صحيح، دون قولهم: صحيح؛ لأنه قد يصحُّ السند ولا يصحُّ المتن"^٣.

هذا بالنسبة للجهد الذي بُذل في تحقيق المسند، أما في أصل المسند فإنه يمكننا أن نكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي من خلال أمور منها:

١. قراءة أحاديث الراوي أو الصحابي في مسنده كلها:

فالقراءة الكاملة والواعية لأحاديث مسند عمر رضي الله عنه أو مسند عائشة رضي الله عنها في مسند الإمام أحمد كلها دون استثناء، بما فيها المكرر منها إن وجد يفيدنا في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، لأننا قد نجد في المكرر من الروايات زيادة تثبت سبب ورود حديث من الأحاديث، أو تفسر عمل الراوي في المروي، أو يحكي بها التابعي داعياً من دواعي رواية الحديث في معرض تقديمه للرواية.

^١ السابق، ج ١١، ص ٣٢١.

^٢ الأرنؤوط، شعيب، وآخرون، تحقيق مسند الإمام أحمد، ط دار الرسالة، ط ٢، ١٩٩٩م، ج ١، ص ٧٨.

^٣ السابق، ج ١، ص ٩٠.

ولا يغيب عنا أن قراءة أحاديث الراوي كلها تكشف لنا أيضاً ظاهرة التخصص إن وجدت عند هذا الراوي، كأن يتخصص في مجموع رواياته برواية أحاديث الفتن أو أحاديث الصلاة أو أحاديث الجهاد ، وغيرها من الموضوعات التي يتم اكتشافها مع دراستنا لأحاديث مسند كل راوٍ على حده.

٢.تبويب هذه الأحاديث في مسند الراوي الواحد:

فنقول في التبويب مثلاً: أحاديث الصيام في مسند أبي هريرة رضي الله عنه، وأحاديث الحج للراوي فلان، وهكذا، وهذا التبويب يختلف عن العمل الذي قام به الساعاتي (ت:١٩٥١م) من الفهرسة الموضوعية للمسند، ذلك أن التبويب المقصود هنا هو تبويب أحاديث الراوي الواحد بحسب الموضوعات، وهو تماماً مثل تبويب المسند الجامع، والذي سيأتي الحديث عنه لاحقاً، وقد علمتُ بأن الذين حققوا المسند قاموا بعمل فهرس موضوعية لخدمة أحاديث الصحابة الكرام، لكنها فهرس موضوعية للكتاب كله، لا لكل مُسند وحده. والتبويب لأحاديث كل مسند من مسانيد الصحابة بحسب الأبواب الفقهية يكشف لنا عن مدى اهتمام الصحابي الراوي بمرويات أبواب فقهية دون غيرها، ويدلنا ذلك على عمق العلاقة بين الراوي والمروي، فيما يُعرف بظاهرة التخصص في الرواية، التي سنأتي عليها في فصل خاص من هذه الدراسة بعون الله تعالى.

٣.بيان ما إذا كان هذا الراوي من المقلّين أو من المكثرين للرواية بعد عدّ أحاديثه في مُسنده:

وإن كنا نعلم بأن تعداد مرويات الراوي الواحد في المسند وحده لا تكفي للحكم عليه بأنه مكثراً أو مقلّ، ولكن لا يشك أحد بأنه سيغلب علينا الظن من خلال النظر في تعداد روايات هذا الراوي في المسند تحديداً أنه من المكثرين أو من المقلّين، لما عُرف من حرص الإمام أحمد رحمه الله على متابعة أكبر قدر من مرويات الصحابة الكرام، وهذا مما يفيدنا في تحديد العلاقة بين الراوي والمروي، ذلك أن كثرة الرواية

تعطيك انطباعاً عاماً بأن الراوي:

- محبٌ للرواية حريصٌ عليها.

- أو مستخدمٌ لها في واقع الحياة.

- أو متفاعل معها بأيِّ شكل من أشكال التفاعل.

بخلاف قلة الرواية، فإنه لا يشترط أن يكون كذلك، إلا ما كان من بعض الرواة المُقلين ممن تناولنا حالهم من الصحابة الذين كان لهم وجهات نظر خاصة في الأداء والرواية على الرغم من أنهم من أكثر من تحمل الحديث كأمثال أبي بكر وعثمان وغيرهما رضي الله عنهم أجمعين.

٤. الاجتهاد ببيان عمق علاقة الراوي بالمروي من خلال النظر في مسند الصحابي والإجابة على أسئلة عدّة حول رواياته، ومن هذه الأسئلة:

- هل شارك الراوي في الرواية من حيث دخوله مثلاً في حوار مع النبي ﷺ، أو سؤاله له عن أمور محددة؟.
 - هل كان الراوي للرواية حريصاً على المباني والحروف، أم أنه يروي بالمعنى متصرفاً بالمباني؟.
 - هل وجدنا في أثناء ترتيبنا لموضوعات مرويات الراوي أنه يحرص على رواية أحاديث في أبواب مخصوصة؟، دون موضوعات أخرى كأن يحرص على جمع مرويات في الأحكام أو المغازي أو الشمائل وغيرها.
 - هل يوجد في ذيل الرواية ما يشير إلى تأثر الراوي بها وتفاعله معها، وأنها صنعت في حياته شيئاً جديداً؟، كأن يُبين تعليقاً على الرواية: أنه لزم فعل كذا وكذا من حين سماعه للرواية كما سيأتي بيانه لاحقاً.
 - هل انفرد الراوي بالرواية؟ وما دلالة هذا الانفراد؟.
 - هل حرص الراوي على علو الإسناد أم أنه روى عن غيره من الصحابة الكرام، ولا غرابة في ذلك فقد روى ابن عمر عن أبيه عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، وروى عمر عن ابنه عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ.
- هل للرواية سبب ورود محدد؟، وللباحث وقفة مع فكرة أسباب ورود الروايات وعلاقة ذلك بموضوع دراستنا.

- هل ما روى الراوي يحمل صفة السُّنة القولية، أو السُّنة الفعلية، فالسنة الفعلية هي التي تصف فعل النبي ﷺ.

ومثال السُّنة الفعلية من مسند أحمد تلك التي تؤكد ما ذكرنا:

- ما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر رضي الله عنهما: (أنه كان يُصلي على راحلته في السفر حيثما توجهتُ به، وذكر أن النبي ﷺ كان يصنع ذلك في السفر).¹

وانظر كيف بدا تفاعل ابن عمر رضي الله عنه مع ما روى من فعل رسول الله ﷺ لتعلم كم في الأحاديث الفعلية من تطابق في العلاقة وانسجام تام بين الراوي وما يروي.

- وما روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ كان يلبس خاتمًا من ذهب، ثم قام رسول الله ﷺ فنبذه، وقال: (لا ألبسه أبداً)، قال: فنبذ الناس خواتيمهم).²

وفي الحديث ما يثبت تفاعل الراوي ومن حضر الرواية، معها بشكل مباشر، علماً بأن هذه الرواية فيها جانب فعليٌّ وُصفيٌّ، وجانب آخر قوليٌّ عند قوله ﷺ: (لا ألبسه أبداً).

وغيرها من الأسئلة التي يمكن أن نسبَّرها عَوْرَ الرواية، ونحن ننظر إلى الراوي لها لنكشفَ عن العلاقة بينهما، ونحققَ في مدى التفاعل المباشر الحاصل للراوي إثر شهوده الرواية.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، مسند عبد الله بن عمر، وقال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط الشيخين، ح ٥٤٠٦، وهو في: النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين، باب جواز صلاة النافلة على الدابة، ح ٧٠١.

² السابق، ح ٥٤٠٧، وقال محقق الكتاب الشيخ شعيب الأرنؤوط وآخرون: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وهو في: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الاقتداء بأفعال النبي ﷺ، ح ٦٨٦٨.

● **ثالثاً: دراسة أسباب ورود الحديث الشريف.**

من المعلوم أن الصحابة الكرام كانوا يُخرجون الروايات باعتبار أنها دِينٌ وعلمٌ يجب إظهاره، لكن لبعض المرويات أسباب خاصة جعلتهم يُظهرونها ويؤكدون عليها دون غيرها، وهو ما يعرف بعلم: دواعي الرواية، الذي سبق أن تعرضنا له في باب سابق عند بيان دواعي رواية المكثرين والمقلين حتى نهاية القرن الثالث الهجري.

وأما علم أسباب ورود الحديث فهو علم أصيل، يخدم المروياً من جهة الكشف عنه وتبينه، بل وترجيحه عند التعارض كما ذكر الدكتور بدر هُميسة في مقدمة بحثه حول علم أسباب ورود الحديث من أن الأصوليين يقولون بإعمال سبب الورد في الترجيح بين النصين المتعارضين ضمن مُرَجِّحاتِ المتن، ويخدم الراوي من جهة بيان علاقته بالمروي، يقول ابن تيمية رحمه الله: "العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^١.
فما هو هذا العلم؟ وما دوره في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي؟

● **مفهوم علم أسباب ورود الحديث:**

يقول محمد محمد أبو شهبه: "إنما يراد به السبب الذي بسببه قال النبي ﷺ الحديث، وأما ذكرُ الصحابي للحديث فيما بعد، ليستدل به في مناسبة من المناسبات، فإنه لا يسمى سبب ورود بل سبب ذكر"^٢.
أما الدكتور محمد عصري زين العابدين فيُعَرِّف سبب ورود الحديث بقوله: "هو ما دعا الحديث إلى وجوده أيام صدوره"^٣.

^١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، ط٢، مكتبة التراث الإسلامي، مصر، ص٦٠.

^٢ أبو شهبه، محمد محمد، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٤٦٨.

^٣ زين العابدين، محمد عصري، أسباب ورود الحديث ضوابط ومعايير، منشورات الجامعة الإسلامية بماليزيا، ط١٢٠٠٥، ص١٥.

ويُقرب لنا الدكتور محمد رأفت سعيد مُختصراً بعضَ فوائِدِ معرفة أسباب ورود الحديث فيقول: " فمعرفة سبب الورد تُمكن من إدراك حقيقة المعنى والإحاطة بأبعاده، ومعايشة جزئيات الأسباب، ووجه الارتباط بين النصِّ والحُكم، والحكمة التي تكون في هذا الارتباط، وهذا يُعين في باب الاجتهاد على معرفة الصفات المشتركة بين الفرع والأصل عند القياس، كما يُيسر الوقوف على تحقق الحكمة عند استنباط الأحكام للمشكلات المعاصرة".¹

ومع الاستقرار والبحث وجد الباحث أن هناك أسباباً كثيرة ظاهرة لورود الحديث مما له من العلاقة المباشرة في التعرّف على العلاقة بين الراوي والمروي ومن ذلك:

١. سؤال الصحابي الراوي عن أمر يخصه:

وهذا ما يؤكد أن علاقة الراوي بالمروي علاقة وجود ابتداءً، وليست علاقة رواية وذكرٍ متأخراً فقط، ومثال ذلك:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (يا رسول الله هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟) قال صلى الله عليه وسلم: نعم هو في ضحضاحٍ^٢ من نارٍ، لولا أنا، لكان في الدرك الأسفل من النار)^٣.

٢. التعليق النبوي على الحوادث وردُّ الفعل الحاسم تجاهها، ومشاركة الصحابي في ذلك:

وهو ما يثبت أن الرواة كان لهم جهد في صناعة المرديات، وليس فقط في نقلها، حيث صار تعليق الرسول صلى الله عليه وسلم على الحوادث دِيناً يلزم المسلم اعتناؤه، وأصبح الصحابة جزءاً من الرواية هنا، ومن أمثلة هذه الحالة: عن جندب بن سفيان البجلي رضي الله عنه قال: (ضَحَيْتَا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أضحية ذات يوم، فإذا أناسٌ قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة، فلما انصرف رأهم النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد ذبحوا قبل

¹ سعيد، محمد رأفت، أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، كتاب الأمة، العدد ٣٧، ص ١٠٢.

² الضحضاح: ما رُقَّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين، فاستعاره للنار، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٤.

³ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب كنية المشرك، ح ٥٨٥٥.

الصلاة، فقال ﷺ: من ذبح قبل الصلاة فليذبح مكانها أخرى، ومن كان لم يذبح حتى صلينا، فليذبح على اسم الله¹.

فالتعليق النبوي ﷺ هنا يبين أنه حضر الحادثة، ثم سمع التعليق النبوي الكريم عليها، ويظهر سبب الورد جلياً من رد فعل النبي ﷺ المباشر على ما رآه من ذبح للأضحية قبل الصلاة.

٣. التعليق النبوي على انفعال الصحابة الكرام:

فالتفاعل من الراوي دليل قرب الراوي من صاحب الرواية الرسول الأكرم محمد ﷺ، هذا القرب من صاحب الرواية يجعل لدى الراوي باعثاً من بواعث أدائه للرواية بعد ذلك مع نسبتها إلى مصدرها الأصيل رسولنا الأكرم ﷺ، فقد كان النبي ﷺ يستجيب لانفعالات أصحابه ويتعاطى معها ثم هو يُقدّر الجواب أو التعليق المناسب عليها.

وقد شهدت السيرة النبوية مشاهد انفعال كثيرة من الصحابة، ولعل من أكثر مشاهد الانفعال هذا ما حصل يوم صلح الحديبية الذي رأى فيه الصحابة الكرام جوراً عليهم، فكان التعليق النبوي المباشر وهو يربط أمر الصلح بالوحي الجليل خير مُخفّف لحدة الانفعال من الصحابة الكرام، لاسيما عمر رضي الله عنه والذي تجرأ وسأل النبي ﷺ عن حكمة الصلح.

والذي يهمنى هنا أننا سنقرأ في المشهد سبب ورود الحديث، وهو الرد والتعليق النبوي على الانفعال من الصحابة الكرام، فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال:

(كنا بصفين، فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله، فقال عليٌّ: نعم، فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية، يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين، ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر فقال: ألسنا على الحق، وهم على الباطل؟، أليس قتلنا في الجنة، وقتلهم في النار؟.

قال ﷺ: (بلى)، قال: ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع؟!، ولما يحكم الله بيننا؟.

فقال ﷺ: (يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يُضيعني الله أبداً).

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الذبائح والصيد، باب قول النبي ﷺ: فليذبح على اسم الله، ح 0181.

فرجع مُتَغَيِّظًا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر رضي الله عنه فقال: يا أبا بكر، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ قال: يا ابن الخطاب، إنه رسول الله ﷺ ولن يضيِّعه الله أبداً، فنزلت سورة الفتح)¹.

٤. الإحصاء والمتابعة لفعل النبي ﷺ:

هذا الإحصاء لتعداد أمور كان يفعلها النبي ﷺ، والتتبع لخطواته خطوة بخطوة؛ دليل تركيز الراوي من الصحابة في دقائق خطواته عليه الصلاة والسلام، ما يجعل من الرواية لهذا الحديث رافعاً من رصيد الراوي من جهة التصاقه بالرواية، ورسوخ علاقته بها، وهذا بالنتيجة ما يزيد من فرصة قبول حديثه، وتقديم روايته على غيرها.

ولعل من أكثر من مارس الإحصاء والتتبع لخطوات النبي ﷺ زوجته عائشة رضي الله عنها، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله ﷺ يُصلي من الليل تسعاً، فلما أسنَّ وثقل صلى سبعا"².

٥. طلب حل مشكلة من المشكلات:

فالمسارعة من الراوي بين يدي الرسول الأكرم ﷺ بداعي طلب حل مشكلة من المشكلات أو بيان الموقف من معضلة من المعضلات، تجعل الحديث أقرب إلى نفس الراوي مما لو أنه سمعه على سبيل الحكاية والخبر العابر، ومثال ذلك ما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: (جاء ناس من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ، فسألوه: إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: وقد وجدتموه؟ قالوا: نعم، قال: ذاك صريح الإيمان)³.

والنماذج والأمثلة في هذا الباب كثيرة، لكن الثمرة الأهم من معرفتنا لأسباب ورود الحديث في الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي تكمن في أنه كلما كان الصحابي المرادي للحديث أقرب من واقع الرواية، ومن سبب ورودها؛ كان ذلك أدعى لقبولها

¹ السابق، كتاب الجزية، باب من عاهد وغدر، ح ٤٨٤٤.

² أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ٢٤٠٨٨، وصححه شعيب الأرنؤوط، وهو عند: النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، كتاب قيام الليل، دار المعرفة، ط ٢٠٠٢م، ط ١، ح ١٧٠٩.

³ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان الوسوسة في الإيمان وما يقوله من وجدها، ح ١٣٢.

وثبوتها، كيف لا والمباشرة للرواية قد تحمل معنى المشاركة فيها أو الشهادة عليها أو التفاعل معها، وكل هذه الصور تزيد من قبولنا لخبر راويها، يقول الآمدي (ت:٦٣١هـ): "أن يكون راوي أحد الخبرين مباشراً لما رواه، والآخر غير مباشر، فرواية المباشِر أولى لكونه أعرف بما روى"^١، وهذا عند الترجيح بين الروایتين المتعارضتين كما هو معلوم.

هذه بعض أسباب ورود الحديث، وأسباب ورود الأحاديث كثيرة، ويمكن لنا أن نستنبط لكل حديث عُرف سببه، حكمة وفائدة تُعزز الكشف عن العلاقة بين الراوي والمروي، وقد ذكر ابن حمزة الحسيني الدمشقي (١٨٣٤) حديثاً في كتابه: (البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف)، وهذه الأحاديث وإن لم تكن في جُلها مما يصحُّ أن يطلق عليه سبب ورود، كما ذكر الدكتور طارق الأسعد عندما قال: "إن كثيراً من الأسباب التي عقد عليها ابن حمزة نظريته في الوجود أسباب عامة، لا مسوِّغ للتخصيص بها، حتى تفيد وصف السببية الذي يفتقر فهم المعنى من الحديث إليه"^٢.

إلا أنه يستفاد منها كنقطة ارتكاز أولى في الكشف عن علاقة الرواة بمروياتهم الحديثية.

^١ الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الإحكام في أصول الأحكام، مرجع سابق، ج٤، ص٤٦٤.

^٢ الأسعد، طارق أسعد، علم أسباب ورود الحديث، ط دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١م، ص٢٠٥.

● **المطلب الثالث: أسباب وجود ظاهرة الاختصاص في الرواية.**

ليست ظاهرة الاختصاص في الرواية بموضوعات مخصوصة ظاهرة مستحدثة بل يوجد ما يؤكد أن لهذه الظاهرة أصل في العهد النبوي وسيأتي بيان ذلك بالتفصيل، وإن كان بدخول عصر التدوين الشامل للسنة صار لدينا من يكتب بحسب مسانيد الصحابة ومن يكتب بحسب موضوعات مخصوصة، وهذه الكتابة الموضوعية أيضاً كان لها بداية زمن النبي ﷺ.

يقول الدكتور خالد الشрман:

" تعود جذور الاهتمام بالموضوع الى عهد النبوة، ويتمثل ذلك بتشجيعه لبعض الصحابة وشحذ هممهم على التخصص، وعنايته ﷺ بتفصيل بعض الأمور كالفتن مثلاً والتي كان حذيفة رضي الله عنه يحرص على جمع أحاديثها والسؤال عنها، فقد كان رضي الله عنه يقول: " كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم قلت وهل بعد ذلك الشر من خير قال نعم وفيه دخن قلت وما دخنه قال قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر قلت فهل بعد ذلك الخير من شر قال نعم دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا قلت فما تأمري إن أدركني ذلك قال تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام قال فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك" ¹، ثم جاء عهد التدوين والتصنيف، فتنوع التصنيف على الموضوعات بين مصنفات تجمع عدة موضوعات في كتاب واحد كالمصنفات والموطآت والجوامع، وبين مصنفات مفردة في بعض الموضوعات كالزهد والجهاد والفرائض وبعض

¹ سبق تخريجه، ص ١٢٤.

أحاديث السنن وغيرها، وكان السبب الأكبر لهذا التخصيص والجمع هو: حفظ حديث رسول الله ﷺ وتقريبه للناس^١

ثم يبين الدكتور الشerman أسباباً أكثر تفصيلاً لظاهرة التخصيص أو الجمع الموضوعي المبكر لدى رواية الحديث في كتب مخصوصة، فكان مما قاله من أسباب:

"١. قصد بعض العلماء الرد على أصحاب الآراء المنحرفة عن منهج جماعة المسلمين كابن أبي شيبه في كتابه: العرش، والبخاري في كتابه: رفع اليدين في الصلاة، وأبو عبيد في فضائل القرآن، وابن خزيمة في كتابه: التوحيد، والإمام احمد في كتابه: الزهد.

٢. جمع بعض العلماء مصنفاتهم المتخصصة استجابة لطلب خليفة أو أمير ليكون الكتاب بمثابة مرجع أو دستور للمسلمين في موضوع ما كالموطأ للإمام مالك، والخراج لأبي يوسف^٢، وهذا عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ) الذي كانت له عناية في تخصص السير والمغازي.

" وكان قد أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق ويحدث الناس في المغازي ومناقب الصحابة ففعل^٣.

ولدى النظر في هذه الأسباب يتأكد لدى الباحث أن عمق العلاقة بين الراوي والمروي هي التي جعلته يتحول إلى حارس أمين على السنة والمرويات الشريفة، فهو يريد حفظ المرويات وتقريبها للناس من جهة، وهو يطلب الذب عن الرواية والدفاع عنها من جهة أخرى، وهو يطلب أن ينظم الناس حياتهم ومعاشهم وفق السنة الميسرة لهم ضمن مصنفات مخصوصة وبسنده الخاص، لا أن تظل متناثرة بلا جمع ولا تخصيص.

^١ الشerman، د. خالد محمد محمود، الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية، دار الفرقان، عمان، ط ١، ٢٠٠٩م، ص ٤٩.

^٢ السابق، ص ٥٠.

^٣ العسقلاني، أحمد بن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ج ٥ ص ٤٧.

● الفصل الأول: اختصاص بعض الرواة من الصحابة بالرواية في موضوعات مخصوصة:

المبحث الأول: اختصاص أمهات المؤمنين بالأحاديث التي تبرز الحياة الخاصة للرسول صلى الله عليه وسلم (حياته الشخصية في بيوته).

المبحث الثاني: اختصاص عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في أحاديث الصيد.

المبحث الثالث: اختصاص أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه في أحاديث الأئمة والصيد.

المبحث الرابع: اختصاص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في أحاديث الفتن.

● الفصل الأول: اختصاص بعض الرواة من الصحابة بالرواية في موضوعات مخصوصة:

لم تكن ظاهرة الاختصاص في زمن الصحابة الكرام لتقف عند حدود الرواية بل كانت تمثل الطابع العام الذي صبغ حياة كل منهم فصار لكل منهم لونه الخاص الذي به عُرف واشتهر. فمن الصحابة من اشتغل بالجهاد فأبلى بلاءً حسناً، ومنهم من اشتغل بالعلم فأبدع وحفظ للأمة مصادر دينها، ومنهم من اشتغل بالتربية والتوجيه والتعليم فساهم في إعداد الفرد والأسرة والمجتمع لتحمل المسؤوليات، ومنهم من اشتغل بالقضاء والإفتاء، فحفظ الأمن وسلامة الأفراد والجماعات من الرُّكُل والخطأ، ومنهم من اشتغل بالتجارة ليعزز اقتصاد المسلمين ويؤمن لهم أمنهم في الغذاء والكساء وغيرهما.

ولا يعيب صاحبُ تخصصٍ صاحبَ تخصصٍ آخرَ ما دام الجميعُ يعملون لمشروع واحد، بل تراه يحترم توجه الآخرين إلى تخصصات غير التخصص الذي هو فيه ويتقنه، وقد عيب على أبي هريرة رضي الله عنه كثرة روايته لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: {إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرَ أَبُو هَرِيرَةَ، وَلَوْلَا آيَاتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا حَدَّثْتَ حَدِيثًا، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ... إِلَى قَوْلِهِ: {وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} (البقرة: ١٥٩-١٦٠)، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ إِخْوَانِي مِنَ الْمُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ، وَإِنْ إِخْوَانُنَا مِنَ الْأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الْعَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ أَلْزِمُ رَسُولَ اللَّهِ، فَأَشْهَدُ إِذَا غَابُوا، وَأَحْفَظُ إِذَا نَسُوا الْحَدِيثَ"¹.

إذاً هو الاختصاص الفطري ابتداءً بحسب الميولات النفسية، التي دفعت صاحبها ليأخذ بالمهارة التي جعلته يبرز في ميدان واحد دون سائر الميادين، فقد تميّز الصحابة رضي الله عنهم في تخصصاتهم المتعدّدة والمتنوعة، وكانوا مثلاً يُحتذى في التزام الصّدق والدّقة والإبداع والإتقان في شتى الفنون والأعمال، ممّا يصعب حصرها أو

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح ١١٨.

جمعها، وهي مبنوثة في كتب الحديث النبوي والسيرة والتراجم، لكننا نسعى إليها لنلتقط من معينها ملامح التميّز في الشخصية الإسلامية المثلى، لتكون لنا ولجيل اليوم دليلاً وقودة.

وقد تناول النبي ﷺ في توصيفه لبعض أصحابه أبرز التخصصات التي أتقنها صحابته الكرام في عصرهم، وأدقّ الفنون التي أبدعوا فيها، وأميز الصفات التي تحلّوا بها، ليشكل منظومة متكاملة من التميّز، تنتظر منا أن نقتبس من نورهم، وأن نقيس أعمالهم على حالنا معتبرين بهم، وقديماً قيل: فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم، إنّ التشبّه بالكرام فلاح، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ألا وإن لكل أمة أميناً، ألا وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح)¹.

هذا من حيث التميز أو التخصص الحياتي العام، أما تخصص الصحابة في الروايات ضمن موضوعات محددة فإنه يجدر التأكيد على أن من الصحابة والرواة من كان يجذب موضوع من موضوعات الرواية دون الأخرى، وإن لم تكن لهم كتب إفرادية في ذلك،

¹ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، باقي مسند المكثرين، ح ١٣٥٧١، ورواه الترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، مرجع سابق، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، ح (٣٧٩١). ورواه البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، ولكنه أخرجه مقتصراً على ذكر أبي عبيدة رضي الله عنه، في كتاب المناقب، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ح 3534، بلفظ: "إن لكل أمة أميناً وإن أميناً أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح".

وقال ابن حجر: "أورد الترمذي وابن حبان هذا الحديث من طريق عبد الوهاب الثقفي عن خالد الحذاء بهذا الإسناد مطولاً وأوله أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقرؤهم لكتاب الله أبي، وأفرضهم زيد، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ، ألا وإن لكل أمة أميناً الحديث..."، وإسناده صحيح، إلا أن الحفاظ قالوا: إن الصواب في أوله الإرسال، والموصول منه ما اقتصر عليه البخاري، والله أعلم"، وانظر: العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١١٨ .

وهذا ما يصنع وبشكل عفوي ما يمكن أن نطلق عليه ظاهرة التخصص لدى الرواة، وهي في الغالب ظاهرة نفسية تتبع لميول الراوي وتخصصه الحياتي العام، ولا يعني رواية الصحابي المقل للرواية أحاديث في موضوع خاص أنه لم يكن يروي في غير بابه وإنما المقصود ما يغلب على رواياته من الرواية بموضوع دون موضوعات أخرى، ومن أمثلة تخصص بعض الرواة المقلين للرواية برواية موضوعات مخصوصة ما يأتي:

١. اختصاص أمهات المؤمنين بالأحاديث التي تبرز الحياة الخاصة للرسول صلى الله عليه وسلم (حياته الشخصية في بيوته).

٢. اختصاص عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في أحاديث الصيد.

٣. اختصاص أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه في أحاديث الأطعمة والصيد.

٤. اختصاص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في أحاديث الفتن.

المبحث الأول: اختصاص أمهات المؤمنين بالأحاديث التي تبرز الحياة الخاصة للرسول ﷺ (حياته الشخصية في بيوته).

وليس المقصود بالأحوال الخاصة بالنبي ﷺ هنا ما اختص به النبي ﷺ عن سائر الناس حيث النبوة والمعجزات والوحي وتعدد الزوجات وغيرها مما هو من الخصوصيات الخاصة التي انفرد بها النبي ﷺ. إنما المقصود هنا حكاية ما كان يجري للنبي ﷺ من أعمال وأقوال داخل بيته بصورة عبادات ومعاملات وغيرها، وهي أحوال وإن كانت خاصة في شكلها إلا أنها عامة في مضمونها، وهي على سبيل التشريع لأمته عليه الصلاة والسلام.

وخير من كان يؤدي هذا النوع من الرواية أمهات المؤمنين على وجه العموم وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها على وجه الخصوص فقد روت واستوعبت في روايتها كثيراً من الأحاديث التي تؤكد هذا المعنى، ومن ذلك: ما روت عائشة رضي الله عنها قالت: (كنتُ اغتسلُ أنا والنبي ﷺ من إناءٍ واحدٍ، من قُدحٍ يُقال له: الفَرَقُ)¹.

فمن مثل هذه الروايات، وهي كثيرة يظهر لنا بجلاء حكمة تعدد زوجات النبي ﷺ، وخصوصية كونه قد أُذن له من الله تعالى أن يتزوج أكثر من أربع نساء، وذلك أنهن كنَّ يُغطين الحياة الاجتماعية الخاصة بالنبي ﷺ لينشرن علم بيت النبوة بالرواية لمن حولهن ولمن بعدهن، فهذه الرواية الوصفية لفعل مشترك بين النبي ﷺ وزوجه عائشة رضي الله عنها إنما تؤكد مدى ما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الأزواج، ولأنها رويت من في عائشة رضي الله عنها على وجه التحديد، وهي حبيبة حبيب الله تعالى، فإن لها معنًى راقياً ومتقدماً، يفوق كل ما يروى من قصص العَزَلِ وأفلام الفسوق.

ولو أن سائلاً يسأل: ولماذا تروي عائشة رضي الله عنها مثل هذا المشهد الخاص، فإن الجواب على ذلك يبين العلاقة الوطيدة بين الراوي والمروي، فالمروي هنا مشهد خاص، وعائشة رضي الله عنها تعلم وتُقدِّرُ نوع الخصوصية التي لا يجوز إظهارها للناس،

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الغسل، باب الوضوء قبل الغسل، ح ٢٥٠.

والخصوصية التي ينبغي أن تظهر ليفيدَ منها الناس في حياتهم الخاصة بحكم كونها تعلم أن من حَكَمَ الزواج بها أن تُظهر للناس العلم، وأن لا تُخفيَ الحكمة؛ فهي تقدم مصلحة انتفاع الناس بالرواية على ما في إظهارها من خصوصية أو حساسية، فتخرج بذلك عن حدِّ الحياء المعطَّل للرواية، لمصلحة الرواية نفسها، ولا نشكُّ في الوقت ذاته مطلقاً في الحياء الجَمِّ الذي كانت رضي الله عنها تتمتع به.

ومن الأحاديث التي تحكي أحوالاً خاصة ترويتها عائشة رضي الله عنها لتؤكد ما ينبغي أن يكون عليه الأزواج من قُرْبٍ وودِّ كذلك ما قالت: (كنتُ أنامُ بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبليته، فإذا سجد غمزني^١، فقبضتُ رجلي، فإذا قام بسطتهما، قالت: والبيوتُ يومئذٍ ليس فيها مصابيح)^٢.

ومن ذلك أيضاً ما قالت رضي الله عنها: (كنتُ أشربُ وأنا حائضٌ، ثم أناولهُ النبي ﷺ، فيضعُ فاهُ على موضعِ في، فيشربُ، وأتعرَّقُ العرقُ^٣ وأنا حائضٌ، ثم أناوله النبي ﷺ، فيضعُ فاهُ على موضعِ في)^٤

ويظهر لنا بوضوح مدى علاقة الراوي بالمروي، وكيف صار المروي سلاحَ الراوي الحاضر في الذبِّ عن رسول الله ﷺ أو عن دينه وسُنَّته.

وفي رواية تُبيِّنُ ردَّ عائشة على التساؤلات وإجاباتها العلمية من واقع قُرْبها من مشهد الرواية العملية؛ أن أبا سلمة رضي الله عنه سألها: (أكان النبي ﷺ يرفُؤُ وهو جُنُب؟ قالت: نعم، ويتوضأً)^٥.

^١ غمزني، من الغمز وعَمَزَه بيده يَغْمِزُه عَمَزاً من حَدِّ ضَرَبَ : شَبُه نَحَسَه وَعَصَرَه وَكَبِهَ ومنه ، وانظر: الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، ط دار العلوم، ط٤، ٢٠٠٦م.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب الصلاة على الفراش، ح٨٣٢.

^٣ أتعرَّق العرق العرق: بعين مهملة مفتوحة وراء ساكنة بعدها قاف العظم، وتعرِّفه أكل ما عليه من اللحم، وانظر، الشوكاني، نيل الأوطار، مرجع سابق، ج١، ص٣٥٥.

^٤ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الحيض، باب غسل الحائض، ح٣٠٠.

^٥ السابق، كتاب الغسل، باب كينونة الجُنُب في البيت إذا توضأ قبل أن يغتسل، ح٢٨٦.

ومن الروايات التي روتها عائشة رضي الله عنها وهي تحكي تصف بيت النبوة قولها رضي الله عنها:
(لقد توفي النبي ﷺ وما في ربي^١ من شيء يأكله ذو كبد، إلا شطر شعير^٢ في ربي لي، فأكلت منه، حتى طال عليّ، فكلته ففني^٣)

وما الذي يُدرينا ما كان حال بيتها وبيت النبي ﷺ لولا أنها حدثت بذلك لتضرب لنا النموذج والقذوة في الورع والزهد والتخفف من الدنيا.

ومثال ذلك أيضا أنها روت بالتفصيل مشهد مرض النبي ﷺ رغم طول المشهد وما فيه من تفاصيل دقيقة، لكن عمق اتصال الراوي بالرواية مع وجود تلاميذ يسألون عن دقائق التفصيل فيها يزيد من ثباتها فيأتي البخاري ومسلم وغيرهم من العلماء ليجدوا أن الرواية صحيحة ثابتة رغم طولها ودقة تفاصيلها، فقد روى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: دخلتُ على عائشة فقلتُ: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثقلَ النبي ﷺ فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماء في المِخضَب، قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوءَ فأغميَ عليه، ثم أفاق، فقال ﷺ: أصلى الناس، قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المِخضَب، قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوءَ فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس، قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، قال: ضعوا لي ماء في المِخضَب، قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوءَ فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس، قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، والناس عكوفٌ في المسجد، ينتظرون النبي ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي ﷺ إلى أبي بكر: بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرُك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر، وكان رجلاً رقيقاً: يا عمر صلِّ بالناس، فقال له عمر: أنت أحقُّ بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي ﷺ وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين، أحدهما العباس، لصلاة

^١ الرف بفتح الراء وتشديد الفاء خشبة عريضة يغرز طرفاها في الجدار وهو شبه الطاق في البيوت، العيني، عمدة القاري، مرجع سابق، ج ٢٣، ص ٥٧.

^٢ إلا شطر شعير، أي: بعض شعير، وانظر، السابق، ج ٢٣، ص ٥٧.

^٣ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب الفقر، ج ٦٤٥١

^٤ المِخضَب بالكسر: شبه المِركن، وهي إجانة تغسل فيها الثياب، وانظر، ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق، ج ٤، ص ٨٧.

^٥ ثم ذهب (لينوء) بضم النون بعدها مدة: أي لينهض بجهد، وانظر: العسقلاني، أحمد بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٧٤.

الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأوماً إليه النبي ﷺ بأن لا يتأخر، قال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتُمُّ بصلاة النبي ﷺ، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي ﷺ قاعد.

قال عبيد الله: فدخلتُ على عبد الله بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثني عائشة، عن مرض النبي ﷺ؟ قال: هات، فعرضتُ عليه حديثها، فما أنكر شيئاً، غير أنه قال: أسَمَّتْ لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي"¹

ومما يثير الاهتمام في مسألة العلاقة بين الراوي والمروي في هذه الرواية أن عائشة رضي الله عنها وقد روت المشهد بكامله لم تحضر جميع تفاصيله بنفسها، وإلا فما الذي أدرأها تفاصيل ما حصل بين النبي ﷺ وصاحبه الصديق في المسجد، وما الذي أدرأها أيضاً بالذي حصل بين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في المسجد، لعله حرص عائشة رضي الله عنها على المشهد المتكامل ساعة حصوله لِمَا له من أهمية في حياتها هو الذي دفعها لتسأل زوجها النبي الأكرم ﷺ عن التفاصيل، أو أن تسأل والدها المُكْرَمَ أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فأجابها - والله أعلم -، لأنه لم يظهر لنا من تفاصيل الرواية أنها سألت أياً منهما.

وبالجملة فقد روت أمهات المؤمنين عن رسول الله ﷺ بداعي الاستجابة لأمر الله تعالى الذي قال لهن: {وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا} (الأحزاب: ٣٤)، يقول ابن كثير رحمه الله: "فإن سياق الكلام معهنَّ ولهذا قال تعالى بعد هذا كله " واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة " أي واعملن بما ينزل الله تبارك وتعالى على رسوله ﷺ في بيوتكن من الكتاب والسنة"²

ولا ينازع أحد في أن الصبغة الغالبة على روايات أمهات المؤمنين ما جاء فيها من حكاية لحياة النبي ﷺ الشخصية في بيوته، ولعل في ذلك ما يعمق من حكمة تعدد زوجاته

¹ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الأذان، باب إِمَّا جُعِلَ لِإِمَامٍ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، ج ٢٣٦.
² ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٨م، ج ٣، ص ٢٥٧.

ﷺ، وذلك ليشركن بدورهن في نقل الحياة الخاصة للنبي ﷺ، عدا عن دورهن البارز في نقل ما سمعن من الهدي النبوي على العموم.

وحتى نقف على ظاهرة التخصص هذه في مرويات أمهات المؤمنين لابد أن نلقي الضوء على مسألة الرواية عند أمهات المؤمنين بشكل عام وذلك على النحو الآتي:

١- عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها من أصحاب الألوفا: ولها (٢٢١٠) حديثاً، وقد عدت من ضمن سبعة من المكثرين في الرواية، وقد انفردت بأحاديث لم يروها غيرها ولولاها لضاع كثير منها مما يتعلق بتصرفات النبي ﷺ في بيته ومع أهله، وقد شهد لها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه فقال: " ما أشكل علينا - أصحاب محمد ﷺ - أمر فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها فيه علم"

ولا ينازع أحد في أن عائشة رضي الله عنها هي فقيهة النساء، فهذا عطاء بن أبي رباح يقول: "كانت عائشة أفقه الناس وأعلم الناس وأحسن الناس رأياً في العامة"^١.

وهذا أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وهو من فقهاء المدينة السبعة ومن كبار التابعين يقول: " كانت عائشة أعلم الناس، يسألها الأكابر من أصحاب رسول الله ﷺ"^٢.

يقول الدكتور فيصل عفيف الخُفْش: " روت عائشة رضي الله عنها عشرة بالمائة من الأحاديث في صحيح مسلم، ومثل هذه النسبة في صحيح البخاري، وقريباً من هذه النسبة في سنن النسائي، كما روت خمسة أضعاف ما روته الصحابيات الأخريات رضي الله عنهن، بمن فيهن أزواج النبي ﷺ"^٣.

٢- أم سلمة (هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية) رضي الله عنها: وهي من أصحاب المئين ولها (٣٧٨) حديثاً، وفي تحفة الأشراف للمزي بلغت ح٥٧ مروياتها (١٥٨) حديثاً، وتعد ثاني راوية بعد أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه، وقد اتفق لها البخاري ومسلم على ثلاثة عشر حديثاً، انفرد البخاري بثلاثة ومسلم بثلاثة عشر.

٣- ميمونة بنت الحارث الهلالية رضي الله عنها (ت٥١هـ) وهي من أصحاب العشرات، روت (٧٦) حديثاً، وتأتي في الترتيب الثالثة بين أمهات المؤمنين مع أم حبيبة وحفصة، ولها في الكتب الستة (٣١) حديثاً، في الصحيحين سبعة أحاديث انفرد البخاري بحديث ومسلم بخمسة.

^١ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل، البداية والنهاية، دار المعرفة، ط٧، ٢٠٠٢م، ج٧، ص٤٨٦.

^٢ ابن سعد، أبو عبد الله محمد، الطبقات الكبرى، مرجع سابق، ج٢، ص٣٧٤.

^٣ الخُفْش، د. فيصل عفيف، عائشة أم المؤمنين أفقه نساء الأمة على الإطلاق، دار عمار، عمان، ط٢٠١١م، ص٢٨٩.

ومن لطائف التخصص في الرواية أن معظم مرويات أم المؤمنين ميمونة كانت موزعة في محارمها، وفيهم ابن عباس رضي الله عنه الذي روى معظم حديثها، وكأنه تخصص في الرواية عنها.

٤- أم حبيبة بنت أبي سفيان رضي الله عنها (ت ٤٤هـ)، وهي من أصحاب العشرات، روت (٦٥) حديثاً، ولها في الكتب الستة (٢٩)، واتفق البخاري ومسلم على حديثين.

٥- حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما (ت ٤١هـ)، وهي من أصحاب العشرات، فلها (٦٠) حديثاً، اتفق الشيخان على أربعة أحاديث، وانفرد مسلم ب (٦)، ومجموع مروياتها في الكتب الستة (٢٨) حديثاً، جاءت في الطهارة والصيام والمناسك والآداب وغيرها، ويغلب على مروياتها الأحاديث الفعلية شأنها شأن سائر أمهات المؤمنين.

٦- زينب بنت جحش رضي الله عنها (ت ٢٠هـ)، لها في الكتب الستة خمسة أحاديث، اتفق البخاري ومسلم على حديثين منها، ومن أشهر من روى عنها ابن أخيها محمد بن عبد الله بن جحش، وأم المؤمنين حبيبة.

٧- صفية بنت حيي بن أخطب رضي الله عنها (ت ٣٦هـ) روت ١٠ أحاديث، واحد منها متفق عليه، كما روت في الكتب الستة.

٨- جويرية بنت الحارث رضي الله عنها (ت ٥٠ وقيل ٥٦ هـ)، روت (٧) أحاديث، (٤) منها في الكتب الستة، وعند البخاري حديث، وعند مسلم حديث أيضاً.

٩- سودة بنت زمعة رضي الله عنها (ت ٥٤ هـ)، ولها (٣) أحاديث فقط، اثنان في الكتب الستة، وواحد في البخاري .

تقول الدكتورة عفاف عبد الغفور حميد: " ويلاحظ على روايات أمهات المؤمنين ما يأتي:

- لها درجة متميزة لكونها مرفوعة إلى النبي ﷺ.

- نقلهن سيرة النبي ﷺ ونشرها إلى الأمة، ولولاهن لفاتنا الكثير من السنن القيمة، ولذلك كنَّ عمدة في رواية أفعاله المعيشية وخاصة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها¹.

¹ حميد، عفاف عبد الغفور، جهود المرأة في نشر الحديث وعلومه، منشورات الجامعة الإسلامية، ماليزيا.

أما عن أبرز ما روت أمهات المؤمنين رضي الله عنهن فيما يتعلق بالحياة الخاصة للنبي ﷺ وما نقلوه من وصف له داخل بيته فمن ذلك:

• ما يتعلق بالغسل والطهارة والجماع:

روت أمهات المؤمنين أحاديث كثيرة في بيان وصف غسل وطهارة النبي ﷺ، ومن ذلك:

١. حكاية اغتساله ﷺ مع زوجاته في إناء واحد:

روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أغتسلُ أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد وهو بينهما)^١

ومثله روت أم المؤمنين أم سلمة كذلك كما في البخاري ومسلم، حكاية عن اغتسالها مع النبي ﷺ في الإناء الواحد من الجنابة.

٢. مباشرته ﷺ لبعض أمهات المؤمنين وهن حيض:

فعن عائشة رضي الله عنها: (كان رسول الله ﷺ يباشر نساءه فوق الإزار وهن حيض)^٢

ومثله كذلك روت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها كما في مسند أحمد ومسلم والنسائي وأبي داود وغيرهم من الرواة.

فقد روت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع معي وأنا حائض وبينني وبينه ثوب)^٣.

وكذا روت أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت: " بينا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعة في خميصة إذ حضت فانسلت فأخذت ثياب حيضتي قال: أنفست؟ قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميصة"^٤.

ومما يلاحظ هنا أن بعض المواقف والمشاهد الحياتية للنبي ﷺ تكرر ذكره بتكرار من ذكره من أمهات المؤمنين، وهذا يدل على أن النبي ﷺ كان يعدل في زوجاته من ناحية ومن ناحية أخرى فيه مزيد تثبيت وتأكيد لصحة الرواية.

^١ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح 24749، ورواه: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، ح 295.

^٢ أحمد بن حنبل، المسند، ح ٢٣٥٢٦، ورواه: مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار، ح 294

^٣ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب الاضجاع مع الحائض في لحاف واحد، ح ٢٩٢.

^٤ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحيض، باب من سمي النفاس حيضاً والحيض نفاساً، ح ٢٩٤.

٣. قراءته ﷺ القرآن في حجر الحائض من أمهات المؤمنين:

عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ: (كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن)^١.
ومثله روت أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها كما في مسند أحمد والنسائي وغيرهما.

٤. مباشرته لأمهات المؤمنين وهو صائم:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يباشرني وهو صائم، وكان أملككم لإربه)^٢.
وتروي أم سلمة رضي الله عنها قالت: (أن النبي ﷺ كان يُقبلها وهو صائم)^٣.

٥. وصف غسل النبي ﷺ:

فعن أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها قالت: (أدنيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء، ثم أفرغ به على فرجه وغسله بشماله ثم ضرب بشماله الأرض فدلكتها دلكتاً شديداً، ثم توضأ وضوءه للصلاة، ثم أفرغ على رأسه ثلاث حفنات ملء كفه، ثم غسل سائر جسده، ثم تنحى عن مقامه ذلك فغسل رجله، ثم أتيته بالمنديل فردّه)^٤.

ففي هذه الرواية ما فيها من تفصيلٍ لمشهد غسل النبي ﷺ بشكل كامل، وهو ما يعمق ظاهرة التخصص لدى أمهات المؤمنين، وهو ليس تخصص عام بل تخصص دقيق يبحث فيه الراوي ويحكي الرواية بدقائقها وتفصيلاتها.

٦. وصف صيام النبي ﷺ عندما يستيقظ وهو على جنابة:

وصفت عائشة رضي الله عنها وأم سلمة رضي الله عنها موقف النبي ﷺ من الصيام عندما يستيقظ من نومه على جنابة ففي البخاري: (عن أبي بكر قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقصُّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم.

فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث لأبيه فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن، وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حُلْم ثم يصوم.

^١ أحمد بن حنبل، المسند، ح 24341، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الحيض، باب قراءة الرجل في حجر امرأته وهي حائض، ح 293.

^٢ أحمد بن حنبل، المسند، ح 25186، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب المباشرة للصائم، ح 1826

^٣ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الحيض، باب النوم مع الحائض، ح ٣١٦.

^٤ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الحيض، باب صفة الغسل من الجنابة، ح (٣١٧).

قال فانطلقنا حتى دخلنا على مروان فذكر ذلك له عبد الرحمن فقال مروان: عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول، قال: فجئنا أبا هريرة وأبو بكر حاضر ذلك كله قال: فذكر له عبد الرحمن فقال أبو هريرة: أهما قالتاه لك؟ قال: نعم قال: هما أعلم.

ثم ردَّ أبو هريرة رضي الله عنه ما كان يقول في ذلك إلى الفضل بن العباس فقال أبو هريرة سمعت ذلك من الفضل ولم أسمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال: فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك، قلت لعبد الملك: أقاتلنا في رمضان؟ قال: كذلك كان يصح جنبا من غير حلم ثم يصوم^١.

ويظهر لنا من خلال هذه الرواية قيمة التخصص في الرواية وكيف أن أهل التخصص يُردُّ لهم الأمر وأن كلامهم مقدم على من سواهم من الأفاضل، فعائشة رضي الله عنها أكثر تخصصاً في هذا الأمر الدقيق من أبي هريرة رضي الله عنه بحكم قربها من النبي ﷺ، لأجل ذلك كان كلامها مقدماً على كلام أبي هريرة رضي الله عنه.

● سؤال النبي ﷺ عن ضيوف بيته:

عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها رجل، قال: فقال: من هذا؟ قالت: أخي من الرضاعة، فقال النبي ﷺ انظروا من ترضعون، فإما الرضاعة من المجاعة)^٢.

● إذنه ﷺ باللغو المباح لأهله:

وفي اللغو المباح في بيت النبوة عدة أدلة وعدة مشاهد ووقفات تحكي بشرية النبي ﷺ وأزواجه من جهة كما تحكي تواضعه ﷺ ولينه وسماحة نفسه وحبه لأهله واختياره التيسير عليهم من جهة أخرى، ومما جاء في ذلك:

١.مسألة الضرب بالدف للنساء:

فعن عائشة رضي الله عنها (أن أبا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان تضربان بدفين، فانتهرهما أبو بكر، فقال له النبي ﷺ: دعهن، فإن لكل قوم عيداً)^٣.

٢.مسألة مسابقة النساء:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا، حتى إذا رهقني اللحم سابقني، فسبقني، فقال: هذه بتيك)^١.

^١ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب صحة صوم من طلع عليه الفجر وهو جنب، ح ١١٠٩.
^٢ أحمد بن حنبل، المسند، ح 25262، ورواه مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب إمام الرضاعة من المجاعة، ح 1455

^٣ أحمد بن حنبل، المسند، ح 23529، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب العيدين، باب الحراب والدرق يوم العيد، ح 907.

٣.مسألة اللهو بالنظر المباح:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ في حجرتي يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة كيف يلعبون، حتى أكون أنا أسأم وأقدر قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو).^٢

٤.مسألة تشجيع لعب البنات مع أقرانهن وصاحباتهن:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت ألعب بالبنات ويجيء صواحيبي فيلعبن معي، فإذا رأين رسول الله ﷺ تعمقن منه، وكان رسول الله ﷺ يدخلهن عليّ فيلعبن معي)^٣

ومما يلاحظ من الروايات التي بينت اللهو المباح هنا أنها كلها من طريق عائشة رضي الله عنها، ولعل سن عائشة رضي الله عنها الصغير دون سائر زوجات النبي ﷺ هو الذي جعلها تستحضر الرواية في هذا الموضوع لن اللهو للصغير أقرب منه للكبير.

ونلاحظ هنا كيف كان لعمر الراوي دوره في الرواية عدا عن دَوْر قُرْب الراوي وهو هنا عائشة رضي الله عنها من حضرة النبي ﷺ، ليتأكد لدينا أن هنالك أسباباً موضوعية تدعم التخصص في الرواية ومنها هذين السببين:

١. عمر الراوي عند تحمل الرواية.

٢. مدى قرب الراوي من النبي ﷺ.

• وصفٌ عام لحال النبي ﷺ مع أهله وخدمه:

جاء في الروايات عن أمهات المؤمنين رضي الله عنهن ما يبين الحالة العامة التي كان عليها النبي ﷺ في بيته وعنده أهله مما يظهر جانباً من أخلاقه الكريمة ﷺ ويبين حسن معشره مع أهله وخدمه، ومن ذلك ما روت عائشة رضي الله عنها قالت:

(ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل، وما عرض عليه أمران أحدهما أيسر من الآخر إلا أخذ بأيسرهما، إلا أن يكون مأثماً، فإن كان مأثماً كان أبعد الناس منه).^٤

^١ أحمد بن حنبل، المسند، ح23598، ورواه ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد، سنن ابن ماجه، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٦م، كتاب النكاح، باب حسن معاشره النساء، ح1979، ورواه ابن أبي شيبة، في المصنف، كتاب الجهاد، باب السباق على الأقدام، ح4934، وهو صحيح الإسناد.

^٢ أحمد بن حنبل، المسند، ح24031، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب نظر المرأة إلى الحبشة ونحوهم من غير ريبه، ح4938

^٣ أحمد بن حنبل، المسند، ح23777، ورواه الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مسند النساء، ذكر أزواج النبي ﷺ، ح٢٧٧، ورواه النسائي، أحمد بن شعيب، السنن الكبرى، كتاب الشهادات، باب ما جاء في اللعب بالبنات، ح٢٣٥، وهو صحيح الإسناد.

^٤ أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح23514، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب ما يكره من ضرب النساء وقول الله "واضربوهن" أي ضرباً غير مبرح، ح4908

وتروي ميمونة رضي الله عنها كيف تصرف معها النبي ﷺ يوم أعتقت خادمتها دون إذنه ﷺ، فتقول: (أنها أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أي أعتقت وليدتي؟ قال: أو فعلت؟، قالت: نعم، قال: أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)¹.

وتروي أم سلمة رضي الله عنها موقفاً جرى في بيتها يخص جارية مريضة لها، وكيف أن النبي ﷺ قد اهتم لأمر هذه الجارية ووصف لها علاجاً، فقد روت رضي الله عنها قالت: (أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة)².

• وصف صلاته في بيته ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار، قد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وأنا معترضة بين يديه، فإذا أراد أن يسجد غمز - يعني رجلي - فضممتها إلي ثم يسجد)³.

وتروي كذلك أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض وربما أصابني ثوبه إذا سجد، قالت: وكان يصلي على الخُمرة)⁴.

وتروي أم سلمة حكاية صلاة الركعتين بعد العصر اللتان صلاهما النبي ﷺ في بيتها، وهي تبين في روايتها ما يرفع الإشكال في مسألة الصلاة بعد العصر كذلك فقد روى البخاري (أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا عنك أنك تصلينهما وقد بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها).

وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها فقال كريب فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فبلغتها ما أرسلوني فقالت: سل أم سلمة: فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ثم رأيت يصليهما حين صلى العصر ثم دخل عليّ وعندني نسوة من بني حرام من الأنصار فأرسلتُ إليه الجارية فقلت قومي بجنبه فقولي له: تقول لك أم سلمة يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين، وأراك

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الهبة، باب الحث على الهبة والتحريض عليها، ح ٢٤٣٢.

² السابق، كتاب الطب، باب ما أنزل من داء إلا أنزل له شفاء، ح ٥٤٠٧.

³ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 23649، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب هل يغمز الرجل امرأته عند السجود لكي يسجد؟، ح 497.

⁴ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب إذا أصاب ثوب المصلي امرأته إذا سجد، ح (٣٧٢).

تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان^١.

ومن هذا الحديث يتبين كيف يسأل الصحابة أهل التخصص في المسائل، ليخرجوا بأدق الإجابات المؤيدة بالدليل، وأمهاة المؤمنين صاحبات تخصص في كثير من المسائل التي تتعلق بأحوال النبي ﷺ القريبة منه أو الخاصة.

وتروي أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها قالت: (لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته جالساً قط حتى كان قبل موته بعام أو بعامين فكان يصلي في سبحته جالساً ويقرأ السورة فيرتها حتى تكون أطول من أطول منها)^٢.

كما تحكي عائشة رضي الله عنها حكاية صلاة التطوع في بيتها للنبي ﷺ فتقول بشكل تفصيلي ودقيق، فقد روى مسلم حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ عَنْ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ قَالَ: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ تَطَوُّعِهِ فَقَالَتْ كَانَ يُصَلِّي فِي بَيْتِي قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعًا ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ تِسْعَ رَكْعَاتٍ فِيهِنَّ الْوُتْرُ وَكَانَ يُصَلِّي لَيْلًا طَوِيلًا قَائِمًا وَلَيْلًا طَوِيلًا قَاعِدًا وَكَانَ إِذَا قَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَائِمٌ وَإِذَا قَرَأَ قَاعِدًا رَكَعَ وَسَجَدَ وَهُوَ قَاعِدٌ وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ)^٣.

وفي هذه الرواية ما فيها من تأكيد أهمية التخصص في الرواية كيف لا وعائشة رضي الله عنها وهي المتخصصة بمرويات بيت النبوة تحكي هنا خبر السنن الراتبه وتطوع النبي ﷺ في الليل والنهار، بشكل لا يحتاج بعد أحد إلى التفصيل والبحث في الموضوع ذاته.

• بيان ما كان يبدأ به النبي ﷺ بيته:

عَنْ الْمُفْدَمِ بْنِ شُرَيْحٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: (سَأَلْتُ عَائِشَةَ قُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قَالَتْ: بِالسُّوَاكِ)^٤.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب السهو، باب إذا كلم وهو يصلي، ح ١١٦٧.

^٢ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ٢٦٤٤١، وإسناده صحيح.

^٣ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة النافلة قائماً، ح ٧٣٠.

^٤ السابق، كتاب الطهارة، باب السواك، ح ٣٧١.

● معالجة النبي ﷺ لغيرة بعض نسائه:

تعد الغيرة من أشد الصفات التي تميز النساء عن الرجال، حتى أنك قد تجد كثيراً من المشكلات الاجتماعية الأسرية إنما تتسبب بها هذه الخصلة، وهي وإن لم تكن بالخصلة المذمومة على الإطلاق، إلا أنها في الغالب آفة مزعجة تحمل الإنسان على فعل أمور لا تليق، وقد بينت الروايات عن أمهات المؤمنين تحديداً جانباً من معاناة ومعالجة النبي ﷺ لغيرة نسائه لا سيما غيرة أمنا أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ومن ذلك:

١. غيرة عائشة رضي الله عنها على النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قام النبي ﷺ من فراشه في بعض الليل فظننت أنه يريد بعض نسائه فتبعته حتى قام على المقابر فقال: السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا بكم لاحقون، ثم قال: اللهم لا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم، قالت: فالتفت فرآني فقال: ويحها لو تستطيع ما فعلت).^١

٢. غيرة نساء النبي ﷺ من عائشة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (اجتمعن أزواج النبي ﷺ فأرسلن فاطمة إلى النبي ﷺ فقلن لها قولي له إن نساءك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت:

فدخلت على النبي ﷺ وهو مع عائشة في مرطها، فقالت له إن نساءك أرسلنني إليك وهن ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، فقال لها النبي ﷺ:

أتحبيني؟ قالت: نعم قال: فأحبها، فرجعت إليهن فأخبرتهن ما قال لها فقلن: إنك لم تصنعي شيئاً فارجعي إليه، فقالت:

والله لا أرجع إليه فيها أبداً، (قال الزهري): وكانت ابنة رسول الله ﷺ حقاً، فأرسلن زينب بنت جحش قالت عائشة: هي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ قالت:

إن أزواجك أرسلنني إليك وهن ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة، قالت: ثم أقبلت عليّ تشتمني فجعلت أراقب النبي ﷺ وأنظر إلى طرفه، هل يأذن لي في أن أنتصر منها فلم يتكلم قالت:

فشتمتني حتى ظننت أنه لا يكره أن أنتصر منها، فاستقبلتها فلم ألبث أن أفحمتها، قالت فقال لها النبي ﷺ: إنها ابنة أبي بكر، قالت عائشة:

^١ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح24280، ورواه مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب إطالة الغرة، ح249.

ولم أر امرأة خيراً منها وأكثر صدقة وأوصل للرحم، وأبذل لنفسها في كل شيء يُتقرب به إلى الله عز وجل من زينب، ما عدا سورة من غرب حدّ كان فيها، توشك منها الفيئة^١.

٣. غيرة عائشة رضي الله عنها من نساء النبي ﷺ عموماً:

أ. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل عليّ رسول الله ﷺ في اليوم الذي بُدئ فيه فقلتُ وأرأساه، فقال: وددتُ أن ذلك كان وأنا حيٌّ فهبأتكِ ودفنتكِ، قالت: فقلت: غيري، كأني بك في ذلك اليوم عروساً ببعض نسائك، قال: وأنا وأرأساه ادعوا إليّ أباك وأخاك حتى أكتب لأبي بكر كتاباً فيني أخاف أن يقول قائل ويتمنى متمنٌ أنا أولى وأبي الله عز وجل والمؤمنون إلا أبا بكر)^٢.

ب. عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (يا رسول الله كل نسائك لها كنية غيري، قال: أنت أم عبد الله)^٣.

٤. غيرة عائشة رضي الله عنها من صفة رضي الله عنها:

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: (ما رأيتُ صانعة طعام مثل صفة أهدت إلى النبي ﷺ إناءً فيه طعام، فما ملكتُ نفسي أن كسرتَه، فقلت: يا رسول الله، ما كفارتَه؟ فقال ﷺ: إناء كإناء، وطعام كطعام)^٤.

٥. غيرة عائشة وحفصة من زينب بنت جحش رضي الله عنهم أجمعين:

عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ (كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحدهما فقالت ذلك له فقال: بل شربتُ عسلاً عند زينب بنت جحش ولن أعود له فنزلت " لم تحرم ما أحل الله لك" إن تتوبا لعائشة وحفصة،"وإذ أسرَّ النبي إلى بعض أزواجه" لقوله بل شربت عسلاً)^٥

٦. عائشة رضي الله عنها تبرر غيرتها على النبي ﷺ :

^١ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح24648، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الهبة، باب من أهدى إلى صاحبه وتحرى بعض نسائه دون بعض، ح2442.

^٢ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح24589، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المرضى، باب شدة المرض، ح5342.

^٣ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح25252، ورواه الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الكبير، مرجع سابق، مسند النساء، ح35، ورواه الصنعاني، عبد الرزاق، المصنف، دار التراث العربي، ط1990م، كتاب الجامع، باب الأسماء والكنى، ح19858، وإسناده صحيح.

^٤ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح24629، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المظالم، باب إذا كسر قصعة أو شيئاً لغيره، ح2349.

^٥ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح25324، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الطلاق، باب لم تحرم ما أحل الله لك، ح4966.

عن عائشة رضي الله عنها:

(أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا لَيْلًا قَالَتْ: فَغَرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: مَا لِكَ يَا عَائِشَةُ أَغْرَتِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَخَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ؟ قَالَ نَعَمْ قُلْتُ: وَمَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: وَمَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ وَلَكِنْ رَبِّي أَعَانَنِي عَلَيْهِ حَتَّى أَسْلَمَ).¹

وبالنظر في مسألة الغيرة هذه في بيت النبي ﷺ نجد أن هذا الوصف من أمهات المؤمنين لمشاهد الغيرة في بيت النبوة له دلالات عديدة منها:

١. التأكيد على بشرية النبي ﷺ من جهة ثم بشرية نساءه أمهات المؤمنين من جهة أخرى.

٢. التحقق من منهج النبي ﷺ في معالجته للغيرة عند أمهات المؤمنين ومن ذلك:
أ. العدل في المعاملة.

ب. مراعاة حال المرأة وطبيعتها وعاطفتها ومحاولة إشباع ذلك عندها.

ج. الصبر وسعة الصدر والقدرة على تحمل الحساسية المفرطة عند النساء لا سيما بين الضرائر اللاتي يجتمعن للرجل العظيم بل لأعظم الرجال سيدنا محمد ﷺ.

• الرفق والعدل النبوي بين أمهات المؤمنين:

- فمن باب الرفق النبوي بأمهات المؤمنين:

عن أم بكر بنت المسور أن عبد الرحمن بن عوف باع أرضاً له من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار فقسمه في فقراء بني زهرة وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين، قال المسور: فأتيت عائشة بنصيبها، فقالت: من أرسل بهذا؟ فقلت: عبد الرحمن، قالت: أما إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يحنو عليك بعدي إلا الصابرون، سقى الله عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة)².

وروت أم سلمة رضي الله عنها حكاية استيقاظ النبي ﷺ فزعاً من نومه وإشفاقه على نسائه من الفتن، فتقول رضي الله عنها: (استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً يقول: سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يريد أزواجه لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)³.

¹ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب صفة القيامة، ح ٢٨١٥.

² أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 24203، ورواه الطبراني، سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، ح 9111، والترمذي، محمد بن عيسى، جامع الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب عبد الرحمن بن عوف، ح 3749، وإسناده صحيح.

³ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الفتن، باب قول الله: واتقوا فتنة، ح 66٥٨.

- ومن باب العدل النبوي بين أمهات المؤمنين:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين نسائه فأيتهاً خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه مسيرنا، حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوه وقفل ودنونا من المدينة...)¹

وروت أم سلمة رضي الله عنها رواية تؤكد أيضاً عدل النبي ﷺ بين نسائه فتقول: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج أم سلمة أقام عندها ثلاثاً وقال: إنه ليس بك على أهلك هوان، إن شئت سبعتُ لك، وإن سبعتُ لك سبعتُ لنسائي)².

يقول النووي في شرحه لهذا الحديث: "وفي هذا الحديث استحباب ملاطفة الأهل والعيال وغيرهم وتقريب الحق من فهم المخاطب ليرجع إليه، وفيه العدل بين الزوجات"³.

• وصف غضب أو انفعال النبي ﷺ في بيته:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: (مروا أبا بكر يصلي بالناس، قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف فمتى يقوم مقامك تدركه الرقة، قال النبي ﷺ: إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس، فصلى أبو بكر وصلى النبي ﷺ خلفه قاعداً)⁴.

وتروي أم سلمة رضي الله عنها كيف أن النبي ﷺ هجر زوجته شهراً، فتقول: (أن النبي صلى الله عليه وسلم حلف أن لا يدخل على بعض أهله شهراً، فلما مضى تسعة وعشرون يوماً غدا عليهم أو راح، فقيل له: حلفت يا نبي الله أن لا تدخل علينا شهراً، قال: إن الشهر يكون تسعة وعشرين يوماً)⁵.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 25095، ورواه مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة، ح 2445

² مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الرضاع، باب قدر ما تستحقه البكر والثيب من إقامة الزوج عندها عقب الزفاف، ح 1460.

³ النووي، يحيى بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، ط دار الخير، ط 1996م، ج 7 ص 345.
⁴ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 25195، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصلاة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، ح 633.

⁵ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، ح 1080.

وتحكي عائشة مشهداً شديداً من مشاهد غضب النبي ﷺ بل ودعائه عليها فتقول:

(دَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَسِيرٍ فَلَهُوْتُ عَنْهُ فَذَهَبَ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا فَعَلَ الْأَسِيرُ قَالَتْ لَهُوْتُ عَنْهُ مَعَ النَّسْوَةِ فَخَرَجَ فَقَالَ مَا لِكَ قَطَعَ اللَّهُ يَدَكَ أَوْ يَدَيْكَ فَخَرَجَ فَأَذَنَ بِهِ النَّاسَ فَطَلَبُوهُ فَجَاءُوا بِهِ فَدَخَلَ عَلَيَّ وَأَنَا أَقْلَبُ يَدَيَّ فَقَالَ مَا لِكَ أَجْنَنْتِ قُلْتُ دَعَوْتُ عَلَيَّ فَأَنَا أَقْلَبُ يَدَيَّ أَنْظُرُ أَيُّهُمَا يُفْطَعَانِ فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَتْنَى عَلَيْهِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا وَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي بَشَرٌ أَغْضَبُ كَمَا يَغْضَبُ الْبَشَرُ فَأَيُّمَا مُؤْمِنٍ أَوْ مُؤْمِنَةٍ دَعَوْتُ عَلَيْهِ فَاجْعَلْهُ لِي زَكَاةً وَطُهورًا)¹.

• وصف تمشيط شعر النبي ﷺ:

تروي أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها: (أنها كانت ترجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالت مرة: كنت أرجل رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مخضب من صفر)².

• وصف عميق حب النبي ﷺ لأمهات المؤمنين:

وقد حظيت عائشة رضي الله عنها بجانب وفير من هذا الحب النبوي، لأجل ذلك كانت لها روايات كثيرة تظهر حب النبي ﷺ لها ومن ذلك:

١. إرهاصات الزواج بها من النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ: (أريتك في المنام مرتين ورجل يحملك في سرقة من حرير فيقول: هذه امرأتك، فأقول: إن يك هذا من عند الله عز وجل مُضه)³.

٢. بيان عمرها عند الزواج بها من النبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها (أن النبي ﷺ تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين)⁴.

٣. السلام عليها من جبريل ﷺ:

¹ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، مرجع سابق، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها، ح ٢٣٧٢٨، وإسناده صحيح.
² أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ٢٦٢١٢، وإسناده صحيح، وهو عند ابن ماجه، السنن، مرجع سابق، كتاب الطهارة، باب الوضوء بالصفر، ح ٤٧٢.
³ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 23622، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب التعبير، باب كشف المرأة في المنام، ح 6609.

⁴ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 25241، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب تزويج الأب ابنته من الإمام، ح 4841.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (رأيتك يا رسول الله وأنت تكلم دحية الكلبي، فقال: وقد رأيته؟
قالت: نعم، قال: فإنه جبريل وهو يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام ورحمة الله، جزاه الله من زائر
ودخيل، فنعم الصاحب، ونعم الدخيل)¹.

٤. ملاطفة النبي ﷺ لها:

أ. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (قال لي رسول الله ﷺ إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت
علي غضبي، قالت فقلت: من أين تعلم ذلك؟، قال إذا كنت عني راضية فإنك تقولين لا ورب محمد، وإذا
كنت علي غضبي تقولين لا ورب إبراهيم عليه السلام، قلت: أجل، والله ما أهجر إلا اسمك)².

ب. عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فيّ
وأتعرق العرق وأنا حائض فأناوله فيضع فاه على موضع فيّ)³.

٥. استئذان النبي ﷺ أزواجه أن يعالج عند عائشة رضي الله عنها:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لَمَّا ثَقُلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَاشْتَدَّ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ
يُمرَّضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَ لَهُ)⁴.

٦. آخر عهدا بالنبي ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (مات رسول الله ﷺ وإنه ليين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت
لأحد أبداً بعد ما رأيت من رسول الله ﷺ)⁵.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح23432، ورواه مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل عائشة، ح2447.

² أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح23797، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب غيرة النساء ووجدهن، ح4930.

³ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح25066، ورواه مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله وطهارة سورها والاتكاء في حجرها وقراءة القرآن فيه، ح300.

⁴ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الهبة وفضلها، باب هبة الرجل لامرأته، ح2448.

• وصف تطهير النبي ﷺ لبيته من موانع دخول الملائكة إليه:

تروي أم المؤمنين ميمونة رضي الله عنها كيف كان النبي ﷺ يحرص على طهارة بيته لا سيما من كل مانع يمنع من دخول أمين الوحي جبريل عليه السلام إليه، فمما روت من ذلك أنها قالت: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصبح يوماً واجماً، فقالت ميمونة: يا رسول الله لقد استنكرتُ هيتك منذ اليوم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن جبريل كان وعدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني أم والله ما أخلفني. قال: فظل رسول الله صلى الله عليه وسلم يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جرو كلب تحت فسطاط لنا فأمر به فأخرج، ثم أخذ بيده ماءً فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريل فقال له: قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة. قال: أجل ولكننا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ فأمر بقتل الكلاب، حتى إنه يأمر بقتل كلب الحائط الصغير ويترك كلب الحائط الكبير).^٢

وتروي أم المؤمنين أم سلمة في مسألة إخراج المخنث من بيتها فتقول: (أن النبي ﷺ كان عندها وفي البيت مخنث فقال المخنث لأخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله لكم الطائف غداً أدلك على بنت غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا يدخلن هذا عليكن).^٣

¹ أحمد بن حنبل، المسند، باقي مسند الأنصار، حديث عائشة، ح 23833، ورواه البخاري، الجامع الصحيح، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ح 4181.

² مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب الكلب والصورة في البيت، ح 2105.

³ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب النكاح، باب ما ينهى من دخول المتشبهين بالنساء على المرأة، ح 4937.

• وصف مشهد إدارة الأزمات في البيت النبوي الشريف:

ولعل أعظم أزمة عاشها بيت النبوة أزمة اتهام المنافقين لأم المؤمنين عائشة بالفاحشة، فتحكي أمنا عائشة رضي الله عنها مشهد حادثة الإفك هذه بتفصيلها ودقائق شأنها وتبين موقف النبي ﷺ منها ومنهجيته الكريمة في إدارة هذه الأزمة حتى جاء الحل والدواء الأخير لها من رب العزة سبحانه وتعالى، فيروي البخاري رحمه الله يقول:

(عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةٌ مِنْ حَدِيثِهَا وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ وَأَتَبَتْ لَهُ افْتِصَاصًا وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ قَالُوا قَالَتْ عَائِشَةُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَفْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمًا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ قَالَتْ عَائِشَةُ فَأَفْرَعَ بَيْنَنَا فِي عَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أَنْزَلَ الْحِجَابَ فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأَنْزَلَ فِيهِ، فَمَرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَزْوَتِهِ تَلَكَّ وَقَفَلَ دَنُونًا مِنَ الْمَدِينَةِ قَافِلِينَ آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عَفْدٌ لِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ.

قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرْحَلُونِي فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْتَلُنَّ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ خِفَةَ الْهُودَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَعْنَا الْجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَ الْجَيْشُ فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بِنْتُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيِّ تَمُّ الدُّكْوَانِي مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتِي، وَكَانَ رَأَيْ قَبْلِ الْحِجَابِ فَاسْتَنْقَطُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ فَوَطِئَ عَلَى يَدَيْهَا فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَأَنْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نَزُولٌ.

قَالَتْ: فَهَلَّكَ مَنْ هَلَّكَ وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ الْإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ قَالَ عُرْوَةُ أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيَتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ فَيَقْرَهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ وَقَالَ عُرْوَةُ أَيُّضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ أَيُّضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَمِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ فِي نَاسٍ آخَرِينَ لَا عَلِمَ لِي بِهِمْ غَيْرَ أَنَّهُمْ عَضَبَةٌ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّ كِبَرَ ذَلِكَ يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ سَلُولٌ.

قَالَ عُرْوَةُ كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانُ وَتَقُولُ إِنَّهُ الَّذِي قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ

قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ حِينَ قَدِمْتُ شَهْرًا وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَصْحَابِ الْإِفْكِ لَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَهُوَ يَرِيئِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللَّطْفَ الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي إِمَّا يَدْخُلُ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَسَلُّمُ ثُمَّ يَقُولُ كَيْفَ تَيْكُمُ ثُمَّ يَنْصَرِفُ، فَذَلِكَ يَرِيئِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ حَتَّى خَرَجْتُ حِينَ نَقَهْتُ فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَكَانَ مُتَبَرِّزًا، وَكُنَّا لَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُفْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا قَالَتْ وَأَمَرْنَا أُمَّ الْعَرَبِ الْأُولَى فِي الْبَرِيَّةِ قَبْلَ الْعَائِطِ وَكُنَّا نَتَأَدَّى بِالْكَفِّ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا.

قَالَتْ: فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ وَهِيَ ابْنَةُ أَبِي رُهْمٍ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وَأُمُّهَا بِنْتُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أَنَاثَةَ بْنِ عَبَادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ بَنَاتِي حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطَهَا فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحُ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ أَتَسْبِينَ رَجُلًا شَهَدَ بَدْرًا؟ فَقَالَتْ أَيُّ هَنَاتِهِ وَلَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قَالَتْ: وَقُلْتُ مَا قَالَ فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، قَالَتْ: فَازْدَدْتُ مَرَضًا عَلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: كَيْفَ تَيْكُمُ؟ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، قَالَتْ: فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ يَا بُنَيَّةُ: هُوَ يَنْقُلُ عَلَيْكَ قَوْلَ اللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةٌ قَطُ وَضِيئَةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا لَهَا صَرَائِرُ إِلَّا كَثُرَ عَلَيْهَا.

قَالَتْ فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ أَوْ لَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهِدَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرَقُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَجِلُ بِنَوْمٍ ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبِي، قَالَتْ: وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبَتْ الْوَحْيُ يَسْأَلُهُمَا وَيَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلَكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصُدِّقْكَ.

قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: أَيُّ بَرِيرَةَ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيئُكَ؟ قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَعْمِصُهُ غَيْرَ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنُّ تَتَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ فَاسْتَعَدَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيٍّ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ: مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَدَاهُ فِي أَهْلِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي.

قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ أَخُو بَنِي عَبْدِ الْأَشْهَلِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عَنْقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْخَزْرَجِ وَكَانَتْ أُمُّ حَسَّانَ بِنْتُ عَمِّهِ مِنْ فَخْدِهِ وَهُوَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ قَالَتْ: وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا وَلَكِنْ احْتَمَلْتُهُ الْحَمِيَّةُ فَقَالَ لِسَعْدٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ وَلَوْ كَانَ مِنْ رَهْطِكَ مَا أَحْبَبْتَ أَنْ يُقْتَلَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدٍ فَقَالَ لِسَعْدٍ بِنِ عَبَادَةَ كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَتَقْتُلُنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ.

قَالَتْ: فَتَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَفْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ كُلَّهُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ قَالَتْ وَأَصْبَحَ أَبَوَايَ عِنْدِي وَقَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ حَتَّى إِنِّي لَأَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ قَالِقُ كَيْدِي فَبَيْنَا أَبَوَايَ جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْيُ فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَذْنَتْ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي قَالَتْ: فَبَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا فَسَلَّمَ ثُمَّ جَلَسَ قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ قَبْلَهَا وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: أَمَا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيِّرِيكِ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلَمْتِ بِدَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً فَقُلْتُ لِأَبِي: أَحِبَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِّي فِيمَا قَالَ، فَقَالَ أَبِي وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لِأُمِّي أَحِبِّي رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا قَالَ، قَالَتْ أُمِّي: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثُهُ السَّنُّ لَا أَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ كَثِيرًا:

إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَقَدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الْحَدِيثَ حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ وَصَدَقْتُمْ بِهِ فَلَنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي وَلَنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَيُّ مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقَنِي فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهِ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي وَاللَّهِ يَعْلَمُ أَيُّ حِينْتِ بَرِيئَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبْرِيٌّ بِبِرَائَتِي وَلَكِنَّ وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَطْنُ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحَيًّا يُتَى لِشَأْنِي فِي نَفْسِي كَانَ أَحَقَرَ مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ فِيَّ بِأَمْرٍ، وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبْرِئُنِي اللَّهُ بِهَا فَوَاللَّهِ مَا رَأَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِنَ الْعَرَقِ مِثْلَ الْجَمَانِ وَهُوَ فِي يَوْمٍ شَاتٍ مِنْ ثَقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ قَالَتْ: فَسُرِّيَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَكَانَتْ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ يَا عَائِشَةُ أَمَا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأَكَ، قَالَتْ فَقَالَتْ لِي أُمِّي: فُومِي إِلَيْهِ فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَتْ: وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى " إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ " الْعَشْرَ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي...¹.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ح ٣٩١٠.

- ومن أبرز الدلالات التي تتعلق بظاهرة تخصص الروايات بالرواية في موضوعات محددة بناء على هذا الحديث ما يأتي:

- أن عائشة رضي الله عنها وهي صاحبة الحادثة هنا تحكي التخصص الدقيق في الرواية هنا تحديدا وذلك لما في هذه الرواية من خصوصية ولما كان في أحداثها من حرج وألم شديد عليها، ثم لما تبعها من تشريف الله تعالى لها بالبراءة.

- أن في السنة النبوية الكثير من الروايات التي تحكي خبر أصحابها ومواقفهم مع النبي ﷺ وهذه الروايات الخاصة في سببها، عامة في العبرة منها، ويمكننا أن نفيد من كونها وردت على السنة من حصلت لهم الحادثة في التأكيد على ثبوتها نسبياً، بخلاف ما لو رويت على السنة آخرين، لا سيما وأننا لا نشك في عدالة الصحابة الرواة، ولا ننكر ما أثبتوه مما جرى لهم بين يدي النبي ﷺ.

• المبحث الثاني: اختصاص عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في أحاديث الصيد.

قبل تناول مرويات الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي، لا بد من وقفة سريعة نُعرِّف فيها بهذا الصحابي الكريم، فقد ذكر الإمام الذهبي رحمه الله في عرضه لترجمة هذا الصحابي الجليل فقال: "هو عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد، أبو وهب وأبو طريف الطائي، صاحب النبي ﷺ، وكَدِ حاتم طيئ الذي يُضرب بجوده المثل .

وفد عدي على النبي - صلى الله عليه وسلم - في وسط سنة سبع، فأكرمه واحترمه . له أحاديث .

وقد روى عنه: الشعبي ، وسعيد بن جبير ، وخيثمة بن عبد الرحمن ، وقيم بن طرفة ، وعبد الله بن معقل المزني ، ومصعب بن سعد ، وهمام بن الحارث ، وأبو إسحاق السبيعي ، وآخرون.

قال ابن سعد : توفي سنة ثمان وستين وقيل : سنة ست وستين"^١ .

وقد ذكر ابن حزم الأندلسي " أن عدد مرويات عدي بن حاتم قد بلغت ٦٦ رواية"^٢.

وقد اختص عدي رضي الله عنه برواية أحاديث الصيد عن النبي ﷺ، والخصوصية هنا بالرواية لأحاديث الصيد لا تعني أنه لم يرو سوى في هذا الموضوع لكننا نجد لدى مطالعتنا لمروياته أن أحاديث باب الصيد لها حظوة من بين أحاديثه المعدودة القليلة وهذا ما يؤكد اختصاصه بهذا النوع من الأحاديث.

^١الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٣، ص ١٦٣.
^٢ الأندلسي، علي بن حزم، أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحدٍ من العدد، دار الكتب العلمية _ بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

● أما مروياته في الصيد فمنها:

١. عن عدي بن حاتم قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عن صيد المعراض^١ فقال: ما أصبت بحده فكله، وما أصبت بعرضه فهو وقيد^٢، وسألته عن صيد الكلب قال وكيع: إذا أرسلت كلبك وذكرت اسم الله فكل، فقال: وما أمسك عليك ولم يأكل فكله فإن أخذه ذكاته، وإن وجدت مع كلبك كلباً آخر فخشيت أن يكون أخذه معه وقد قتله فلا تأكل فإنك إنما ذكرت اسم الله على كلبك ولم تذكره على غيره)^٣.

٢. عن عدي بن حاتم الطائي قال: قلت يا رسول الله: (إنا نصيد الصيد فلا نجد سكيناً إلا الظرار وشقة العصا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أمرّ الدم بما شئت واذكر اسم الله^٤.

٣. عن عدي بن حاتم قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمني الإسلام ونعت لي الصلاة وكيف أصلي كل صلاة لوقتها ثم قال لي: (كيف أنت يا ابن حاتم إذا ركبت من قصور اليمن لا تخاف إلا الله حتى تنزل قصور الحيرة ، قال: قلت يا رسول الله فأين مقانب طيئ ورجالها قال يكفيك الله طيئاً ومن سواها قال: قلت يا رسول الله إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب والبزاة، فما يحل لنا منها قال: يحل لكم ما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه، فما علمت من كلب أو باز ثم أرسلت وذكرت اسم الله عليه فكل مما أمسك عليك، قلت: وإن قتل قال وإن قتل ولم يأكل منه شيئاً فإمّا أمسكه عليك قلت أفرايت إن خالط كلابنا كلاب أخرى حين

^١ المعراض بالكسر: سهم بلا ريش ولا نصل ، وإمّا يصيب بعرضه دون حده، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج٤، ص٨٩.

^٢ وقيد: بالذال المعجمة بوزن عظيم فاعيل بمعنى مفعول: وهو ما قتل بعضاً أو بحجر أو ما لا حد له ، وانظر، السابق، ج٥، ص٤٣.

^٣ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ١٧٧٨١، وهو في: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصيد، باب التسمية على الصيد، ح ٥١٥٨.

^٤ الظرار : جمع ظرر ، وهو حجر صلب محدد ، ويجمع أيضاً على أظرة، وشقة العصا: حافتها، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق، ج٣، ص٨٠.

^٥ أحمد بن حنبل، المسند، ح ١٧٧٨٦، وهو في: القزويني، ابن ماجه، السنن، كتاب الذبائح، باب إذا ذبحتم فأحسنوا، ح ٣١٧٧.

نرسلها قال لا تأكل حتى تعلم أن كلبك هو الذي أمسك عليك، قلت: يا رسول الله إنا قوم نرمي بالمعراض فما يحل لنا قال لا تأكل ما أصبت بالمعراض إلا ما ذكيت^١.

٤. عن عدي بن حاتم قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيد أصيد، قال: أنهرُوا الدم^٢ بما شئتم واذكروا اسم الله واكلوا^٣).

٥. عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: (إننا قوم نتصيد بهذه الكلاب؟، قال إذا أرسلت كلابك المعلمة وذكرت اسم الله فكل مما أمسكن عليك، وإن قتلت إلا أن يأكل الكلب، فإن أكل فلا تأكل فإني أخاف أن يكون إنما أمسك على نفسه وإن خالطها كلاب من غيرها فلا تأكل^٤).

٦. عن عدي بن حاتم قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصيد؟ قال : (إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله، فإن وجدته قد قتل فكل إلا أن تجده قد وقع في ماء فإنك لا تدري الماء قتله أو سهمك^٥).

هذه بعض روايات مخصوصة رواها الصحابي الجليل عدي بن حاتم الطائي في موضوع الصيد، ولعل من

أبرز ما يميز هذه الروايات:

- أنها جاءت بصورة سؤال يتقدم به عدي بن حاتم رضي الله عنه إلى النبي ﷺ، والنبي ﷺ يجيب.

¹ أحمد بن حنبل، المسند، ح ١٧٧٩٤، وهو في: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الذبائح والصيد، باب التسمية على الصيد، ح ٥١٥٨.

² أنهرُوا من الإنهار: وهو الإسالة والصب بكثرة، شبه خروج الدم من موضع الذبح بجري الماء في النهر، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٢٣.

³ أحمد بن حنبل، المسند، ح ١٧٨٠٣، و في البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصيد، باب التسمية على الصيد، ح ٥١٩٠.

⁴ أحمد بن حنبل، المسند، ح ١٧٨٠٦، وفي: البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الصيد، باب التسمية على الصيد، ح ٥١٦٠.

⁵ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب الصيد بالكلاب المعلمة، ح ١٩٢٩.

- أن في هذه الروايات ما يثبت ممارسة عدي رضي الله عنه للصيد وأنه ليس فقط يسأل للمعرفة بل يسأل للممارسة والتطبيق.

- أن في الروايات المذكورة تفاصيل دقيقة تؤكد عمق تخصص عدي رضي الله عنه في الصيد وأنه ليس مجرد هاوٍ عابر له، وبالتالي فقد اجتمع لعدي رضي الله عنه التخصص العلمي حي الرواية والتخصص العملي حيث ممارسته للصيد فزاد ذلك من ضبطه لما روى، ومن هنا فقد عدَّ الأستاذان الدكتوران سلطان العكايلة ومحمد عيد صاحب من قرائن تفوق الصحابة رضي الله عنهم في الضبط لرواياتهم مسألة التخصص في الرواية وذكروا لذلك أمثلة منها حالة عدي بن حاتم رضي الله عنه والذي تخصص في الرواية لأحاديث الصيد¹.

¹ ينظر للمزيد حول مسألة الضبط وعلاقتها بظاهرة التخصص في الفصل الأخير من هذه الرسالة.

المبحث الثالث: اختصاص أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه في أحاديث الأظعمة والصيد.

"أبو ثعلبة الخشني، هو صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، روى عدة أحاديث، وله عن معاذ بن جبل، وأبي عبيدة وقد حدّث عنه : أبو إدريس الخولاني، وجبير بن نفير ، وأبو رجاء العطاردي ، وأبو أسماء الرحبي ، وسعيد بن المسيب ، نزل الشام وقيل: سكن داريا .

اختلف في اسمه فقيل : جرهم بن ناشم ، قاله أحمد بن حنبل ، وابن معين ، وابن المديني ، وابن سعد ، وأبو بكر بن زنجويه"^١ .

- وقد روى عن النبي ﷺ أربعين حديثاً^٢ .

ويبدو أن اهتمام أبي ثعلبة رضي الله عنه في رواية أحاديث الصيد كانت لأجل تبليغ هدي النبي ﷺ من جهة ولأنه كان في أرض صيد وأنه كان يمارس الصيد، ودليل ذلك ما روى البخاري عنه رضي الله عنه قال:

(قلت يا نبي الله إننا بأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلّم وبكلبي المعلّم فما يصلح لي؟ قال: ما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك فالمعلم فذكرت اسم الله فكل وما صدت بكلبك غير معلم فأدركت ذكاته فكل)^٣ .

فهو هنا رضي الله عنه يحكي حاله وهو في ميدان الصيد ويسأل النبي ﷺ ليتعلم.

^١ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٦٨.

^٢ الأندلسي، علي بن حزم، أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحدٍ من العدد، مرجع سابق، ص ٢٠.

^٣ البخاري، الجامع الصحيح، كتاب الذبائح والصيد، باب التسمية على الصيد، ح ٥١٦١.

أما مروياته في الصيد والأطعمة فهي متعددة وتفيد اهتمامه بهذين الموضوعين تحديداً وذلك قياساً مع ما روى من أحاديث قليلة، ففي الصيد والأطعمة يروي أبو ثعلبة رضي الله عنه أحاديث منها:

١. عن أبي ثعلبة الخشني قال: (قلت يا نبي الله إننا بأرض قوم من أهل الكتاب أفنأكل في آنتهم؟

وبأرض صيد أصيد بقوسي وبكلبي الذي ليس بمعلم وبكلبي المعلم فما يصلح لي؟

قال ﷺ: أما ما ذكرت من أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها وإن لم تجدوا فاعسلوها

وكلوا فيها، وما صدت بقوسك فذكرت اسم الله فكل، وما صدت بكلبك المعلم فذكرت اسم الله

فكل، وما صدت بكلبك غير معلم فأدركت ذكاته فكل)^١.

٢. وعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال: (حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر

الأهلية)^٢.

٣. وعن أبي ثعلبة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (نهى عن أكل كل ذي ناب من

السباع)^٣.

٤. وعن أبي ثعلبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدركته فكله ما لم

ينتق)^٤.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الذبائح والصيد، باب صيد القوس، ح ٥١٦١.

^٢ السابق، كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية، ح ٥٢٠٧.

^٣ السابق، كتاب الذبائح والصيد، باب لحوم الحمر الإنسية، ح ٥٢١٠.

^٤ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الذبائح والصيد، باب إذا غاب عنه الصيد ثم وجدته، ح ١٩٣١.

٥. وعن أبي ثعلبة أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن قدور أهل الكتاب فقال: (إن لم تجدوا غيرها فاغسل واطبخ)^١

وتُظهر هذه الروايات بوضوح عناية أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه بمسألة الصيد والأطعمة، ومما نلاحظه من هذه الروايات أن أبا ثعلبة الخشني رضي الله عنه كان يركز في الرواية على **جوانب الحذر والحيلة** ويؤكد على **رواية أحاديث النواهي** لما فيها من حساسية لا سيما في باب الأطعمة والصيد، وهذا ما يشي بتوفر تخصص دقيق خاص (النواهي) داخل تخصص عام (الصيد والأطعمة) كان عليه أبو ثعلبة رضي الله عنه، فمن النواهي الواردة في الروايات سالفه الذكر:

- قوله ﷺ: ما ذكرت من أهل الكتاب فإن وجدتم غيرها فلا تأكلوا فيها.
- قوله ﷺ: حرّم رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوم الحمر الأهلية.
- قوله ﷺ: نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع.
- قوله ﷺ: إذا رميت بسهمك فغاب عنك فأدرّكته فكله ما لم ينتن.

^١ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ١٧٢٧٧، وإسناده صحيح.

● المبحث الرابع: اختصاص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في أحاديث الفتن.

لاشك أن للصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه دوره في رواية أحاديث تتعلق في الفتن وأشراط الساعة، كيف لا وهو المشهور بكونه أمين سرّ النبي ﷺ، والذي كان يسأله عن حوادث الشرور والفتن من باب الوقاية والاحتياط منها، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: (كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنتُ أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت:

يا رسول الله إنا كنا في الجاهلية وشرٌّ فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن، قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قلت:

فهل بعد ذلك الخير من شر؟

قال: نعم دعاة إلى أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها قلت: يا رسول الله صفهم لنا فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا.

قلت: فما تأمري إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك).¹

وقد جمع الأستاذ عصام موسى هادي كتاباً خاصاً يُثبت من خلاله ما صحَّ من مرويات الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان في موضوع الفتنة تحديداً، واسم الكتاب: (صحيح مرويات حذيفة بن اليمان في الفتن وأشراط الساعة).

كما جمع الأستاذ عبد الباسط بن يوسف الغريب أحاديث الفتن عند حذيفة بن اليمان في كتابه: (جزء حديثي في أحاديث حذيفة في الفتن، جمع وتحقيق)، وقد ذكر فيه لحذيفة بن اليمان رضي الله عنه (٢٦٠) رواية في الفتن وأشراط الساعة والملاحم، وإن كانت في معظمها بين ضعيفة ومنقطعة.

ومن الأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ على لسان حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في باب الفتنة وأشراط الساعة:

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب أشراط الساعة، باب الفتنة وعلاماتها، ج٣٦٠٦.

١. حديث الفتنة وأثرها في القلوب:

أ. عن زيد بن وهب حدثنا حذيفة قال: (حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال ثم علموا من القرآن ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت^١ ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل^٢؛ كجمر دحرجته على رجلك فنفظ^٣ فتراه منتبراً^٤؛ وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة فيقال: إن في بني فلان رجلاً أميناً، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده؛ وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان.

ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً رده علي الإسلام، وإن كان نصرانياً رده علي ساعيه^٥، فأما اليوم فما كنت أباع إلا فلانا وفلانا^٦.

ب. عن حذيفة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (تعرض الفتن على القلوب كالحصير عوداً عوداً فأى قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء^٧، وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تصير على قلبين؛ على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض، والآخر أسود مرباداً^٨ كالكوز مجخياً^٩ لا يعرف معروفاً، ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه^{١٠}).

٢. حديث بيان صور الفتنة وأشكالها:

عن شقيق قال: سمعت حذيفة يقول: (بيننا نحن جلوس عند عمر إذ قال: أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال: فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال: ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج

^١ الوكتة: الأثر في الشيء كالنقطة من غير لونه. والجمع: وكت، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج٥، ص٤٥.

^٢ يقال المجل من مجلت يده تمجل مجلا، ومجلت يده تمجل مجلا، وإذا ثخن جلدها وتعجر، وظهر فيها ما يشبه البثر، من العمل بالأشياء الصلبة الخشنة، وانظر: السابق، ج٤، ص٦٤.

^٣ نفظ: تدرج، وانظر: السابق، ج٤، ص٨٧.

^٤ كل مرتفع: منتبر، وانظر: السابق، ج٤، ص٣٨.

^٥ رده علي ساعيه: وإن كان غير مسلم أنصفني منه عامله على الصدقة، وانظر: المباركفوري، محمد بن عبد الرحمن، تحفة الأحمدي، مرجع سابق، ج٦، ص٣٣٨.

^٦ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب أثر الفتن على القلب، ح٦١٣٢.

^٧ نكتة، أي أثر قليل كالنقطة، شبه الوسخ في المرأة والسيوف، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج٥، ص٩٠.

^٨ مرباداً، شديد السواد، وانظر: السابق، ج٥، ص١٤٥.

^٩ كالكوز مجخياً، كالوعاء المنكوس، وانظر، السابق، ج٤، ص٤٧.

^{١٠} البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً وأنه يأرز بين المسجدين، ح١٤٤.

البحر، قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً، قال عمر: أَيْكَسِرُ الباب أم يُفْتَح؟ قال: لا بل يُكسر، قال عمر: إذا لا يُغلق أبداً قلتُ: أوجل.

قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم كما يعلم أن دون غد ليلة، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط^١، فهينا أن نسأله من الباب؟ فأمرنا مسروقاً فسأله فقال من الباب؟ قال عمر^٢.

٣. حديث أحوال الفتن القادمة:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنتُ لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرّفه)^٣.

٤. حديث فتنة النفاق:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: (إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان)^٤.

٥. حديث البلاء:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (اكتبوا لي من تَلَفَّظَ بالإسلام من الناس، فكتبنا له ألفاً وخمسمائة رجل فقلنا: نخاف ونحن ألف وخمسمائة، فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف)^٥.

٦. حديث فتنة الدجال:

أ. عن ربي بن حراش عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج؛ فإما أدركن أحد فليات النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)^٦.

ب. عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر معه جنة ونار فاناره جنة وجنته نار)^٧.

^١ الأغاليط: قال الليث الغَلَطُ كل شيء يُعْيَا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمد وقد غَالَطَهُ مُغَالِطَةً وَالْمُغْلَطَةُ وَالْأُغْلُوطَةُ الكلام الذي يُغْلَطُ فيه وَيُغَالَطُ به ومنه قولهم حَدَّثْتُهُ حَدِيثاً لَيْسَ بِالْأَغَالِيطِ، وانظر: ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٧، ص٦٨.
^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كموج البحر، ح٦٦٨٣.
^٣ السابق، كتاب القدر، باب "وكان أمر الله قدراً مقدوراً"، ح٦٢٣٠.
^٤ السابق، كتاب الفتن، باب إذا قال عند قوم شيئاً ثم قام فقال بخلافه، ح٦٦٩٧.
^٥ السابق، كتاب الجهاد والسير، باب كتابة الإمام الناس، ح٢٨٩٥.
^٦ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب صفة الدجال، ح٥٢٢٣.
^٧ السابق، ح٢٩٣٤.

٧. قال الإمام مسلم: قَالَ جُنْدُبٌ جِئْتُ يَوْمَ الْجَرَعَةِ فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ فَقُلْتُ: (لِيَهْرَاقَنَّ الْيَوْمَ هَاهُنَا دِمَاءً فَقَالَ: ذَاكَ الرَّجُلُ كَلًّا وَاللَّهِ قُلْتُ بَلَى وَاللَّهِ قَالَ: كَلًّا وَاللَّهِ قُلْتُ: بَلَى وَاللَّهِ قَالَ: كَلًّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَحَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنِيهِ.

قُلْتُ بِئْسَ الْجَلِيسُ لِي أَنْتَ مُنْذُ الْيَوْمِ تَسْمَعُنِي أَخَالَفُكَ وَقَدْ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَا تَنْهَانِي ثُمَّ قُلْتُ مَا هَذَا الْعَضْبُ فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَأَسَأَلُهُ فَإِذَا الرَّجُلُ حُدَيْفَةُ^١

ومعلوم أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه لم يكن من المكثرين، فهو ليس ممن روى الآلاف، وإنما عد له ابن حزم الأندلسي أنه روى ٢٢٠ حديثاً^٢.

وبذلك يكون الأقرب إلى مرتبة المقلين من كونه من المكثرين، وما اهتمام هذا الصحابي الجليل في موضوع حساس كهذا إلا دليل حرص منه على الرواية النبوية والتي وصل يقينه بها إلى أن يعتمد عليها اعتماداً كلياً في تصوره للأمر، لا سيما ما كان منها غيبياً لا يعلم به إلا الله.

٨. قال الامام مسلم: عَنْ قَيْسِ قَالَ: (قُلْتُ لِعَمَّارٍ أَرَأَيْتُمْ صَنِيعَكُمْ هَذَا الَّذِي صَنَعْتُمْ فِي أَمْرِ عَلِيٍّ أَرَأَيْتُمْ رَأَيْتُمُوهُ أَوْ شَيْئًا عَهْدَهُ إِلَيْكُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَا عَهْدَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا لَمْ يَعْهَدْهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَلَكِنْ حُدَيْفَةُ أَخْبَرَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " فِي أَصْحَابِي اثْنَا عَشَرَ مُنَافِقًا فِيهِمْ ثَمَانِيَّةٌ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ، ثَمَانِيَّةٌ مِنْهُمْ تَكْفِيكُهُمُ الدُّبَيْلَةُ وَأَرْبَعَةٌ لَمْ أَحْفَظْ مَا قَالَ شُعْبَةُ فِيهِمْ^٣).

هذه بعض مرويات الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان في الفتن ويوجد في كتب السنن والجوامع والمسانيد غيرها لكني أعرضت عن الضعيف منها والموضوع أيضاً لأن باب الفتن وأشراط الساعة من أكثر الأبواب التي دخله الوضاعون.

وما الكتب الإفرادية التي تناولت الفتن وذكرت أشراط الساعة وما فيها من ضعف ووضع عنا ببعيد، لا سيما ما جاء في كتاب الفتن لنعيم بن حماد من ضعف ووضع.

ولعل من أبرز ما يميز ما ذكرنا من روايات في موضوع الفتن مما رواه حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ما يأتي:

^١ السابق، كتاب الفتن، باب الفتنة التي تموج كالبحر، ح ٢٨٩٣.

^٢ الأندلسي، علي بن محمد بن حزم، أسماء الصحابة وما لكل واحد منهم من العدد، مرجع سابق، ص ٢٤.

^٣ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ح ٢٧٧٩.

أولاً: أنها في معظمها تحكي مدى تفاعل حذيفة رضي الله عنه مع ما يروي من أحاديث الفتن، وذلك لما في موضوع الفتن من شدة وبأس واضطراب، فلم يكن حذيفة رضي الله عنه مجرد ناقل لرواياته عن النبي ﷺ بل ناقل ومتفاعل وهو يعلق على الرواية بما يحذر من خطورة الفتنة إن وقعت، ومن مشاهد تفاعله هذه مما ورد في الروايات سالفه الذكر أنه قال:

- "إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ فأما اليوم فإنما هو الكفر بعد الإيمان".
- "لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره، علمه من علمه، وجهله من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيته فأعرفه كما يعرف الرجل الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه".
- "ولقد أتى عليّ زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلماً رده علي الإسلام، وإن كان نصرانيا رده علي ساعيه، فأما اليوم فما كنت أباع إلا فلانا وفلانا".
- " فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف".

ثانياً: أنها روايات متنوعة في بيان أحوال الفتن فمنها ما ذكرت لنا فتنة الدنيا، ومنها ما ذكرت فتنة الآخرة، أو أشراف الساعة.

* فمما جاء في الروايات سالفه الذكر من حديث حول فتنة الدنيا:

- " فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر".
- " فلقد رأيتنا ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف".

* ومما جاء في فتنة الآخرة أو أشراف الساعة، ما يأتي:

- " لأننا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج".
- "الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر¹ معه جنة ونار فناره جنة وجنته نار".

¹ جفال الشعر: أي كثيره، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج ٢، ص ٨٣.

هذا وتجدر الإشارة هنا إلى أن غير هؤلاء من الصحابة الكرام من كان لهم عناية بموضوعات مخصوصة فهذا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قد روى أحاديث كثيرة في باب محدد هو باب الصوم وكان له مع الصوم حكاية، فمن ذلك:

- أنه راوي حديث: (الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال فيشفعان...)¹.
- وحديث (أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه)².
- وهو الذي قال له النبي ﷺ: (يا عبد الله بن عمرو إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل، وإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين، ونهكت، لا صام من صام الأب، صوم ثلاثة أيام من الشهر صوم الشهر كله، قلت: فإني أطيق أكثر من ذلك، قال: فصم صوم داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر إذا لاقى)³.
- وهو الذي كان يقول: (يا ليتني قبلتُ رخصة الرسول ﷺ، بعدما بين حكايته مع الصوم بقوله: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الله ألم أخبر أنك تصوم النهار وتقوم الليل؟، فقلت: بلى يا رسول الله، قال فلا تفعل صم وأفطر وقم ونم، فإن لجسدك عليك حقاً وإن لعينك عليك حقاً وإن لزوجك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً وإن بحسبك أن تصوم كل شهر ثلاثة أيام، فإن لك بكل حسنة عشر أمثالها، فإن ذلك صيام الدهر كله، فشددت فشدد عليّ، قلت: يا رسول الله إني أجد قوة قال فصم صيام نبي الله داود عليه السلام ولا تزدد عليه، قلت:

¹ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ٦٥٨٩، وأخرجه الحاكم، محمد بن عبد الله، المستدرک علی الصحیحین، کتاب فضائل القرآن، باب الصيام والقرآن يشفعان، ح ٢٠٧٢، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

² البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الأنبياء، باب أحب الصيام، ح ٣٢٢٨.

³ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الصوم، باب النهي عن صيام الدهر، ح ١١٥٩.

وما كان صيام نبي الله داود عليه السلام، قال نصف الدهر، فكان عبد الله يقول بعد ما كبر: يا ليتني قبلت رخصة النبي ﷺ) ^١.

- وقد تزوج امرأة من قريش وشُغل عنها بالقيام والصيام.
 - وهو ثاني أعظم الرواة بشهادة أبي هريرة رضي الله عنه، فعن همام بن منبه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مني، إلا عبد الله بن عمرو، فإنه كان يكتب، وكنت لا أكتب) ^٢
- ويظهر لنا كيف كان لمرويات هذا الصحابي الجليل في باب الصيام أثرها على حياته واختياراته، فهو يختار من بستان الطاعات والنوافل الصيام تحديداً لما لامست هذه الطاعة في نفسه من أثر.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ح ١٨٧٤.

^٢ السابق، كتاب العلم، باب حفظ العلم، ح ١١٣.

خلاصة الفصل الأول:

تناول الباحث في هذا الفصل ظاهرة اختصاص الصحابة بالرواية في موضوعات مخصوصة وكان أن خرج بالنتائج التالية:

١. كلما روى الرواة ضمن موضوعات مخصوصة تأكد لنا عمق علاقة الراوي بالمروي ومدى انسجامه بما حفظ عن رسول الله ﷺ، من جهة كونه يروي ما ينسجم مع ميوله وتخصصه الحياتي أو ما يحكي صفة من صفاته، وهذه المسألة بالطبع والفطرة لا تكلفاً، ذلك أن الإنسان مفطور على أن يحفظ ما ينسجم مع حالته العامة، ولا يعني كلامنا هنا أن الرواة لم يكونوا يحفظون إلا ما وافق أهواءهم، بل حفظوا وتحملوا عن النبي ﷺ الكثير لكنهم عند الرواية كانوا يستحضرون المشاهد والمواقف الحياتية النبوية التي كانت أقرب ما تكون إلى روح تخصصاتهم، هذا بالنسبة للمقلين للرواية أما المكثرون لها فكن جمع الحديث بحد ذاته لهم هدف.

٢. ظاهرة التخصص في الرواية ممكنة عند الصحابة المقلين لها وهي أيضاً ممكنة عند الصحابة المكثرين ومتوسطي الرواية، ويحتاج الأمر إلى إعادة قراءة أحاديث الراوي الواحد وتصنيفها موضوعياً لمعرفة ما إن كان الراوي روى بشكل متخصص أم أنه كان يهدف إلى الجمع والأداء على العموم باعتبار أن الرواية دين فقط.

٣. تميزت أمهات المؤمنين برواية أحاديث البيت النبوي كما تميز حذيفة برواية أحاديث الفتن، وهذا نوع تخصص أثبت لنا بما لا يدع مجالاً للشك أن بعض الرواة كان لهم تركيز على نقل أحاديث تخصصوا بها من واقع حالهم أو مكانهم أو منزلتهم من النبي ﷺ.

● الفصل الثاني: اختصاص بعض الرواة من التابعين بالرواية في
موضوعات مخصوصة:

المبحث الأول: اختصاص بعض أصحاب عبد الله ابن عباس رضي
الله عنه برواية أحاديث التفسير عنه.

المبحث الثاني: اختصاص بعض التابعين بالرواية في موضوع المغازي
والسير.

المبحث الأول: اختصاص بعض أصحاب عبد الله ابن عباس رضي الله عنه برواية أحاديث التفسير عنه.

يعد الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنه من أكثر الصحابة رواية للحديث فهو من المكثرين للرواية على العموم، وهو يأتي خامساً من حيث عدد مروياته بعد عائشة رضي الله عنها، وقد أحصى له ابن حزم رحمه الله (١٦٦٠) حديثاً ماثلاً في كتب السنة^١.

وهو كذلك من المكثرين للرواية في موضوع التفسير على وجه الخصوص، كيف لا وقد أطلق عليه صفة: ترجمان القرآن، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال:

(ضمني النبي صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: اللهم علمه الحكمة)^٢.

يقول ابن حجر رحمه الله: "ابن عباس هو عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم النبي - صلى الله عليه وسلم - يكنى أبا العباس، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ومات بالطائف سنة ثمان وستين، وكان من علماء الصحابة حتى كان عمر يقدمه مع الأشياخ وهو شاب، أورد فيه حديثه قال: ضمنني النبي - صلى الله عليه وسلم - إليه وقال: اللهم علمه الحكمة، وفي لفظ: علمه الكتاب وهو يؤيد من فسر الحكمة هنا بالقرآن.

واختلف في المراد بالحكمة هنا ف قيل: الإصابة في القول، وقيل: الفهم عن الله، وقيل: ما يشهد العقل بصحته، وقيل: نور يفرق به بين الإلهام والوسواس، وقيل: سرعة الجواب بالصواب، وقيل غير ذلك.

وكان ابن عباس من أعلم الصحابة بتفسير القرآن، وروى يعقوب بن سفيان في تاريخه بإسناد صحيح عن ابن مسعود قال: "لو أدرك ابن عباس أسناننا ما عاشره منا رجل"

^١ الأندلسي، علي بن حزم، أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحدٍ من العدد، مرجع سابق، ص ١٧.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب فضائل الصحابة، باب ذكر ابن عباس، ح ٣٥٦٤.

وكان يقول: " نعم ترجمان القرآن ابن عباس" وروى هذه الزيادة ابن سعد من وجه آخر عن عبد الله بن مسعود ، وروى أبو زرعة الدمشقي في تاريخه عن ابن عمر قال: " هو أعلم الناس بما أنزل الله على محمد " وأخرج ابن أبي خيثمة نحوه بإسناد حسن، وروى يعقوب أيضا بإسناد صحيح عن أبي وائل قال: " قرأ ابن عباس سورة النور ثم جعل يفسرها، فقال رجل: لو سمعت هذا الديلم لأسلمت " ¹.

فابن عباس رضي الله تعالى عنه ليس راويةً للتفسير النبوي للقرآن فحسب وإنما هو أيضاً صاحب رؤية ورأي في فهم الآيات القرآنية.

أما عن تلاميذه فقد بلغ عدد تلاميذه نحواً من مئتي تلميذ كما ذكر الامام الذهبي في سير أعلام النبلاء، وقد عدّ منهم: " ابنه علي، وابن أخيه عبد الله بن معبد، ومواليه؛ عكرمة، ومقسم، وكريب، وأبو معبد نافذ، وأنس بن مالك ، وأبو الطفيل ، وأبو أمامة بن سهل ، وأخوه كثير بن العباس ، وعروة بن الزبير ، وعبيد الله بن عبد الله ، وطاووس ، وأبو الشعثاء جابر ، وعلي بن الحسين ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد بن جبر ، والقاسم بن محمد ؛ وأبو صالح السمان ، وأبو رجاء العطاردي ، وأبو العالية ، وعبيد بن عمير ، وابن عبد الله ، وعطاء بن يسار ، وإبراهيم بن عبد الله بن معبد.. وغيرهم" ².

يقول عبد العزيز الطريفي: " وأكثر تفسيره احتجاج بلغة العرب، وأقوال الفصحاء من الشعراء وغيرهم، بخلاف ابن مسعود؛ فهو يعتني بالقراءات وأسباب النزول.

وجُلّ تفسير ابن عباس صحيح، وأما ما نقله البيهقي ومحمد بن أحمد بن شاکر القطان في "مناقب الشافعي" من طريق ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهة مائة حديث، فيظهر أنه قصد ما قصده أحمد بقوله المتقدم: " ثلاثة ليس لها إسناد التفسير والملاحم والمغازي؛ أي: لا يكاد يوجد فيها ما يسلم من علةٍ على طريقة التشديد، ولعله قصد المرفوع من حديثه" ³.

¹ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ٩، ص ١٢٦.

² الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٣٢.

³ الطريفي، عبد العزيز، أسانيد التفسير، مكتبة الرشد، ط ٢٠٠٩م، ص ٥٠.

وقد تخصص في رواية التفسير عنه عدة تلاميذ سيقوم الباحث بدراسة ثلاثة من هؤلاء التلاميذ وبيان بعض ما رووه عن شيخهم ابن عباس رضي الله عنه في التفسير، من باب دراسة تخصص بعض الرواة في رواية أحاديث مخصوصة عن رواة مخصوصين، وهؤلاء التلاميذ هم:

● أولاً: مجاهد بن جبر¹:

يعد مجاهد بن جبر من أفضل وأكثر من روى التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه، وقد اختلف العلماء في تقديمه على سعيد بن جبير بين مُقدم له عليه مؤخر، يقول عبد العزيز الطريفي:

" ورواية مجاهد عن ابن عباس في التفسير مُقدِّمة عند عامة العلماء، إلا ابن المديني، فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ رواية سعيد بن جبير على مجاهد بن جبر، بل يقدمها على روايات سائر أصحاب عبد الله بن عباس.

والأظهر أن رواية مجاهد بن جبر هي أصح الروايات عن عبد الله بن عباس، وتقدم على غيرها عند التضادِّ في الأغلب، إلا في الأحكام؛ فسعيد بن جبير لا يقدم عليه أحد فيها، ولعل هذا ما قصده ابن المديني رحمه الله.

ومجاهد بن جبر قد عرض التفسير على عبد الله بن عباس عرضاً واسعاً، وكرَّره عليه مراراً.

¹ قال الذهبي في مجاهد بن جبر: "الإمام، شيخ القراء والمفسرين، أبو الحجاج المكي، الأسود، مولى السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال: مولى عبد الله بن السائب القارئ، ويقال: مولى قيس بن الحارث المخزومي روى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذ القرآن، والتفسير، والفقه، وعن أبي هريرة، وعائشة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمرو، وابن عمر، ورافع بن خديج، وأم كرز، وجابر بن عبد الله، وأبي سعيد الخدري، وأم هانئ، وأسد بن ظهير، وعدة. تلا عليه جماعة: منهم ابن كثير الداري، وأبو عمرو بن العلاء، وابن محيصن. وحدث عنه عكرمة، وطاووس، وعطاء - وهم من أقرانه -، وعمرو بن دينار. قال الأنصاري: حدثنا الفضل بن ميمون: سمعت مجاهدا يقول: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين مرة. وانظر الترجمة عند الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٥٠.

يقول الفضل بن ميمون: قال لي مجاهد بن جبر: عرضتُ التفسير على عبد الله بن عباس ثلاثين مرةً أو فقهه عند كل آية، ولذلك قد استفرغ علمه تفسير القرآن، وكان علمه جُلّه فيه¹.

ومما يجدر ذكره أن مجاهدًا وقد روى عن ابن عباس قرابة مائتي حديث يعتبر من المقلين للرواية عنه وذلك احتياطًا لما عُرف عنه من حرصه على الرواية باللفظ دون المعنى، يقول الطريفي: "أنَّ مجاهد بن جبر، وإن كان مختصًا بعبد الله بن عباس وعرض عليه التفسير مرارًا، إلا أن كثيرًا من تفسيره لا ينقله عن ابن عباس، بل هو أقل أصحابه روايةً عنه، يفسر القرآن ولا يعزوه؛ ومع وَفْرَة تفسير ابن عباس، إلا أن ما يرويه عنه مجاهد لا يزيد عن المائتين، والعلة في ذلك - فيما يظهر - أن التفسيرَ علم تحصّل لديه وفهمه على وجهه، فكان من الاحتياط والورع ألا ينسبَه بلفظه إليه، فرمًا غايِرَ في اللفظ، ولذلك حينما يعرض الإنسان شيئًا من الألفاظ والمعاني على عالمٍ أكثر من مرةٍ، ويكثر الأخذ عن عالم من العلماء يخلط قوله بعضه ببعض، وإن كانت المعاني حقيقةً على وجهها، لكن في نسبة اللفظ شيء².

ومجاهد بن جبر إمام التفسير من التابعين على الإطلاق، لا يوازيه في ذلك أحد، ولا يقاربه، وإن كان من أصحاب عبد الله بن عباس من هو أكثر منه؛ كسعيد بن جبیر أكثر منه رواية عن عبد الله بن عباس لكن في الحقيقة من جهة أخذ الأقوال، فمجاهد بن جبر أكثر التابعين على الإطلاق أخذًا عنه في التفسير، وروايته أصح المرويات، ولا ريب في ذلك.

وقد استفرغ علمه القرآن، كما قال عن نفسه، ولذا يعتمد تفسيره الأئمة؛ كالشافعي وأحمد والبخاري وغيرهم؛ قال الثوري: "إذا جاءك التفسير عن مجاهد، فحسبكَ به"³

يقول عبد الرزاق إسماعيل: "وبين التابعين نبخ أبو الحجاج مجاهد بن جبر في تتبع تفسير القرآن آية آية رواية عن شيخ مدرسة التفسير مكة عبد الله بن عباس رضي الله عنه، ولا غرابة في تأهل مجاهد لذلك، فهو:

- من أعلام الطبقة الثانية من أهل مكة كما جاء عند ابن سعد.
- وهو كذلك من فقهاء التابعين، كما ورد في ترجمته عند الشيرازي.
- هذا فضلا عن إلمامه بالقراءات وتلقي أئمة القراءة كابن كثير وأبي عمر عليه.

ومما يدل على إحاطة ابن جبر بتفسير القرآن ما رواه أبو جعفر الطبري بسنده إلى أبان بن صالح عن مجاهد قال: "عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات

¹ الطريفي، عبد العزيز، أسانيد التفسير، مرجع سابق، ص ٥٣.

² السابق، ص ٥٥.

³ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٤٩.

من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها"¹.

وينقل عبد الرزاق إسماعيل عن طبقات المفسرين للداوودي ما يؤكد ذلك فيقول:

"كنت أقف عند كل آية أسأله فيما نزلت؟ وكيف كانت؟ ولو كنت قرأت على قراءة ابن مسعود لم أحتج أن أسأل ابن عباس عن كثير من القرآن".

ولا شك أن هذا الاهتمام بالتفسير لم يتوقف عند البحث في دلالة الألفاظ فقط، بل كان صاحبه يهفو إلى الإلمام بعلم الصحابي الذي جمع تفسير مشاهير الصحابة - أي ابن عباس - ومن ثم كان ابن جبر يوقف شيخه عند كل آية ليعلم المعنى وأسباب النزول والنسخ وغير ذلك من العلوم المساعدة، وقد أحسن ابن عطية حين قال في المحرر الوجيز: "قرأ مجاهد عن ابن عباس قراءة تفهم ووقوف عند كل آية".

وما سمعه أبو الحجاج المخزومي من شيخه عمل على تدوينه قبل وفاة هذا الأخير سنة ٦٨هـ فقد روى الطبري بسنده إلى ابن أبي مليكة أن مجاهدا ما كانت تفارقه أدوات كتابته وهو يتتبع ابن عباس رضي الله عنه ويكتب تفسيره. قال الطبري: "حدثنا أبو كريب قال: حدثنا طلق بن غنام عن عثمان المكي عن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه ألواحه. فيقول له ابن عباس: اكتب، قال: حتى سأله عن التفسير كله".

وابن أبي مليكة هذا هو عبد الله بن عبيد الله التميمي توفي بمكة ١١٩هـ من أصحاب ابن عباس فهو أقران مجاهد بن جبر، وأيضا من طلبة العلم بمدرسة مكة التي كان عبد الله ابن عباس شيخها وأبو الحجاج أحد طلبتها.

وشهادة ابن أبي مليكة بكتابة ابن جبر للتفسير كله، أي تفسير القرآن آية آية رواية عن ابن عباس مع إشارة ابن أبي مليكة إلى ألواح مجاهد التي يحملها معه. هذه الشهادة تفيدنا في تحديد زمن كتابة هذا التفسير، فنحن نعلم بالتأكيد أن عبد الله بن عباس توفي ٦٨هـ مما يعني أن تفسير مجاهد بن جبر قد دون قبل سنة وفاة شيخه"².

¹هرماس، عبد الرزاق إسماعيل، أضواء على تدوين التفسير، بحث في مجلة دعوة الحق المغربية، العدد ٣٠٥، ١ يوليو ٢٠١٢م، ص ٥٠.
² السابق، ص ٥٦.

ومما روى البخاري رحمه الله عن مجاهد ابن جبر عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب التفسير ما يأتي:

- قال الامام البخاري رحمه الله: حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال سمعت مجاهدًا قال سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول: (كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية فقال الله تعالى لهذه الأمة: " كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاعفو أن يقبل الدية في العمد " فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان " يتبع بالمعروف ويؤدي بإحسان " ذلك تخفيف من ربكم ورحمة " مما كتب على من كان قبلكم " فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم " قتل بعد قبول الدية)¹.

- وقال الإمام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ حَدَّثَنَا وَرْقَاءُ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ (إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ " قَالَ: هُمْ نَفَرٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ)².

- قال الإمام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدٍ الطَّنَافِئِيُّ عَنِ الْعَوَّامِ قَالَ: (سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ سَجْدَةٍ فِي (ص) فَقَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ مِنْ أَيْنَ سَجَدْتَ فَقَالَ أَوْ مَا تَقْرَأُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ افْتَدَاهُ فَكَانَ دَاوُدُ مِمَّنْ أَمَرَ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَفْتَدِيَ بِهِ فَسَجَدَهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَجَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَجَابٌ عَجِيبٌ الْقَطُّ الصَّحِيفَةُ هُوَ مَا هُنَا صَحِيفَةُ الْحِسَابِ وَقَالَ مُجَاهِدٌ فِي عِزَّةٍ مُعَارِزِينَ الْمَلَّةِ الْآخِرَةَ مَلَّةٌ قُرَيْشٍ الْأَخْتِلَاقُ الْكَذِبُ الْأَسْبَابُ طُرُقُ السَّمَاءِ فِي أَبْوَابِهَا قَوْلُهُ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ يَعْنِي قُرَيْشًا أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ الْقُرُونُ الْمَاضِيَةُ فَوَاقٍ رُجُوعٍ فَطْنَا عَدَابَنَا اتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا أَحَطْنَا بِهِمْ أَتْرَابٌ أَمْثَالٌ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْأَيْدُ الْقُوَّةُ فِي الْعِبَادَةِ الْأَبْصَارُ الْبَصَرُ فِي أَمْرِ اللَّهِ حُبُّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي مِنْ ذِكْرِ طَفِقَ مَسْحًا يَمْسَحُ أَعْرَافَ الْخَيْلِ وَعَرَاقِبَيْهَا الْأَصْفَادِ الْوَتَاقِ)³.

- وقال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى عَنْ إِسْرَائِيلَ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنْ مُجَاهِدٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: " عَتَلٌ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ (قَالَ: رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ لَهُ زَهْمَةٌ مِثْلُ زَهْمَةِ الشَّاةِ)⁴.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص، ح ٤٤٩٨.

² السابق، كتاب تفسير القرآن، باب إن شر الدواب، ح ٤٦٤٦.

³ السابق، كتاب التفسير، باب سورة ص، ح ٤٨٠٧.

⁴ السابق، كتاب تفسير القرآن، باب عتل بعد ذلك زنيم، ح ٤٩١٧.

- وقال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ النَّضْرِ أَخْبَرَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا أَبُو بَشِيرٍ جَعْفَرُ بْنُ إِيَّاسٍ عَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ (لِتَرْكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ " حَالًا بَعْدَ حَالٍ قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)¹.

ومما يلاحظه الباحث على هذه الروايات التي رواها مجاهد بن جبر عن شيخه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما يأتي:

١. أن بعض هذه الروايات مرفوع إلى النبي ﷺ وبعضها موقوف على بن عباس رضي الله عنهما.

٢. أن في هذه الروايات رواية فيها إحالة لسؤال إلى مجاهد على شيخه ابن عباس رضي الله عنهما، ومثال ذلك: " سَأَلْتُ مُجَاهِدًا عَنْ سَجْدَةٍ فِي (ص) فَقَالَ سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ."

وهذه الإحالة من متخصص على متخصص تفيد أهمية التخصص في إجابة الأسئلة الدقيقة وفي مختلف العلوم.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب لتركبن طبقا عن طبق، ح ٤٩٤٠.

* ثانياً: سعيد بن جبير رحمه الله¹ :

يقول محمد بن أحمد بن البراء: حدثنا علي بن المديني، قال: " ليس في أصحاب ابن عباس مثل سعيد بن جبير، قيل: ولا طاووس؟ قال: ولا طاووس ولا أحد"².

روى عن ابن عباس فأكثر وجوده، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي، وأبي هريرة، وكان من كبار العلماء، إلى أن قال: قرأ القرآن على ابن عباس"³.

وقد روى البخاري رحمه الله لسعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه في كتاب التفسير أكثر أحاديثه، وكان شديد الحرص على السماع منه والتحقق من الأخبار التي تتناول موضوع التفسير تحديداً من شيخه ابن عباس، فقد روى البخاري قال: حدثنا آدم بن أبي إياس حدثنا شعبة حدثنا مغيرة بن النعمان قال: سمعت سعيد بن جبير قال آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلتُ فيها إلى ابن عباس فسألته عنها فقال: نزلت هذه الآية (ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم)، هي آخر ما نزل وما نسخها شيء⁴.

يقول عبد العزيز الطريفي:

" وكان سعيد بن جبير مكبياً مقدماً، فهذا علي بن المديني يقدمه على سائر أصحاب عبد الله بن عباس، وهو أكثر الرواة عنه رواية، وأكثر التابعين من المكيين عناية بالإسرائيليات، وجل ما جاء عن ابن عباس من الإسرائيليات من طريقه، وقد أكثر من حكاية الغيبيات من أخبار السابقين والقيامة عن عبد الله بن عباس.

¹ قال الإمام الذهبي في ترجمة سعيد بن جبير: هو ابن هشام، الإمام الحافظ المقرئ المفسر الشهيد، أبو محمد، ويقال: أبو عبد الله الأسدي الوالبي، مولاهم الكوفي، أحد الأعلام.

روى عن ابن عباس فأكثر وجوده، وعن عبد الله بن مغفل، وعائشة، وعدي بن حاتم، وأبي موسى الأشعري في سنن النسائي، وأبي هريرة، وأبي مسعود البديري - وهو مرسل - وعن ابن عمر، وابن الزبير، والضحاك بن قيس، وأنس، وأبي سعيد الخدري . وروى عن التابعين، مثل أبي عبد الرحمن السلمي . وكان من كبار العلماء .

قرأ القرآن على ابن عباس . قرأ عليه أبو عمرو بن العلاء وطائفة . وحدث عنه أبو صالح السمان، وآدم بن سليمان والد يحيى، وأشعث بن أبي الشعثاء وغيرهم كثير. الترجمة من: الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٢٢.

² السابق، ج ٤، ص ٤٢٢.

³ السابق، ج ٤، ص ٤٢٢.

⁴ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ما ننسخ من آية، ح ٤٢١.

ومقامه رفيعٌ ومنزلته عليه عند ابن عباس، وقد روى مجاهد أن ابن عباس كان يأمره أن يتحدث وهو (سعيد) شاهد، ويحيل إليه في الفتوى هو وابن عمر، وهو المقدم في الأحكام عن ابن عباس عند الخلاف بإطلاق، لعنايته بذلك.

ورجع مجاهد وطاووس عن قولهما إلى قوله في الأحكام، ومن ذلك في تفسير قوله تعالى: (الذي بيده عقدة النكاح) قال: هو الولي، وقال سعيد: هو الزوج، فرجعا إلى قوله لما علما به.

وروى عنه خلقٌ؛ منهم جعفر وعبد الأعلى وعمرو بن مرة والمنهال وعطاء بن دينار وعطاء بن السائب والأعمش، وجل الأسانيد عنه في التفسير صحيحة¹.

ومما يؤكد مدى تخصص سعيد بن جبير رحمه الله في رواية أحاديث التفسير عن شيخه ابن عباس رضي الله عنهما أن الباحث قام بعمل إحصاء لمجموع ما روى ابن عباس رضي الله عنه مما جُمع له في كتاب المسند الجامع من غير المكرر؛ فكانت مجموع مرويات ابن عباس رضي الله عنهما في التفسير (٩٠) رواية.

وقد بلغت مرويات سعيد بن جبير رحمه الله من هذه المرويات (٢٥) رواية أي ما يزيد على ربع الروايات فيه (في المسند الجامع).

¹ الطريفي، عبد العزيز، أسانيد التفسير، مرجع سابق، ص ٦٠.

• ومما رواه سعيد بن جبير رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنه في البخاري ما يأتي:

- قال البخاري رحمه الله: حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى حدثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال عمر رضي الله عنه: (أقرؤنا أبي وأقضاننا علي، وإنا لندع من قول أبي وذاك أن أبيتاً يقول لا أدع شيئاً سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال الله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها)^١.

- قال البخاري رحمه الله: حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم" قال: نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية)^٢.

- قال البخاري رحمه الله: حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أخبرنا المغيرة بن النعمان قال: سمعت سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلاً، ثم قال: "كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين) إلى آخر الآية.

ثم قال: ألا وإن أول الخلائق يُكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: (وكنتم عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد " فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم)^٣.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم، ح ٤٢١١.

^٢ السابق، كتاب تفسير القرآن، باب قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، ح ٤٣٠٨.

^٣ السابق، كتاب تفسير القرآن، باب وكنتم عليهم شهيداً، ح ٤٦٢٥.

- قال البخاري رحمه الله: حدثني محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة واليهود تصوم عاشوراء فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم فصوموا).¹

- قال البخاري رحمه الله: حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مختلف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ولا تجهر بصلاتك أي بقراءة تك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلاً).²

- وقال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا مُسَدَّدٌ قَالَ حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ عَنْ أَبِي بَشْرٍ هُوَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي وَحْشِيَّةٍ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (قَالَ انْطَلَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي طَائِفَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَقَدْ حِيلَ بَيْنَ الشَّيَاطِينِ وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الشُّهُبُ فَرَجَعَتْ الشَّيَاطِينُ إِلَى قَوْمِهِمْ فَقَالُوا مَا لَكُمْ فَقَالُوا حِيلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ وَأُرْسِلَتْ عَلَيْنَا الشُّهُبُ قَالُوا مَا حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ إِلَّا شَيْءٌ حَدَّثَ فَاضْرِبُوا مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا فَانظُرُوا مَا هَذَا الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ فَانصَرَفَ أُولَئِكَ الَّذِينَ تَوَجَّهُوا نَحْوَ تِهَامَةَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِنَخْلَةَ عَامِدِينَ إِلَى سُوقِ عُكَاظٍ وَهُوَ يُصَلِّي بِأَصْحَابِهِ صَلَاةَ الْفَجْرِ فَلَمَّا سَمِعُوا الْقُرْآنَ اسْتَمَعُوا لَهُ فَقَالُوا هَذَا وَاللَّهِ الَّذِي حَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ خَبْرِ السَّمَاءِ فَهَاتِلِك حِينَ رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ وَقَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمْنَا بِهِ وَكُنْ نُشْرِكُ رَبَّنَا

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب وجاوزنا بني إسرائيل البحر، ح ٤٦٨٠.

² السابق، كتاب تفسير القرآن، باب ولا تجهر بصلاتك، ح ٤٧٢٢.

أَحَدًا فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ وَإِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ
قَوْلُ الْجِنِّ".¹

- ومما يؤكد حرص سعيد بن جبير على رواية شيخه ابن عباس رضي الله عنهما، أنه كان يسأله عما
يشتبه عليه من المسائل والروايات المتعلقة بتفسير وبيان القرآن الكريم.

وما سؤاله لشيخه عن الرواية المبينة للقاء موسى عليه السلام بالخضر والتي ذكرتها سورة الكهف وأثبتها
البخاري في صحيحه على طولها إلا خير دليل وتأكيد على هذا التخصص والاهتمام من سعيد بن جبير
بأحاديث شيخه ابن عباس رضي الله عنهما، فقد روى البخاري رحمه الله قال:

" حدثنا الحميدي حدثنا سفيان حدثنا عمرو بن دينار قال أخبرني سعيد بن جبير قال قلت لابن
عباس: إن نوفاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن
عباس: كذب عدو الله.

حدثني أبي بن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (إن موسى قام خطيباً في بني
إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي
عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك.

قال موسى: يا رب فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله في مكتل فحيثما فقدت الحوت فهو ثم.

فأخذ حوتاً فجعله في مكتل ثم انطلق وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون حتى إذا
أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناهما واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في
البحر" فاتخذ سبيله في البحر سرباً" وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل
الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتها حتى إذا

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب سورة قل أوحى، ح ٤٩٢١.

كان من الغد قال موسى لفتاه: "أتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا" قال: ولم يجد موسى النصب حتى جاوزا المكان الذي أمر الله به فقال له فتاه: "أرأيت إذ أويينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا"

قال فكان للحوت سربا ولموسى ولفتاه عجبا، فقال موسى: "ذلك ما كنا نبغي فارتدا على آثارهما قصصا" قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى ثوبا فسلم عليه موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام، قال أنا موسى، قال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال إنك لن تستطيع معي صبرا يا موسى إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، فقال موسى: "ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا"

فقال له الخضر: "فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا" فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها" لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا"

قال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا قال وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله فقال له موسى: "أقتلت نفسا زاكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا" قال: وهذه أشد من الأولى" قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد أن ينقض" قال مائل فقام الخضر فأقامه بيده

فقال موسى قوم أتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك إلى قوله ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما.

قال سعيد بن جبیر فكان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين¹.

ومما يلاحظ على روايات ابن جبیر عن شيخه ابن عباس رضي الله عنهما أن بعضها مرفوع إلى النبي ﷺ وبعضها موقوف على ابن عباس رضي الله عنهما.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح، ح ٤٧٢٥.

● ثالثاً: عكرمة مولى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما¹:

تخصص كثير من الموالى بالرواية عن أوليائهم ومن هؤلاء موالى رسول الله ﷺ، ومنهم أيضاً بعض موالى الصحابة كسالم مولى أبي حذيفة رضي الله عنه، وليس أقرب من الإنسان بعد أهله سوى خدمه ومواليه، لأجل ذلك نجد أن عكرمة رحمه الله مولى ابن عباس رضي الله عنهما كان له دور في التخصص برواية التفسير عن سيده ابن عباس رضي الله عنهما، وجدير أن يُذكر كذلك من دواعي القرابة والقرب تلك العلاقة التي جمعت سعيد بن جبير بعكرمة، يقول الطريفي:

"وعكرمة قريب من سعيد بن جبير؛ فقد تزوج أم سعيد بن جبير، وهو إمام في التفسير، قال الشعبي وقتادة: إنه أعلم الناس فيه، وقال أبو حاتم: أصحاب ابن عباس عيال عليه في التفسير.

وهو (عكرمة) مقدّم في أسباب النزول، ومناسبات السور، لعنايته بذلك، حافظٌ لأشعار العرب، وجُلُّ أقواله عن ابن عباس وإن لم ينسبها له"².

أما عن تخصص عكرمة رحمه الله في الرواية للتفسير عن شيخه ابن عباس فقد "أخرج ابن أبي حاتم عن سماك، قال: قال عكرمة: كل شيء أحدثكم في القرآن، فهو عن ابن عباس.

وروى الزبير بن الخريت عن عكرمة قال: كان ابن عباس يضع في رجلي الكبل على تعليم القرآن والسنن.

وقال قتادة: أعلم الناس بالحلال والحرام الحسن، وأعلمهم بالمناسك عطاء، وأعلمهم بالتفسير عكرمة.

¹ ترجم الامام الذهبي لعكرمة مولى ابن عباس فقال: " هو العلامة ، الحافظ ، المفسر ، أبو عبد الله القرشي ، مولا هم المدني ، البربري الأصل ، قيل : كان لخصين بن أبي الحر العنبري ، فوهبه لابن عباس .

حدث عن ابن عباس ، وعائشة ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وعبد الله بن عمرو ، وعقبة بن عامر ، وعلي بن أبي طالب ، وذلك في النسائي ، وأظنه مرسلًا ، وصفوان بن أمية ، والحجاج بن عمرو الأنصاري ، وجابر بن عبد الله ، وحمنة بنت جحش ، وأبي سعيد الخدري ، وأم عمارة الأنصارية ، وعدة . وعن يحيى بن يعمر ، وعبد الله بن رافع .

قال ابن المديني : سمع من عائشة ، وأبي هريرة ، وأبي قتادة ، وعبد الله بن عمرو ، وابن عمر . حدث عنه إبراهيم النخعي ، والشعبي ، وماتا قبله ، وعمرو بن دينار ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وحبيب بن أبي ثابت ، وخصين بن عبد الرحمن، وقتادة ، ومطر الوراق ، وموسى بن عقبة" الترجمة من الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج5، ص13.

² الطريفي، عبد العزيز، أسانيد التفسير، مرجع سابق، ص75.

وقال أبو سنان عن حبيب بن أبي ثابت: اجتمع عندي خمسة لا يجتمع مثلهم أبدا :
عطاء وطاووس ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وعكرمة فأقبل مجاهد وسعيد يلقيان على عكرمة التفسير ،
فلم يسألاه عن آية إلا فسرهما لهما ، فلما نفذ ما عندهما جعل يقول : أنزلت آية كذا وآية كذا في كذا".¹

¹الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٣.

• ومما روى عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما في البخاري عنه ما يأتي:

- قال الامام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ حُمَيْدٍ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ الْأَشْجَعِيُّ عَنْ سُفْيَانَ عَنِ الشَّيْبَانِيِّ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا (وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أَوْلُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ) قَالَ " هِيَ مُحْكَمَةٌ وَلَيْسَتْ مِمَّنْ سُوحَتْ تَابِعَهُ سَعِيدٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^١ .

- قال الإمام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ عَبْدِ اللَّهِ السُّلَمِيُّ أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ أَخْبَرَنَا جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ قَالَ أَخْبَرَنِي الزُّبَيْرُ بْنُ حَرِيثٍ عَنْ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (لَمَّا نَزَلَتْ: إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ) شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ حِينَ فُرِضَ عَلَيْهِمْ أَنْ لَا يَفِرَّ وَاحِدٌ مِنْ عَشْرَةٍ فَجَاءَ التَّخْفِيفُ فَقَالَ " الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ " قَالَ " فَلَمَّا خَفَّفَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنَ الْعِدَّةِ نَقَصَ مِنَ الصَّبْرِ بِقَدْرِ مَا خَفَّفَ عَنْهُمْ ^٢ .

- قال الامام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَمْرِو عَنِ عِكْرِمَةَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ) قَالَ: هِيَ رُؤْيَا عَيْنٍ أَرَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ أُسْرِي بِهِ، وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ: شَجَرَةُ الرُّقُومِ ^٣ .

- قال الامام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عَدِيٍّ عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانٍ حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ : (أَنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ قَدَفَ امْرَأَتَهُ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشْرِيكَ ابْنِ سَحْمَاءَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْتَةَ أَوْ حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: إِذَا رَأَى أَحَدُنَا عَلَى امْرَأَتِهِ رَجُلًا يَنْطَلِقُ يَلْتَمِسُ الْبَيْتَةَ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْبَيْتَةَ وَإِلَّا حَدٌّ فِي ظَهْرِكَ فَقَالَ هِلَالٌ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنِّي

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب وإذا حضر القسمة، ح ٤٥٧٦.

^٢ السابق، كتاب تفسير القرآن، باب الآن خفف الله عنكم، ح ٤٦٥٣.

^٣ السابق، كتاب تفسير القرآن، باب وما جعلنا الرؤيا التي أريناك، ح ٤٧١٦.

لَصَادِقٌ فَلْيُنزِلَنَّ اللهُ مَا يُبْرِئُ ظَهْرِي مِنَ الْحَدِّ، فَنَزَلَ جِبْرِيْلُ وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ "وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ" فَقَرَأَ حَتَّى بَلَغَ "إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ". فَأَنْصَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَجَاءَ هَلَالٌ فَشَهِدَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَاذِبٌ فَهَلْ مِنْكُمَا تَائِبٌ.

ثُمَّ قَامَتْ فَشَهِدَتْ، فَلَمَّا كَانَتْ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفُوها وَقَالُوا إِنَّهَا مُوجِبَةٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَلَكَّأْتُ وَنَكَصْتُ^١ حَتَّى ظَنَنْتَا أَنَّهَا تَرْجِعُ ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَفْضَحُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَبْصِرُوهَا فَإِنْ جَاءَتْ بِهِ أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغِ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلِجِ السَّاقَيْنِ^٢ فَهُوَ لِشَرِيكِ ابْنِ سَخْمَاءَ، فَجَاءَتْ بِهِ كَذَلِكَ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللهِ لَكَانَ لِي وَلَهَا شَأْنٌ^٣.

ومما لا يفوت الباحث هنا أن يذكر أيضاً أن لابن عباس رضي الله عنهما مولياً آخر روى عنه التفسير وتخصص فيه وهو كريب^٤ مولى ابن عباس وقد روى له البخاري رحمه الله في كتاب التفسير عدداً من الأحاديث ومن ذلك:

^١ فَتَلَكَّأْتُ وَنَكَصْتُ: تراجعت وتأخرت، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج٤، ص٣٢.

^٢ سَابِغِ الْأَلْيَتَيْنِ خَدَلِجِ السَّاقَيْنِ، أي عظيم الأليتين، سمين الساقين، وانظر: السابق، ج٤، ص٦٨.

^٣ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب تفسير القرآن، باب ويدراً عنها العذاب أن تشهد، ح ٤٧٤٧.

^٤ قال الامام الذهبي في ترجمة كريب مولى ابن عباس: "كريب بن أبي مسلم، الإمام، الحجة، أبو رشدين، الهاشمي العباسي، الحجازي، والد رشدين ومحمد، أدرك عثمان، وأرسل عن الفضل بن عباس.

وحدث عن مولاه ابن عباس، وأم الفضل أمه، وأختها ميمونة، وأسامة بن زيد، وأم سلمة، وأم هانئ، وزيد بن ثابت، وابن عمر، والمسور، وطائفة.

قال ابن سعد كان ثقة، حسن الحديث.

وقال يحيى بن معين والنسائي: ثقة.

قال زهير بن معاوية، عن موسى بن عقبة، قال: وضع عندنا كريب حمل بعير أو عدل بعير من كتب ابن عباس، فكان علي بن عبد الله بن عباس إذا أراد الكتاب كتب إليه: ابعث إلي بصحيفة كذا وكذا، فينسخها، ويبعث إليه إحداها" الترجمة عند: الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، ج٥، ص٤٨٠.

قال الامام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ أَخْبَرَنَا مَالِكٌ عَنْ مَخْرَمَةَ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ كُرَيْبِ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ بَاتَ عِنْدَ مَيْمُونَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ خَالَتُهُ قَالَ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى عَرْضِ الْوَسَادَةِ وَاضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَهْلُهُ فِي طُولِهَا فَتَأَمَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى انْتَصَفَ اللَّيْلُ أَوْ قَبْلَهُ بِقَلِيلٍ أَوْ بَعْدَهُ بِقَلِيلٍ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَلَسَ فَمَسَحَ النَّوْمَ عَنْ وَجْهِهِ بِيَدِهِ ثُمَّ قَرَأَ الْعَشْرَ آيَاتِ خَوَاتِيمِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنْ مَعْلَقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقُمْتُ فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ ثُمَّ ذَهَبْتُ فَقُمْتُ إِلَى جَنْبِهِ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى رَأْسِي وَأَخَذَ بِأُذُنِي الْيُمْنَى يَفْتُلُهَا بِيَدِهِ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ أَوْتَرَ ثُمَّ اضْطَجَعَ حَتَّى جَاءَهُ الْمَوْدُّنُ فَقَامَ فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ^١.

فرحم الله ابن عباس ورحم تلاميذ وخدمه وجعل تفسيرهم لكتاب الله تعالى في موازين حسناتهم أجمعين.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب التفسير، باب ربنا إنك من تدخل النار فقد أجزيت، ح ٤٥٧١.

● المبحث الثاني: اختصاص بعض التابعين بالرواية في موضوع المغازي والسير.

كما تخصص بعض الرواة من التابعين برواية أحاديث التفسير فقد اختص بعضهم برواية أحاديث المغازي والسير، وإن كان يشوب روايات التفسير والمغازي والسير بعض الشوائب كما هو معلوم، من حيث عدم بلوغ هذه الروايات مبلغاً من الدقة والمتابعة العلمية في الإسناد تحديداً مثل روايات أحاديث الأحكام وغيرها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "أما أحاديث سبب النزول، فغالبا مُرسَلٌ ليس بمُسند، ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل: "ثلاثُ علومٍ لا إسناد لها" و في لفظ: "ليس لها أصل: التفسير والمغازي والملاحم"¹

وللرواية في المغازي والسير أهميتها وفضلها، كيف لا وهي التي تترجم لحياة النبي ﷺ ولغزواته بشكل جامع ومحيط، وقد كان السلف يحرصون على تحفيظ أولادهم روايات السير والمغازي حرصهم على تحفيظهم الآية من كتاب الله تعالى، فقد جاء عن زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال: "كنا نُعلِّمُ مغازي النبي صلي الله عليه وسلم وسراياه كما نُعلِّمُ السورة من القرآن"²

ويعد موضوع المغازي من الموضوعات التي يثبت من خلالها ظاهرة التخصص في الرواية، فقد صنف بعض الرواة بأسانيدهم كتباً خاصة تحكي المغازي تحديداً، عدا عن كون المغازي والسير على العموم لها أبواب مُقدرة ومُثبتة في كتب الجوامع وغيرها، يقول الدكتور حاكم المطيري:

" وقد اشتهر أئمة هذا الفن منذ عصر التابعين ومن بعدهم، واشتهرت طبقاتهم، ومن هو المرجع والحجة فيهم عند الاختلاف في أخبار المغازي والسير.

¹ الحراني، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، منهاج السنة، دار المعرفة، ط ٢٠٠١م، ج ٧، ص ٤٣٥.
² البغدادي، الخطيب، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق: د. محمود الطحان، ط ١٩٨٣م، ج ٢، ص ١٩٥.

والحجة والمرجع في التابعين ممن صنّفوا: ابنُ شهاب الزهري، كما قال ابن عبد البر: وقول ابن شهاب في هذا الحديث عن سعيد بن المسيب أن رسول الله ﷺ حين قَفَلَ من خير، أصح من قول من قال: "أن ذلك كان مرجعه من حنين، لأن ابن شهاب أعلم الناس بالسير والمغازي"،¹ وكذلك سعيد بن المسيب ولا يقاس بهما في ذلك.

كما فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في مراتب أهل المغازي والسير بحسب البلدان، وقدّم أهل المدينة على غيرهم في معرفة المغازي والسير، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق، حيث قال:

" فإن أعلم الناس بالمغازي أهل المدينة، ثم أهل الشام، ثم أهل العراق، فأهل المدينة أعلم بها لأنها كانت عندهم، وأهل الشام كانوا أهل غزو وجهاد فكان لهم من العلم بالجهاد والسير ما ليس لغيرهم، ولهذا عظم الناس كتاب أبي إسحاق الفزاري الذي صنّفه في ذلك، وجعلوا الأوزاعي أعلم بهذا الباب من غيره من علماء الأمصار".²

وانظر كيف يحكي الباحث المطيري هنا علاقة الراوي بالمروي من جهة تخصص الرواة بمرويات السير والمغازي باعتبار علاقتهم بها وهو يشير إلى أن أهل الشام.

وهم أهل جهاد وغزو كيف كانوا أكثر الناس التصاقاً بروايات المغازي والجهاد وما يتعلق بها

وتبدأ مرحلة عناية التابعين برواية السير والمغازي بأولاد الصحابة والتابعين الذين تلقوا روايات السيرة شفاهة من الصحابة، وذلك حتى نهاية القرن الأول، وحرص جيل كبار التابعين على تلقي السيرة النبوية بنفس الاهتمام الذي بَلَغَ به الصحابة هذا العلم.

¹ في كلام الدكتور المطيري هنا ما يؤكد ظاهرة التخصص التي نبحت بها.

² المطيري، حاكم، المغازي والسير علماؤها وطبقاتهم، كلية الشريعة، جامعة الكويت، ط ٢٠٠٩، بحث محكم بمجلة قطاع أصول الدين جامعة الأزهر - القاهرة.

• ومن أشهر من روى السير والمغازي من التابعين واختص بها:

- أولاً: عروة بن الزبير (٢٣ - ٩٣ هـ) رحمه الله:

" وهو ابن الصحابي الكبير: الزبير بن العوام ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمه هي أسماء بنت أبي بكر الصديق ابنة الخليفة الأول، وهو أحد فقهاء المدينة السبعة بعد الصحابة".^١

وقد سمع الحديث من كثير من الصحابة في المدينة خاصة خالته عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم، فقد لازمها حتى حفظ كل حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.^٢

وقد اشتهر عروة بعلم المغازي والسنن والتفسير ورواية الشعر.

وهو " أوّل من صنف كتاباً في مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، وقد روى عنه المغازي وأخذها عنه كثير من الأئمة أشهرهم: ابنه هشام بن عروة، وابن شهاب الزهري".^٣

" وقد أخرج ابن إسحاق نحو ٤٠ رواية من مغازي عروة بن الزبير، بعضها عن الزهري عن عروة، وبعضها عن هشام وعن أخيه يحيى بن عروة عن أبيه، وبعضها عن يزيد بن رومان، وبعضها عن صالح بن كيسان".^٤

ومأثور معروف عن الزبير بن العوام وعن ابنه عبد الله رضي الله عنهما الشجاعة والشدة في المعارك وتأتي رواية عروة بن الزبير في هذا الباب لتؤكد صفة أساسية في هذه العائلة الكريمة، وهي صفة حب الجهاد والتضحية والبذل لأجل دين الله تعالى.

يقول الامام الذهبي وهو يحيى جانبا من سيرة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما مما يؤكد ما ذهبنا إليه: " وله صحبة، ورواية أحاديث.

وعداده في صغار الصحابة، وإن كان كبيراً في العلم، والشرف، والجهاد، والعبادة.

وقد روى أيضا عن أبيه، وجده لأمه الصديق، وأمه أسماء، وخالته عائشة، وعن عمر ، وعثمان ، وغيرهم.

حدّث عنه أخوه عروة الفقيه، وابناه عامر، وعباد، وحفيده : مصعب بن ثابت بن عبد الله ، ويحيى بن عباد بن عبد الله ، وهشام بن عروة.

^١ البصري، محمد بن سعد، الطبقات، دار العلوم، ط١، ١٩٩٧م، ج٥، ص١٣٦.

^٢ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج٤، ص٤٢٤.

^٣ السابق، ج٤، ص٤٢٠.

^٤ السابق، ج٤، ص٤٢٧.

وكان فارس قريش في زمانه، وله مواقف مشهودة .

قيل: إنه شهد اليرموك وهو مراهق، وفتح المغرب، وغزو القسطنطينية، ويوم الجمل مع خالته" ¹.

وبذلك يجتمع للعائلة التخصص العملي من خلال ممارستها للجهاد والتضحية والغزوات التي خاضها الزبير وابنه عبد الله رضي الله عنهما، إضافة إلى التخصص العلمي الذي برع فيه عروة رضي الله عنه وهو يحكي روايات المغازي والسير عن أبيه وعن غير أبيه عن النبي ﷺ .

¹ السابق، ج ٣، ص ٣٦٤.

• ومن مرويات عروة بن الزبير رضي الله عنهما في المغازي عند الامام البخاري رحمه الله:

- قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ أَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ (أَنَّ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالُوا لِلزُّبَيْرِ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَلَا تَشُدُّ فَتَشُدُّ مَعَكَ فَقَالَ إِنِّي إِنْ شَدَدْتُ كَذَبْتُمْ فَقَالُوا لَا نَفْعَلُ فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ حَتَّى شَقَّ صُفُوفَهُمْ فَجَاوَزَهُمْ وَمَا مَعَهُ أَحَدٌ ثُمَّ رَجَعَ مُقْبِلًا فَأَخَذُوا بِلِجَامِهِ فَضَرَبُوهُ فَضَرَبَتَيْنِ عَلَى عَاتِقِهِ بَيْنَهُمَا ضَرْبَةٌ ضَرَبَهَا يَوْمَ بَدْرٍ قَالَ عُرْوَةُ كُنْتُ أَدْخُلُ أَصَابِعِي فِي تِلْكَ الضَّرَبَاتِ أَلْعَبُ وَأَنَا صَغِيرٌ قَالَ عُرْوَةُ وَكَانَ مَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ يَوْمَئِذٍ وَهُوَ ابْنُ عَشْرِ سِنِينَ فَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ وَوَكَّلَ بِهِ رَجُلًا^١).

- قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ حَدَّثَنَا مَالِكٌ عَنْ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَجَّةِ الْوُدَاعِ فَأَهْلَلْنَا بِعُمْرَةٍ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيُهْلِلْ بِالْحَجِّ مَعَ الْعُمْرَةِ ثُمَّ لَا يَحِلُّ حَتَّى يَحِلَّ مِنْهُمَا جَمِيعًا فَقَدِمْتُ مَعَهُ مَكَّةَ وَأَنَا حَائِضٌ وَلَمْ أَطْفِ بِالْبَيْتِ وَلَا بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ فَشَكَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ انْقُضِي رَأْسَكِ وَامْتَشِطِي وَأَهْلِي بِالْحَجِّ وَدَعِي الْعُمْرَةَ فَفَعَلْتُ فَلَمَّا قَضَيْتَا الْحَجَّ أَرْسَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصُّدَيْقِيِّ إِلَى التَّنْعِيمِ فَأَعْتَمَرْتُ فَقَالَ هَذِهِ مَكَانَ عُمْرَتِكَ قَالَتْ فَطَافَ الَّذِينَ أَهَلُّوا بِالْعُمْرَةِ بِالْبَيْتِ وَبَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ ثُمَّ حَلُّوا ثُمَّ طَافُوا طَوَافًا آخَرَ بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا مِنْ مَنَى وَأَمَّا الَّذِينَ جَمَعُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ فَأَمَّا طَافُوا طَوَافًا وَاحِدًا^٢).

- قال الامام البخاري: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ سَعِيدٍ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: (لَمَّا كَانَ يَوْمَ أَحُدٍ هُزِمَ الْمُشْرِكُونَ فَصَرَخَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ أَيَّ عِبَادِ اللَّهِ أَخْرَاكُمْ فَرَجَعَتْ أَوْلَاهُمْ فَاجْتَلَدَتْ هِيَ وَأَخْرَاهُمْ فَبَصَرَ حُدَيْفَةَ فَإِذَا هُوَ بِأَبِيهِ الْيَمَانِ فَقَالَ: أَيُّ عِبَادِ اللَّهِ أَبِي أَبِي قَالَ قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوهُ فَقَالَ حُدَيْفَةُ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ قَالَ عُرْوَةُ: فَوَاللَّهِ مَا زَالَتْ فِي حُدَيْفَةَ بَقِيَّةٌ خَيْرٌ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ^٣).

- قال الامام البخاري: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ حَدَّثَنَا أَبُو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ الزُّبَيْرُ: (لَقِيتُ يَوْمَ بَدْرٍ عُبَيْدَةَ بْنَ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ وَهُوَ مُدَجَّجٌ لَا يُرَى مِنْهُ إِلَّا عَيْنَاهُ وَهُوَ يُكْتَى أَبُو ذَاتِ الْكُرْشِ فَقَالَ: أَنَا أَبُو ذَاتِ الْكُرْشِ فَحَمَلْتُ عَلَيْهِ

^١ البخاري محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب قتل أبي جهل، ح ٣٧٥٦.

^٢ السابق، كتاب المغازي، باب حجة الوداع، ح ٤١٣٤.

^٣ السابق، كتاب المغازي، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا، ح ٤٠٦٥.

بِالْعَنَزَةِ فَطَعَنَتْهُ فِي عَيْنِهِ فَمَاتَ، قَالَ هِشَامٌ: فَأُخْبِرْتُ أَنَّ الزُّبَيْرَ قَالَ: لَقَدْ وَصَعْتُ رَجُلِي عَلَيْهِ ثُمَّ مَمَّطْتُ فَكَانَ
الْجَهْدَ أَنْ نَزَعْتُهَا وَقَدْ انْتَنَى طَرْفَاهَا، قَالَ عُرْوَةُ: فَسَأَلَهُ إِيَّاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَعْطَاهُ،
فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَعْطَاهُ فَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سَأَلَهَا
إِيَّاهُ عُمَرُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَلَمَّا قُبِضَ عُمَرُ أَخَذَهَا ثُمَّ طَلَبَهَا عُثْمَانُ مِنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَقَعَتْ
عِنْدَ آلِ عَلِيٍّ فَطَلَبَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ فَكَانَتْ عِنْدَهُ حَتَّى قُتِلَ¹.

ولعل من أبرز ما يلاحظه الباحث لدى نظره في مرويات عروة بن الزبير رحمه الله أنها في كثير منها من طريق ابنه هشام، عنه، عن أبيه الزبير بن العوام، وهذا التسلسل يحكي رواية الابن عن أبيه عن جده، وهو نوع تخصص للرواة ببعضهم عدا عما نبخته هنا من التخصص في الرواية ضمن موضوعات مخصوصة.

وهذا أيضا مزيد تأكيد على التخصص الدقيق الذي كانت عائلة الزبير بن العوام رضي الله عنه تتمتع فيه وهو تخصص الجهاد والمغازي والمعارك من الناحية العملية حيث الممارسة لهذه الفضائل كلها، ومن الناحية العلمية كذلك حيث الرواية المسلسلة عبر أجيال العائلة الكريمة بسند يبدأ من الحفيد (هشام) مروراً بالابن (عروة) وليس انتهاء بالجد (الزبير) رضي الله عنهم جميعا، حتى تصل هذه السلسلة الكريمة إلى النبي ﷺ.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب ١٢، ح ٣٩٩٨.

- ثانياً: محمد بن شهاب الزهري القرشي المدني (٥٠ - ١٢٣ هـ) رحمه الله:

كان تلاميذ الزهري يقرؤون عليه كتبه، ومنها كتابه (المغازي) الذي كان يحفظه محمد ابن إسحاق عن ظهر قلب، و" كان ابن إسحاق من كبار تلاميذ الزهري الحفظاً خاصة في السير والمغازي، وكان شيخه الزهري يشهد له بذلك"^١.

وقد صنف في المغازي، كما صنف السيرة أيضاً، قال الكتاني " وكتاب السيرة لأبي بكر محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، المدني نزيل الشام، أحد الأعلام، التابعي الصغير، قال بعضهم: أول سيرة ألفت في الإسلام سيرة الزهري"^٢.

وقد أخرج ابن إسحاق في كتابه نحواً من ٩٠ رواية عن الزهري.

ومما يؤكد تخصص الزهري الدقيق في المغازي كذلك ما قاله ابن عبد البر وهو يقارن بين الزهري وغيره في مسألة من مسائل الرواية فيقول:

" وقول ابن شهاب في هذا الحديث عن سعيد بن المسيب (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قفل من خيبر) أصح من قول من قال: (أن ذلك كان مرجعه من حنين) لأن ابن شهاب أعلم الناس بالسير والمغازي، وكذلك سعيد بن المسيب ولا يقاس بهما في ذلك"^٣.

ولم يكن ابن شهاب مجرد راوٍ للمغازي فحسب بل كان يحب الغزو ويحرص على المشاركة فيه، وهذا ما يبين أثراً من آثار تخصص الرواة في الرواية بموضوعات محددة وكيف أن هذه الرواية قد تدفع صاحبها ليتمثل ما يروي، فعن السري بن يحيى عن ابن شهاب، قال: " قدمْتُ الشام، أريد الغزو فأُتيت عبد الملك فوجدته في قبة على فرش، يفوت القائم، والناس تحته سباطان"^٤.

و" قال محمد بن إشكاب، كان الزهري جندياً، قلت (والكلام هنا للذهبي): كان في رتبة أمير"^٥.

^١ البغدادي، أحمد بن عبد المجيد المعروف بالخطيب، تاريخ بغداد، دار الهداية، ط ١٩٩٨م، ج ١، ص ٢١٩.

^٢ الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة، مرجع سابق، ص ١٠٦.

^٣ ابن عبد البر، يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من الأسانيد، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٨٨.

^٤ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٣٠.

^٥ السابق، ص ٣٤١.

ولرويات الإمام الزهري في المغازي مميزات خاصة جعلت لها قيمة مضافة، وقد ذكر الأستاذ محمد العواجي بعضاً من هذه المميزات فمن ذلك:

١. "اعتماده على الإسناد:

فالزهري يعدّ من كبار المحدثين ومن الذين لهم عناية خاصة بالإسناد والتمسك به، وقد زاد اهتمامه بذلك عندما لاحظ بعض الأحاديث التي تذهب إلى العراق فيزاد فيها، حيث يقول: يخرج الحديث من عندنا شبراً فيرجع ذراعاً - يعني من العراق، وقد سمع أهل الشام يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أهل الشام مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطم، فتمسك الناس بالإسناد من يومئذ.

وسمع مرة إسحاق بن أبي فروة يحدث فيرسل فغضب وقال: قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما أجراًك على الله، ألا تسند حديثك يا ابن أبي فروة؟ ما هذه الأحاديث التي ليس لها خطم ولا أزمّة.

أما مروياته المرسلة فقد ورد لبعضها أو لبعض أجزائها شواهد موصولة من طرق صحيحة، مما يزيد من قيمة روايات هذا الإمام.

٢. أن معظم روايات الزهري عن أهل المدينة أبناء الصحابة الذين بدورهم تلقوا هذا العلم من أفواه الصحابة الذين عايشوا التنزيل، وعاصروا تلك الأحداث وشهدوها، فأكسبت هذه الميزة مزيداً من القوة لروايات الزهري.

٣. أن روايات الزهري موافقة لما عند غيره من أهل المغازي إلا ما ندر، بل وموافقة لما عند المحدثين الكبار أمثال الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، وغيرهم.

٤. أن روايات الزهري قد شملت معظم غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم، وجزءاً كبيراً من سراياه خاصة تلك التي لها أهمية كبيرة، مثل سرية الرجيع، وسرية بئر معونة، وسرية مقتل كعب بن الأشرف، وسرية مقتل ابن أبي الحقيق، وسرية عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان الهذلي، وسرية مؤتة"١.

^١ العواجي، محمد بن محمد، مرويات الإمام الزهري في المغازي، دار الهداية، ط ٢٠٠٤م، ج ١، ص ١٥٧.

• ومما روى ابن شهاب الزهري في المغازي عند الامام البخاري رحمه الله:

- قال الامام البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي اِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى اَخْبَرَنَا هِشَامُ بْنُ يُوْسُفَ عَنِ مَعْمَرِ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنِ عَمْرِو بْنِ اَبِي سُوْفْيَانَ التَّمِمْيِّ عَنِ اَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: (بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً عَيْنًا وَاَمَرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ وَهُوَ جَدُّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَاَنْطَلَقُوا حَتَّى اِذَا كَانَ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ ذَكَرُوا لِحْيٍ مِنْ هُدَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ بَنُو لَحْيَانَ، فَتَبِعُوهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَاٍمٍ فَاَفْتَضُوا اَنَارَهُمْ حَتَّى اَنَوْا مَنْزِلًا نَزَلُوهُ، فَوَجَدُوا فِيهِ نَوَى مَرٍّ تَرَوْدُوهُ مِنَ الْمَدِيْنَةِ.

فَقَالُوا هَذَا مَرٌّ يَثْرَبُ فَتَبِعُوا اَنَارَهُمْ حَتَّى لَحِقُوهُمْ فَلَمَّا اِنْتَهَى عَاصِمٌ وَاَصْحَابُهُ لَجُّوْا اِلَى قَدْفِدٍ وَجَاءَ الْقَوْمُ فَاحَاطُوا بِهِمْ فَقَالُوا: لَكُمْ الْعَهْدُ وَالْمِيثَاقُ اِنْ نَزَلْتُمْ اِلَيْنَا اَنْ لَا نَقْتُلَ مِنْكُمْ رَجُلًا فَقَالَ عَاصِمٌ: اَمَّا اَنَا فَلَا اَنْزِلُ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اَللّٰهُمَّ اَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةِ نَفَرٍ بِالْبَبْلِ، وَبَقِيَ حُبَيْبٌ وَزَيْدٌ وَرَجُلٌ آخَرَ فَاَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ فَلَمَّا اَعْطَوْهُمْ الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ نَزَلُوا اِلَيْهِمْ فَلَمَّا اسْتَمَكَّنُوا مِنْهُمْ حَلُّوا اَوْتَارَ قَسِيهِمْ فَرَبَطُوهُمْ بِهَا فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ الَّذِي مَعَهُمَا هَذَا اَوَّلُ الْعَدْرِ، فَاَبَى اَنْ يَصْحَبَهُمْ فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى اَنْ يَصْحَبَهُمْ فَلَمْ يَفْعَلْ فَفَقَتَلُوهُ وَاَنْطَلَقُوا بِحُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى باعُوهُمَا بِمَكَّةَ.

فَاشْتَرَى حُبَيْبًا بَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلٍ وَكَانَ حُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الْحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ فَمَكَتْ عِنْدَهُمْ اَسِيرًا حَتَّى اِذَا اَجْمَعُوا قَتْلَهُ اسْتَعَارَ مُوسَى مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الْحَارِثِ لِيَسْتَحِدَّ بِهَا فَاَعَارَتْهُ قَالَتْ: فَعَقَلْتُ عَنْ صَبِيٍّ لِي فَدَرَجَ اِلَيْهِ حَتَّى اَنَاهُ فَوَضَعَهُ عَلَى فَخِيذِهِ فَلَمَّا رَأَيْتُهُ فَرَعْتُ فَرَعَةً عَرَفَ ذَاكَ مِنِّي وَفِي يَدِهِ الْمَوْسَى، فَقَالَ: اَتَخَشَيْنَ اَنْ اَقْتُلَهُ مَا كُنْتُ لِاَفْعَلَ ذَاكَ اِنْ شَاءَ اللهُ، وَكَانَتْ تَقُولُ: مَا رَأَيْتُ اَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حُبَيْبٍ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ وَمَا بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ مَمْرَةٌ وَاِنَّهُ لَمَوْتِقٌ فِي الْحَدِيدِ، وَمَا كَانَ اِلَّا رَزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ فَخَرَجُوا بِهِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فَقَالَ: دَعُونِي اَصْلِي رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ انصَرَفَ اِلَيْهِمْ فَقَالَ لَوْلَا اَنْ تَرَوْا اَنْ مَا بِي جَزَعٌ مِنَ الْمَوْتِ لَرَدْتُمْ، فَكَانَ اَوَّلَ مَنْ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ عِنْدَ الْقَتْلِ هُوَ ثُمَّ قَالَ: اَللّٰهُمَّ اَحْصِهِمْ عَدَدًا ثُمَّ قَالَ:

مَا اُبَالِي حِيْنَ اُقْتُلَ مُسْلِمًا عَلَى اَيِّ شِقِّ كَانَ لِهٖ مَضْرَعِي
وَذَلِكِ فِي ذَاتِ الْاِلٰهِ وَاِنْ يَشَأُ يُبَارِكْ عَلَى اَوْصَالِ شَلْوِ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ اِلَيْهِ عَقْبَةُ بْنُ الْحَارِثِ فَقَتَلَهُ وَبَعَثَتْ قُرَيْشٌ اِلَى عَاصِمٍ لِيُؤْتُوا بِشَيْءٍ مِنْ جَسَدِهِ يَعْرِفُونَهُ وَكَانَ عَاصِمٌ قَتَلَ عَظِيْمًا مِنْ عَظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ فَبَعَثَ اللهُ عَلَيْهِ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ^٢ فَحَمَنَهُ مِنْ رُسُلِهِمْ فَلَمْ يَقْدِرُوا مِنْهُ عَلَى شَيْءٍ^٣.

¹ واسم هذا المكان هو الرجيع بالقرب من منطقة اسمها الهدة، وانظر: الحموي، ياقوت، معجم البلدان، مرجع سابق، ج ٣ ص ٢٩.

² الدبر: هو بسكون الباء: النحل، وقيل: الزنابير، وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٨.

³ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب غزوة الرجيع، ح ٤٠٨٦.

- قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ أَخْبَرَنَا شُعَيْبٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ أَخْبَرَنِي سَعِيدُ ابْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: (شَهِدْنَا خَيْبَرَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ مِمَّنْ مَعَهُ يَدْعِي الْإِسْلَامَ: هَذَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ.

فَلَمَّا حَضَرَ الْقِتَالُ قَاتَلَ الرَّجُلُ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى كَثُرَتْ بِهِ الْجِرَاحَةُ فَكَادَ بَعْضُ النَّاسِ يَرْتَابُ، فَوَجَدَ الرَّجُلُ أَلَمَ الْجِرَاحَةِ فَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى كِنَانَتِهِ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهَا أَسْهُمًا فَنَحَرَ بِهَا نَفْسَهُ، فَاشْتَدَّ رِجَالُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ صَدَّقَ اللَّهُ حَدِيثَكَ، انْتَحَرَ فَلَانٌ فَقَتَلَ نَفْسَهُ.

فَقَالَ: فَمَنْ يَا فَلَانُ فَأَذُنُ أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ.

تَابَعَهُ مَعْمَرٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ شَيْبٌ عَنْ يُونُسَ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ أَخْبَرَنِي ابْنُ الْمُسَيَّبِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبٍ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ قَالَ: شَهِدْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حُنَيْنًا وَقَالَ ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ يُونُسَ عَنِ الزُّهْرِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَابَعَهُ صَالِحٌ عَنِ الزُّهْرِيِّ وَقَالَ الزُّبَيْدِيُّ أَخْبَرَنِي الزُّهْرِيُّ أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ كَعْبٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبِيدَ اللَّهِ بْنَ كَعْبٍ قَالَ أَخْبَرَنِي مَنْ شَهِدَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ قَالَ الزُّهْرِيُّ وَأَخْبَرَنِي عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ وَسَعِيدٌ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ^١.

- قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُونُسَ حَدَّثَنَا اللَّيْثُ قَالَ حَدَّثَنِي عُقَيْلٌ عَنْ ابْنِ شَهَابٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (غَزَا غَزْوَةَ الْفَتْحِ فِي رَمَضَانَ.

قَالَ وَسَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ يَقُولُ مِثْلَ ذَلِكَ وَعَنْ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَخْبَرَهُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ صَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكُدَيْدَ^٢ الْمَاءِ الَّذِي بَيْنَ قُدَيْدٍ وَعَسْفَانَ أَفْطَرَ فَلَمْ يَزَلْ مُفْطِرًا حَتَّى انْسَلَخَ الشَّهْرُ^٣.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٤٠٢٤.

^٢ الكديد: بفتح الكاف وكسر الدال المهملة، وهي عين جارية بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها، وبينها وبين مكة قريب من مرحلتين، وهي أقرب إلى المدينة من عسفان. قال القاضي عياض: الكديد عين جارية على اثنين وأربعين ميلا من مكة، وانظر، النووي، محيي الدين، المنهاج شرح صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٨٨.

^٣ السابق، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح في رمضان، ح ٤٠٢٦.

● ثالثاً: الامام عامر بن شراحيل الشعبي:

وهو ممن تخصص في رواية أحاديث المغازي أيضاً: " أبو عمرو عامر بن شراحيل شرحبيل الشعبي (ولد سنة ١٩/١٧ هـ - ١٠٣ هـ = ٦٤٠ - ٧٢١م). ولد بالكوفة، وكان محدثاً عالماً في الفقه والمغازي عارفاً للشعر ورواية له، ومن أشهر كُتاب المغازي في صدر الإسلام"^١.

ومما يؤكد عمق تخصص الشعبي في رواية أحاديث المغازي شهادة الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيه، فهو يحيي خبراً يُثبت أن الشعبي رحمه الله كان من الحفظة الأثبات والناقلين الوعاة للسيرة والمغازي.

فقد قال عبد الملك بن عمير: " مرَّ عبد الله بن عمر بالشعبي وهو يقرأ المغازي، فقال: كأن هذا كان شاهداً معنا، ولهو أحفظ لها مني وأعلم"^٢.

وليست شهادة الصحابة في التابعين كأي شهادة، إضافة إلى كون هذه الشهادة للتابعي الشعبي رحمه الله جاءت على لسان ابن عمر رضي الله عنهما وهو المشهود له بكونه من المكثرين للرواية من جهة ومن أكثر الصحابة تتبعاً لأثر النبي ﷺ وحرصاً عليه، وهو هنا يشهد للشعبي رحمه الله بعمق ورسوخ تخصصه في الرواية لأحاديث المغازي، وما كلام ابن عمر رضي الله عنهما هنا إلا من باب المبالغة كناية عن تأكيد تخصص الشعبي رحمه الله في هذا الباب.

^١ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩٨.

^٢ المرجع السابق، ج ٤، ص ٣٠٢.

• ومما روى البخاري في المغازي عن الامام الشعبي ما يأتي:

- قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيْجٍ أَخْبَرَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا شَيْبَانُ عَنْ فِرَاسٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (أَنَّ أَبَاهُ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ عَلَيْهِ دَيْنًا وَتَرَكَ سِتَّ بَنَاتٍ فَلَمَّا حَضَرَ جِرَازُ النَّخْلِ قَالَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ وَالِدِي قَدْ اسْتَشْهَدَ يَوْمَ أُحُدٍ وَتَرَكَ دَيْنًا كَثِيرًا وَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يَرَاكَ الْغُرَمَاءُ فَقَالَ اذْهَبْ فَبَيْدِرْ كُلَّ تَمْرٍ عَلَى نَاحِيَةٍ فَفَعَلْتُ ثُمَّ دَعَوْتُهُ فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ كَانَهُمْ أُغْرُوا بِِي تِلْكَ السَّاعَةَ فَلَمَّا رَأَى مَا يَصْنَعُونَ أَطَافَ حَوْلَ أَعْظَمِهَا بَيْدِرًا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ جَلَسَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ ادْعُ لِي أَصْحَابَكَ فَمَا زَالَ يَكِيلُ لَهُمْ حَتَّى آدَى اللَّهُ عَنْ وَالِدِي أَمَانَتَهُ وَأَنَا أَرْضَى أَنْ يُؤَدِّيَ اللَّهُ أَمَانَةَ وَالِدِي وَلَا أَرْجِعَ إِلَى أَحْوَابِي بِتَمْرَةٍ فَسَلَّمَ اللَّهُ الْبَيْادِرَ كُلَّهَا وَحَتَّى إِنِّي أَنْظُرُ إِلَى الْبَيْدِرِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَتْهَا لَمْ تَنْقُصْ تَمْرَةً وَاحِدَةً^١.

- قال البخاري رحمه الله: حَدَّثَنِي عِمْرَانُ بْنُ مَيْسَرَةَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ عَنْ حُصَيْنٍ عَنْ عَامِرٍ (وهو الشعبي) عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: (أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ عَمْرَةَ تَبْكِي وَاجْتَلَاهُ وَاجْتَلَاهُ وَاجْتَلَاهُ فَجَعَلَتْ كَذًا وَكَذَا وَكَذَا تَعَدَّدُ عَلَيْهِ فَقَالَ حِينَ أَفَاقَ مَا قُلْتِ شَيْئًا إِلَّا قِيلَ لِي أَنْتِ كَذَلِكِ حَدَّثْنَا فُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا عَبَّزٌ عَنْ حُصَيْنٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ أُغْمِيَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ بِهَذَا فَلَمَّا مَاتَ لَمْ تَبْكِ عَلَيْهِ^٢).

• وممن تخصص من جيل كبار التابعين وصغارهم في مرويات المغازي أيضاً:

١. مقسم بن بجرة (ت ١٠١هـ)، وله صحيفتان في المغازي.

٢. أبان بن عثمان (ت ١٠٥هـ)، وله كتاب المغازي.

٣. وهب بن منبه (ت ١١٤هـ)، وله صحيفة في المغازي.

٤. عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ) في السير والمغازي.

وكان قد أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس في مسجد دمشق ويحدث الناس في المغازي ومناقب

الصحابة ففعل^١.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب غزوة أحد، ح ٣٨٢٧.

^٢ السابق، كتاب المغازي، باب غزوة مؤتة، ح ٤٠٢٠.

^٣ أخذت عناوين الكتب من: الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ط دار البشائر الإسلامية، ط ١٩٩٣م.

٥. عبد الله بن أبي بكر ابن حازم الأنصاري (ت ١٣٥).

٦. موسى بن عقبة (ت ١٤١هـ) وله كتاب المغازي.

يقول فيه الامام مالك: "عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة"^٢

هذه مجموعة من المصنفات في المغازي والسير، وقد جمعت أحاديث نبوية وآثاراً عن الصحابة الكرام تبين شيئاً من فقه الجهاد، وتتناول جوانب من غزوات النبي ﷺ، وكان القصد من الجمع عند أصحابها التذكير بشرف المغازي على وجه العموم، دون أن يكون لديهم أي اعتناء بصحة ما رووا، أو بدرجة ما يروون طالما أنهم اعتمدوا الأسانيد في النقل لمن بعدهم.

^١ العسقلاني، أحمد بن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر بيروت، ط ١، ١٩٨٤م، ج ٥ ص ٤٧.

^٢ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، ط ٢٠٠٨م، ج ١، ص ١٤٨.

● خلاصة الفصل الثاني:

- تأكد للباحث من خلال هذا الفصل ما يأتي:

١. أن ظاهرة التخصص في الرواية والعناية المخصوصة بروايات تحكي موضوعات محددة كانت موجودة في زمن التابعين ولم تكن حكراً على زمن الصحابة الكرام.

٢. أن ظاهرة التخصص في الرواية أخذت بُعداً جديداً في عهد التابعين عدا عن كون الراوي منهم يتخصص في رواية أحاديث المغازي أو الفتن أو الزهد وغيرها، حيث وجد أن هناك تخصص في ظاهرة التخصص بمعنى أن هنالك من تخصص في الروايات عن رواة محددين ضمن موضوعات مخصوصة كما تخصص تلاميذ ابن عباس رضي الله عنهما في رواية التفسير عنه، وهو ما قصده البحث هنا بالتخصص داخل التخصص فهو تخصص رجال وتخصص موضوع على حدٍّ سواء.

٣. أن لشهرة بعض التابعين في التخصص بالرواية ضمن موضوعات محددة تأثير كبير على اعتبار رواياتهم وتقديمها وإثباتها كما سيأتي بيانه في الفصل الأخير من هذه الدراسة بعون الله تعالى.

● الفصل الثالث: ظاهرة الاختصاص في الرواية وشيوعها في

المصنفات الخاصة:

المبحث الأول: مصنفات في موضوع الجهاد.

المبحث الثاني: مصنفات في موضوع الفتن والملاحم.

المبحث الثالث: مصنفات في موضوع الدعاء وعمل اليوم والليلة والذكر.

المبحث الرابع: مصنفات في موضوع الإيمان والاعتقاد.

المبحث الخامس: مصنفات في موضوع الفضائل.

المبحث السادس: مصنفات في موضوع الأحكام.

المبحث السابع: مصنفات في موضوع الأدب.

المبحث الثامن: مصنفات في موضوع الزهد.

• الفصل الثالث: ظاهرة الاختصاص في الرواية وشيوعها في المصنفات الخاصة.

شاع التصنيف للكتب المسندة بروايات أصحابها ضمن تخصصات محددة في فترة التدوين للحديث الشريف، وقد سبق ظاهرة الاختصاص هذه بشكل كتب مخصوصة يُفرد أصحابها فيها مرويات تتناول موضوعات محددة، ظاهرة الجوامع والسنن، التي يدوّن الرواة فيها ما تحملوه عن شيوخهم وفق موضوعات مخصوصة هي في الغالب تحكي أركان الإسلام وتفصيلها؛ فكتاب الصلاة وكتاب الصوم والزكاة والحج وغيرها بأبوابها وتفصيلاتها، هذا بالنسبة لكتب السنن.

أما كتب الجوامع فقد أخذ التخصيص للموضوعات فيها جوانب أكثر اتساعاً وشمولاً ولكن ضمن دائرة التخصص أيضاً، فكتاب العلم وكتاب بدء الوحي وكتب الشمائل والمناقب وغيرها.

ومن أصل هذه الفكرة، فكرة الجوامع والسنن بدأ بعض الرواة يصنف الكتب المفردة التي يخص أصحابها فيها تدوين أحاديث مسندة عن شيوخهم ضمن الموضوع الواحد.

وإن كان يسبق فكرة الجوامع والسنن التي جاءت في مراحل التدوين محاولات لجمع أحاديث الموضوع الواحد في زمن الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، ومن هذه المحاولات:

١. ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه جمع أحاديث النبي ﷺ الخاصة بالصدقات في رسالة واحدة، حيث كانت عند ابنه عبد الله نسخة منها^١.

٢. ولما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن كتب له كتباً في الصدقات^٢.

^١ العسقلاني، أحمد بن حجر، التلخيص الحبير، تصحيح عبد الله هاشم يماني، المدينة المنورة، ط ١٩٦٤، ج ٢، ص ١٥١.
^٢ السابق، ج ٢، ص ١٥٢.

٣. وروي أن أبا رافع رضي الله عنه كان عنده كتاب فيه استفتاح الصلاة^١.

٤. والمشهور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه كانت له صحيفة يحتفظ بها في قراب سيفه، وفيها أمور من العقل وفكاك الأسير وألا يُقتل مسلم بكافر، فعن أبي جحيفة قال: سألتُ علياً رضي الله عنه: "هل عندكم شيء مما ليس في القرآن، فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما عندنا إلا ما في القرآن إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة، قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وأن لا يُقتل مسلم بكافر"^٢.

وقد تميز بعض الرواة والمصنفين بالتدوين والرواية ضمن الكتب ذات الموضوعات المخصوصة ومن هؤلاء الذين تميزوا في هذا الأمر الإمام ابن أبي الدنيا^٣، فقد عني بمصنفات كثيرة ذات موضوعات مخصوصة ومن هذه المصنفات المطبوعة له:

- الإخلاص والنية.
- قصر الأمل.
- التوبة.
- الزهد.
- الرقة والبكاء.
- الصبر.
- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- التوكل على الله.
- الجوع.

^١ البغدادي، الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في معرفة أصول الرواية، تحقيق إبراهيم الدمياطي، دار الهدى، مصر، ط١، ٢٠٠٣م، ج١، ص٣٠.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الديات، باب لا يقتل المسلم بالكافر، ح 6517

^٣ الحافظ أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفیان بن قيس البغدادي الأموي القرشي (208هـ - 281هـ) الملقب بـ ابن أبي الدنيا وقد طغى لقبه على اسمه حتى اشتهر به؛ ولد الحافظ أبو بكر في مدينة بغداد، في أوائل القرن الثالث الهجري سنة ثمان ومائتين 208 هـ ينظر الترجمة في: الذهبي، محمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، دار المعارف، ط٢٠٠٣، ج٥، الطبقة العاشرة، ص٣٧.

وغيرها من المصنفات التي يغلب عليها الملاحظات الآتية:

١. الطابع العام لمؤلفات ابن أبي الدنيا هو الرقائق والزهد.
٢. يروي ابن أبي الدنيا بأسانيده المتصلة والمنقطعة.
٣. تحتوي مصنفاته على أمور إضافية عدا عن الروايات المسندة؛ ففيها الأقوال وآثار السلف والأشعار وغيرها.
٤. لم يشترط ابن أبي الدنيا على نفسه الصحة فيما يروي فكان فيما روى الصحيح والحسن والضعف والموضوع.

هذا بالنسبة لابن أبي الدنيا الذي كان مميزاً في ظاهرة التخصص في الرواية، وسوف نعرض للموضوعات التي خصّ لها مصنفوها كتباً مفردة لتؤكد على عظيم اهتمام وانسجام الرواة بما رووا، وهذه الموضوعات التي سوف نعرض ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: مصنفات في موضوع الجهاد.

المبحث الثاني: مصنفات في موضوع الفتن والملاحم.

المبحث الثالث: مصنفات في موضوع الدعاء وعمل اليوم والليلة والذكر.

المبحث الرابع: مصنفات في موضوع الإيمان والاعتقاد.

المبحث الخامس: مصنفات في موضوع الفضائل.

المبحث السادس: مصنفات في موضوع الأحكام.

المبحث السابع: مصنفات في موضوع الأدب.

المبحث الثامن: مصنفات في موضوع الزهد.

• المبحث الأول: مصنفات في موضوع الجهاد.

جمع وروى مجموعة من العلماء والرواة في باب الجهاد في سبيل الله تحديداً، وذلك بإفراد هذا الموضوع المهم في كتب وأجزاء حديثية خاصة، عدا عمّا رواه أصحاب السنن والجوامع في ثنايا كتبهم في هذا الموضوع، فما من كتاب جامع ولا كتاب من كتب السنن إلا وذكر صاحبه باب الجهاد في سبيل الله. وكان من أبرز الكتب التي تناولت الجهاد بشكل إفرادي كُتِب الأئمة والعلماء الآتي ذكرهم:

١. (كتاب الجهاد) للإمام عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي (ت ١٨١هـ).
 ٢. (الجهاد) للإمام محمد بن إدريس الشافعي القرشي، إمام المذهب (ت ٢٠٤هـ).
 ٣. (ما ذكر في الجهاد والحث عليه) لابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ).
 ٤. (كتاب الجهاد) لأبي سليمان، داود بن علي بن داود بن خلف الأصفهاني الظاهري (ت ٢٧٥هـ).
 ٥. (الحرب) لابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ).
 ٦. (الرمي والنضال) لأبي بكر، عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ).
 ٧. (الجهاد) لأبي بكر بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (ت ٢٨٧هـ).
- * وإن كنت لم أعتز على معظم هذه الكتب إلا أنني وجدت من ينص على وجودها أو نسبتها لأصحابها.

ولأن الجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام، ولأنه محكُّ النفوس، ومُخْتَبِرُ الإِيمان الحقيقي، لقوله تعالى: " أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ " (آل عمران: ١٤٢).

ولصعوبة إثبات روايات الجهاد في أرض الواقع باعتبار ما تميل النفوس بطبيعتها إلى كراهيته، قال تعالى: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ " (البقرة: ٢١٦)،

صارت مروياته الحديثية النظرية تحتاج إلى إثبات على صدق مَصَانِهَا من فعل وعمل رُؤَاتِهَا، وقد وجد الباحث ما يؤكد علاقة الراوي بالمرروي من جهة الاختصاص بالرواية لأحاديث الجهاد من جهة وبتمثل الجهاد لدى رواة أحاديثه من جهة أخرى، لاسيما في حياة التابعي الجليل والمحدث الفقيه عبد الله بن المبارك رحمه الله، فقد جمع ابن المبارك في كتاب الجهاد له (٢٦٢) حديثاً بإسناده إلى النبي ﷺ، وهو من أوائل من أفرد كتاباً خاصاً بمرويات الجهاد في سبيل الله.

وقبل الخوض في توصيف روايات الجهاد من كتاب الجهاد عند هذا الإمام المبارك، وحتى تثبت مدى علاقة الراوي بما روى، فإنه لا بد من عمل جولة سريعة تكشف من خلالها عن حركة عبد الله بن المبارك الجهادية خلال سنوات عمره، ونؤكد أيضاً من خلال هذه الجولة أن رواة الحديث للحديث وعاءً وبه عاملون، ومن حروفه ينسجون معالم الطريق، وليس هو مجرد بضاعة مزجاة حملوها عن غيرهم ليؤدوها إلى غيرهم.

وحاشاهم أن يصير أحدهم كمثل اليهود الذين قال فيهم رب العزة: " مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (الجمعة: ٥)، فمن مشاهد جهاد ابن المبارك، ما يأتي:

- يقول العباس بن مصعب: " جمع عبد الله (ابن المبارك) الحديث، والفقه، والعربية، وأيام الناس، والشجاعة والسخاء"^١.

فهو يحكي عن صفات عالية تقف إلى جانب علو الإسناد الذي كانوا يحرصون عليه ويقطعون لأجله البوادي والقفار.

- وقال محمد بن المنذر: " كان ابن المبارك كثير الاختلاف إلى طرسوس (وهي من أرض الرباط والجهاد)^٢. وهذه شهادة تثبت مواطن الجهاد والرباط التي كان الامام ابن المبارك يعتادها بشكل محدد ليتأكد لنا صدق هذا الإمام في تمثل ما روى في باب الجهاد عن النبي ﷺ.

^١ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٨، ص ٣٨٣.

^٢ السابق، ج ٨، ص ٣٦٨.

ولعل أصل حبّ ابن المبارك للجهاد ينبع من كونه يُحب نصيحة الأمة، قال عبد الرحمن ابن مهدي: "ما رأْتُ عيناَيَ أنصحَ للأمة من ابن المبارك".

فالجهاد نصيحة عملية للأمة من حيث جلب المنافع لها ودفع الأذى عنها وبعث العزيمة والهمة في نفوس شبابها، وتذكير الغافلين من أبنائها، وتوفير الأمن والأمان لِعُبادها وأطفالها ونسائها، قال تعالى: " وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا" (النساء: ٧٥).

وقد انسجم ابن المبارك مع مرويات الجهاد التي جمعها في كتاب الجهاد، وكان له في الوقت ذاته صولات وجولات في عدة مواقع مُرابطاً على الثغور، ومجاهداً كلَّ عدوٍّ ظالمٍ وكفُورٍ.

قال أبو حاتم الرازي: "حدثنا عبدة بن سليمان المروزي، قال: كنا سرية مع ابن المبارك في بلاد الروم، فصادفنا العدو، فلما التقى الصفان؛ خرج رجلٌ من العدو فدعا إلى البراز، فخرج إليه رجل فقتله، ثم آخر فقتله، ثم آخر فقتله، ثم دعا إلى البراز فخرج إليه رجل فطارده ساعة فطعنه فقتله، فزادحم الناس إليه فنظرتُ، فإذا هو عبد الله بن المبارك، وإذا هو يكتم وجهه بكمِّهِه، فأخذتُ بطرف كَمِّه فمددته، فإذا هو هو، فقال: وأنت يا أبا عمرو ممن يُشنع علينا؟!".

" يُشنع علينا: يسعى لإظهارنا واكتشاف أمرنا"¹.

وفي هذا المشهد من مشاهد الشجاعة والنزول إلى ميدان الجهاد ما يُشعر القارئ له أن هنالك ثقافة أصيلةً هي التي تكمن وراء هذا الإقدام مع الخفاء خشية الرياء، فهو يقاتل عدواً ظاهراً وعدواً باطناً في الوقت ذاته.

¹ البغدادي، الخطيب، أبو بكر أحمد بن علي، تاريخ بغداد، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٦٧.

هذه الثقافة أصلها من مرويات جمعها بسنده إلى النبي ﷺ، تحكي الجهاد وتفصّل في حياة المجاهدين وأدابهم وأعمالهم.

ومن المواقف والمشاهد أيضاً:

- قال الحسن بن عيسى بن ماسرجس مولى ابن المبارك: "اجتمع جماعةٌ مثل الفضل بن موسى ومخلد بن الحسين فقالوا: تعالوا نعدّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير فقالوا: العلم، والفقه، والحج، والغزو، والشجاعة، والفروسية، والقوة، .."¹.

- وسمع نعيم بن حماد من الوليد بن مسلم حديثاً عن ابن المبارك، فسأل نعيم الوليد: "أين سمعتَ هذا من عبد الله بن المبارك؟ فقال الوليد: في الغزو"².

وانظر كيف يروي ابن المبارك وهو في الغزو، وهذا يدل على أن الرواية كانت تصحبُ الراويَ الصادقَ في جميع مراحل ومواقع حياته، لأنها كانت تشكل جزءاً كبيراً من هذه الحياة، وكأنه انتقل إلى ساحة الجهاد بدافعٍ ابتدائيٍّ من الرواية، ثم إن الجهاد لأصالته، يردُّ المجاهد إلى الرواية من جديد، في لوحة من الوفاء من الراوي للمروي، وكأنه يريد أن يقول: من روايات الجهاد بدأنا وفي ساحاته ننتهي.

- وقال أحمد بن حنبل: "ذهبْتُ لأسمعَ من ابن المبارك، فلم أدركهُ، وكان قد قَدِمَ بغداد، فخرج إلى الثغر، ولم أرهُ"³.

وهي شهادةٌ ضمّنية من الإمام أحمد لابن المبارك أنه كان قد اشتغل بالغزو والجهاد حتى أنه فاتته اللقاء به بسببه.

- وقال محمد بن الفضيل بن عياض: "رأيت ابن المبارك في النوم، فقلتُ أيُّ العمل أفضل؟ قال: الأمر الذي كنتُ فيه، قلت: الرباط والجهاد؟ قال: نعم، قلت: فما صنع الله بك؟ قال: غفر لي مغفرة ما بعدها مغفرة".

¹الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٨، ص ٣٩٧.

²السابق، ج ٨، ص ٤١٠.

³السابق، ج ٨، ص ٤١٨.

هذه الحكاية وإن كانت حكاية مناميّة، ولا يؤخذ من المنامات الأحكام الشرعية، إلا أننا نفيد منها في تعضيد علاقة ابن المبارك بالجهاد والرباط، لا سيما وأن الإمام الذهبي يقول في السّير إنه روى هذه الرواية رجلاً عن محمد بن الفضيل^١.

- ومما روى الإمام ابن المبارك في كتاب الجهاد له الآتي:

١. قال ابن المبارك رحمه الله:

"عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "غدوة في سبيل الله أو راحة خير من الدنيا وما فيها، ولقَابُ قوس أو قيد أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، وملأت الأرض طيباً، ولتصيفها خير من الدنيا وما فيها"^٢.

٢. قال ابن المبارك رحمه الله:

"عن يحيى بن سعيد الأنصاري، قال: حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لولا أن أشق على أمتي، أو قال على الناس، لأحببت أن لا أتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله، ولكن لا أجد ما أحملهم عليه، ولا يجدون ما يتحملون عليه، ولشق عليهم أن يتخلفوا بعدي، أو نحوه، ولوددت أني أقاتل في سبيل الله فأقتل، ثم أحيأ ثم أقتل، ثم أحيأ ثم أقتل"^٣.

^١ السابق، ج ٨، ص ٤١٩.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب الحور العين وصفتهن، ح ٢٦٤٣.

^٣ السابق، كتاب التمني، باب تمني الخير، ح ٦٧٩٩.

٣. قال ابن المبارك رحمه الله:

" عن ابن لهيعة قال: أخبرني الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفس محمد بيده لا يُكَلِّم أحدٌ في سبيل الله، والله أعلمُ بمن يُكَلِّم في سبيله، إلا جاء كهيئته يومَ القيامة؛ اللونُ لونُ الدم، والريح ريح مسك) ^١.

٤. قال ابن المبارك رحمه الله:

أخبرنا طلحة بن أبي سعيد قال: سمعت سعيدا المقبري يحدث أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول: (من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديق بوعده فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) ^٢.

^١ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، ح ١٨٧٦.
^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الجهاد والسير، باب من احتبس فرسا، ح ٢٨٥٣.

• المبحث الثاني: مصنفات في موضوع الفتن والملاحم^١.

وموضوع الفتن من أكثر الموضوعات التي تحتاج إلى تدقيق وتحقيق لما تحويه من حديث في الغيبيات وأشراط الساعة وغيرها، وعلى الرغم من ذلك فإننا نجد بعض من روى الحديث بإسناده قد جمع كثيراً من الأحاديث المتخصصة بهذا الموضوع، وقد سبق وأن أشار الباحث إلى أحاديث الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان في هذا الباب، عدا عما احتوته كتب الجوامع كالجامع الصحيح للإمام البخاري، وصحيح الامام مسلم وغيرها من أحاديث الفتن وأشراط الساعة.

• ولعل من أبرز المصنفات المتخصصة في هذا الباب:

١. عبد الله بن المبارك (١٨١هـ)، وكتابه الفتن.

٢. إسماعيل بن عياش (١٨١هـ)، وكتابه الفتن.

٣. عيسى بن موسى غنجار (١٨٦هـ)، وكتابه الفتن.

٤. الوليد بن مسلم (١٩٥هـ)، وكتابه الفتن.

يقول الذهبي: " قال صدقة بن الفضل المروزي: ما رأيت رجلاً أحفظ للحديث الطويل وأحاديث الملاحم من الوليد بن مسلم، وهو من شيوخ نعيم بن حماد"^٢.

وهذه الشهادة من ابن الفضل للوليد بن مسلم تؤكد ما لدى الوليد من تخصص دقيق في موضوع الملاحم والفتن.

٥. أبو نعيم الفضل بن دكين (ت ٢١٩هـ)، وكتابه: المهدي.

٦. عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٣٧هـ)، وكتابه: الفتن.

^١ أخذت عناوين الكتب من: الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، مرجع سابق.

^٢ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٩، ص ٢١١.

٧. نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٦٦هـ)، وكتابه: الفتن.

٨. حنبل بن إسحاق الشيباني (ت ٢٧٣هـ)، وكتابه: الفتن.

وإن كان يغلب على هذه المؤلفات المخصوصة بهذا الباب أنها تحوي العجائب والمناكير، فقد قال مسلمة بن القاسم في كتاب نعيم بن حماد: " له أحاديث منكراً في الملاحم تفرد بها"^١ وعلى الرغم من الأهمية التي تتمتع بها الكتب المصنفة بالموضوعات المخصوصة إلا أننا نجد أن باب الفتن والملاحم تحديداً على أهميته لم يحظ بمزيد تدقيق عند الجمع والرواية. وحتى يتضح المقال بالمثل فإننا نقف مع كتاب الفتن لنعيم بن حماد لتؤكد من صحة ما ذهبنا إليه.

قال الإمام الذهبي عن نعيم بن حماد: قُلْتُ: " لَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ أَنْ يَحْتَجَّ بِهِ، وَقَدْ صَنَّفَ "كِتَابَ الْفِتَنِ"، فَأَتَى فِيهِ بِعَجَائِبَ وَمَنَاكِيرٍ"^٢.

لقد جمع نعيم بن حماد في كتابه الفتن (٢٠٠٤) حديثاً جلها بين الضعيف والضعيف جداً لاعتماد راويه (نعيم بن حماد) على الضعفاء من أمثال: سعيد بن سنان الرهاوي وابن لهيعة وبقية بن الوليد وغيرهم ممن قال فيهم أهل العلم والجرح والتعديل كلاماً بين النكارة والتدليس.

ولدى رجوع الباحث لنسخة محققة لكتاب الفتن لنعيم بن حماد وهي من تحقيق أيمن محمد محمد، وجد أن الحديث الصحيح في هذا الكتاب لا يتجاوز أحاديث معدودة، وقد عثر فيه على أحاديث بعدد أصابع اليد الواحدة اتفق البخاري ومسلم على روايتها ومن

^١ المروزي، نعيم بن حماد، كتاب الفتن، تحقيق أحمد سفيان، دار التوحيد، القاهرة، ط ١٩٩١م، ص ٨، مقدمة التحقيق.

^٢ الذهبي، محمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٦٠٩.

ذلك، ما روى البخاري ومسلم عن نعيم بن حماد قال: حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة عن عقيل عن ابن شهاب عن أبي إدريس الخولاني عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال:

(أنا أعلم الناس بكل فتنة هي كائنة إلى يوم القيامة وما بي أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسر إلي في ذلك شيئاً لم يحدث به غيري ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدث مجلساً أنا فيه عن الفتن التي تكون منها صغار ومنها كبار فذهب أولئك الرهط كلهم غيري).¹

أما الضعيف فيه فكثير كثير ومن ذلك:

قال نعيم بن حماد قال: حدثنا رشدين عن ابن لهيعة عن عبد الغفار عن سفيان الكلبي قال: (في سبع البلاء وفي ثمان الفناء وفي تسع الجوع).²

فالحديث ضعيف لأن مداره على رشدين المدلس وابن لهيعة الذي تأكد تدليسه هنا بالعننة.

ومن أحاديثه الضعيفة كذلك:

قال نعيم بن حماد رحمه الله: عن عيسى بن يونس عن هشام بن عروة عن صاحب لأبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ينزل عيسى بن مريم فيمكث في الأرض أربعين سنة).¹

¹ المروزي، نعيم بن حماد، كتاب الفتن، ط المكتبة التوفيقية، تحقيق أيمن محمد محمد، ح³، وهو في البخاري ومسلم.

² السابق، ح⁶³⁰.

وقد قسم نُعيم بن حماد رحمه الله كتابه (الفتن) إلى عشرة أقسام كلها تدور في موضوع الفتن بشكل مخصوص، ومن العناوين التي اختارها نعيم بن حماد لتكون فصولاً وأبواباً لكتابه مما يؤكد تخصصه في رواية أحاديث الفتن ما يأتي:

١. تسمية الفتن التي هي كائنة وعددها من وفاة الرسول إلى قيام الساعة.

٢. ما يستحب من خفة المال والولد في الفتن.

٣. بُدُوُ فتنة الشام.

٤. خروج الدجال وسيرته.

٥. ما وُقِّت في الفتن من الأوقات للسنين والشهور والأيام.

يقول الدكتور عبد الواحد الإدريسي مؤكداً أهمية التخصص في الرواية:

"ونذكر من حسنات الكتاب (كتاب الفتن لنعيم بن حماد) اهتمام ابن حماد الكبير بالمهدي وما روي فيه من أخبار وأنه أوسع مصدر فيما يتعلق بالمهدي على الرغم من تنوع مروياته فيه بين موقوفات ومرفوعات ومقطوعات وأقوال الناس وروايات أهل الكتاب"^٢.

فالدكتور الإدريسي هنا يحكي أبرز وأهم فضيلة للكتب والمصنفات المخصصة أنها تجمع أكبر قدر ممكن من مرويات موضوعها، وهذا بحد ذاته إنجاز كبير يُسجل لمصنفيها بصرف النظر بادئ الأمر عن طبيعة ونوع وثبوت هذه المرويات.

^١ السابق، ح١٦١٧، وإسناده ضعيف لجهالة صاحب أبي هريرة رضي الله عنه.

^٢ الإدريسي عبد الواحد إدريس، فقه الفتن، مكتبة دار المنهاج، ط٢، ١٤٣١هـ ص٨٠.

● المبحث الثالث: مصنفات في موضوع الدعاء وعمل اليوم والليلة والذكر.

جمع كثير من العلماء والرواة تحت هذا الباب ترغيباً في الدعاء، وحثاً على ذكر الله تعالى، وقد رأى بعض الرواة ومن أخرجوا لنا السُّنة الكريمة أن يكون العنوان الجامع لذلك هو (عمل اليوم والليلة)، وكان ممن صنف في هذا الموضوع:

١. أبو عبد الرحمن الصَّبِّي (ت١٩٥هـ)، وكتابه: عمل اليوم والليلة.

٢. الحسن المعمرى (ت٢٩٥هـ)، وكتابه: عمل اليوم والليلة.

٣. يوسف القاضي (ت٢٩٧هـ)، وكتابه: الذكر.

٤. أحمد بن شعيب النسائي (ت٣٠٣هـ)، وكتابه: عمل اليوم والليلة.

٥. أحمد بن محمد بن السني (ت٣٦٤هـ)، وكتابه: عمل اليوم والليلة.

٦. أبو نعيم الأصبهاني (ت٤٣٥هـ)، وكتابه: عمل اليوم والليلة.

٧. البيهقي (ت٤٥٨هـ)، وكتابه: الدعوات الكبير.

ومما تجدر الإشارة إليه أن العلماء اختلفوا في كتاب: (عمل اليوم والليلة للنسائي) هل هو كتاب مستقل عن كتابه السنن أم أنه ليس بمفرد، ورجَّح أحد محققي الكتاب وهو الدكتور فاروق حمادة أن يكون (عمل اليوم والليلة) للإمام النسائي كتاباً مُفرداً لأمر منها:

١. وجود رواية عن الإمام النسائي فيها أنه أَلَّفه بطلب من الأمير أبي النجم بدر الحمامي، ووهبه على ذلك خمسمائة دينار، وهذا يضاف إلى أسباب التخصص في التصنيف التي ذكرت في مبحث سابق، وقد ذكر القصة ابن الأبار (٦٥٨هـ) في كتاب معجم أصحاب الصديقي.

٢. تفرّد ابن الأحرر وابن سيّار عن سائر رواة كتاب السنن بضمها إلى السنن، فيما رواها غيرهم كتاباً مستقلاً، منهم أبي محمد الأصيلي (٣٣٥هـ) وأبي الحسن بن حيّوة.

٣. نص عدد من الحفاظ عند ذكرهم للأوراد والأذكار النبوية أن النسائي هو الذي ألف في هذا الفن كتاب عمل اليوم والليلة، مثل: الحافظ المنذري (٦٥٦هـ)، والإمام النووي في الأذكار، وعدد غير قليل من المخرّجين يذكرونه ككتاب مستقل مثل الحافظ الزيلعي (٧٦٢هـ) في تخريج أحاديث الكشاف، وفي نصب الراية، والحافظ ابن كثير في تفسيره، والإمام البلقيني (٨٠٥هـ) في محاسن الاصطلاح، وابن حجر في نتائج الأفكار.

ويضيف محقق الكتاب الدكتور فاروق حمادة مبينا قصد الإمام النسائي في اختياره لموضوع عمل اليوم والليلة ومضمون ذلك ومحتواه: "أما ناحية الموضوع فقد قصد النسائي أن يكون كتابه هذا جامعاً لكل الأوراد والأذكار التي صحت عن رسول الله ﷺ ليُمارسها الإنسان ويؤديها في ليله ونهاره، حله وترحاله، صحته ومرضه، وفي كل شأن من شؤونه، ولهذا أسماه (عمل اليوم والليلة) لأن الحياة، أو العمر الإنساني ما هو إلا صفحات من ليل ونهار"^١.

وقد قسم النسائي كتابه إلى عدة أبواب تناول فيها عمل اليوم والليلة من الأذكار والمستحبات من الأعمال وبين فيها الفضل والثواب المسنون لكثير من الأعمال والأذكار، وقد احتوى الكتاب على (١١٤٩) حديثاً مسنداً ساقها الإمام النسائي رحمه الله بسنده إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يخلُ الكتاب من الصحيح والضعيف والحسن، وقد قام الدكتور فاروق حمادة وغيره من المحققين بتحقيق هذا الكتاب وتمييز صحيحه من سقيمته.

^١ النسائي، أحمد بن شعيب، عمل اليوم والليلة، تحقيق فاروق حمادة، ط مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٥، ص ١٠.

- ومن الأبواب التي ذكرها الإمام النسائي رحمه الله في كتابه عمل اليوم والليلة:
- ما يقول عند الوداع.
- ما يقول إذا ركب.
- ما يقول إذا عثرت دابته.
- ما يقول إذا سمع الرعد والصواعق.
- ما يقول على الملدوغ.
- ما يقول إذا سمع نهيق حمار.

● ومما روى النسائي رحمه الله في هذا الكتاب:

- قال النسائي رحمه الله: أخبرنا عمرو بن علي قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا سفيان قال: حدثنا الأعمش عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا حول ولا قوة إلا بالله كنز من كنوز الجنة)^١.

- قال النسائي رحمه الله: أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال: أخبرنا جرير عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال: (جاء ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه إنا نجد في أنفسنا ما يتعاضم أحدنا أن يتكلم به قال وقد وجدتموه قالوا نعم قال ذلك صريح الإيمان)^٢.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب القدر باب لا حول ولا قوة إلا بالله، ح ٦٢٣٦، وهو في: النسائي، أحمد بن شعيب، عمل اليوم والليلة، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٨م، باب الترغيب في قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ح ٤٣، وإسناده صحيح.

^٢ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب الوسوسة في الإيمان، ح ١٣٢، وأخرجه النسائي، أحمد بن شعيب، عمل اليوم والليلة، باب الوسوسة، ح ٦٦٩.

● المبحث الرابع: مصنفات في موضوع الإيمان والاعتقاد.

يعد موضوع الإيمان والاعتقاد والتوحيد من أكثر الموضوعات التي جمع بها الرواة أحاديث ضمن مصنفات مخصوصة، ولعل السبب الأكبر في ذلك، ما تملَّك هؤلاء الرواة من الرغبة في المحافظة على أصول الاعتقاد أولاً، لأنها أساس لكل ما بعدها من تشريع، ولما قد يثار حول موضوع الاعتقاد من شبهات لا سيما حول الصفات والأسماء والغيبيات وغيرها.

لأجل ذلك نرى أنه حتى في الجوامع قدَّم أصحابها أبواب موضوع الإيمان قبل الأبواب والكتب التي تتناول موضوعات التشريع من صلاة وصيام وغيرها.

● ومن المصنفات من كتب الرواية في هذا الباب ما يأتي:

١. أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٣هـ)، وكتابه: الإيمان.
٢. أبو بكر بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، وكتابه: الإيمان.
٣. أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، وكتابه: الإيمان.
٤. محمد بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ)، وكتابه: الإيمان.
٥. هشام بن عمار السلمي (ت ٢٤٥هـ)، وكتابه: المبعث.
٦. محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، وكتابه: خلقُ أفعال العباد.
٧. أبو داود السجستاني (ت ٢٧٥هـ)، وكتابه: البعث والقدر.
٨. محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٥هـ)، وكتابه: العرش.

٩. أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، وكتابه: الإيمان وشرائعه.

١٠. محمد بن إسحاق بن خزيمة (ت ٣١١هـ)، وكتابه: التوحيد.

١١. الآجري (ت ٣٦٠هـ)، وكتابه: الشريعة.

١٢. الدارقطني (ت ٣٨٥هـ)، وكتابه: الصفات.

١٣. محمد بن إسحاق بن مندة (ت ٣٩٥هـ)، وكتابه: الإيمان.

١٤. البيهقي (ت ٤٠٣هـ)، وكتابه: شعب الإيمان.

- وقد وقف الباحث على كتاب: خلق أفعال العباد، للإمام البخاري فوجد أن البخاري رحمه الله تعالى نهج منهجاً محدداً في التصنيف وذلك ضمن المعالم الآتية:

١. قسّم الإمام الكتاب إلى (١٢) باباً، وجعل لكل باب عنواناً، وأورد تحت العنوان ما يناسبه من نصوص تخص موضوع الكتاب نفسه.

٢. بدأ الكتاب بذكر أقاويل أهل السنة في الجهمية وتكفير من يقول بقولها.

٣. تناول في الباب الثاني الكلام في مسألة خلق الأفعال، وأثبت أن أفعال العباد مخلوقة، وقام بالرد على الجهمية في هذا.

٤. يعدّ الكتاب أصلاً من الأصول التي احتفظت لنا بجملة كبيرة من أقاويل أئمة السلف من الصحابة والتابعين في فرقة الجهمية ومن قال بقولها، وبين لنا الكتاب كذلك الطريقة المثلى في الرد على أهل البدعة.

٥. يلاحظ كذلك كثرة تعليقات المصنف على ما يورده من نصوص، وأنه لم يكتف بسرد النصوص فحسب، بل كانت له كذلك ردود على الشبهات التي يلقيها الجهمية.

٦. يلاحظ كذلك حذفه لكثير من أسانيد النصوص التي يذكرها، وأنه قد يكرر النص الواحد

بعده أسانيد، وقد يذكر له بعض الشواهد والمتابعات.

٧. بلغ عدد النصوص الواردة في الكتاب (٢٧٨) نصاً، وهي تتنوع بين أحاديث مرفوعة وآثار

موقوفة على الصحابة والتابعين .

وقد بدأ المؤلف ب "باب ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يُبدلوا كلام الله - عز وجل -". ونقل الإمام البخاري في هذا الباب قول السلف في أن القرآن كلام الله، وأنه غير مخلوق، والقول بأن الله فوق عرشه بائن من خلقه، والقول برؤية المؤمنين ربهم في الآخرة، والأدلة على بقاء الجنة والنار وأنهما لا تفتيان، وذكر مقالات الجهمية وقولهم إن القرآن مخلوق، وفيهم لعلو الله - سبحانه وتعالى-، وقولهم إن الله في كل مكان بذاته، وهذا قول الجهمية الأوائل والمتأخرين منهم غلوا وتناقضوا فقالوا إن الله لا داخل ولا خارج العالم ولا منفصل عنه ولا متصل به.

وقولهم بفناء الجنة والنار، واعتقادهم أن الجنة والنار غير مخلوقة الآن، وإذا خلقتا تفتيان، وذكر شيئا من أحوال جهنم بن صفوان مؤسس هذه الفرقة الضالة والتي تنسب إليه، وعمن أخذ هذه المقالات، ولمن ورثها ورد السلف على هذه المقالات والتحذير منها، ونقل الإمام البخاري - رحمه الله - عن السلف تكفير الجهمية وتكفير من قال بأقوالهم.

فنقل الإمام البخاري عن سفيان بن عيينة قوله: أدركت مشائخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله وليس بمخلوق، وعن حبيب بن أبي حبيب عن أبيه عن جده قال: شهدت خالد بن عبد الله القسري بواسط في يوم الأضحى قال: ارجعوا فضحوا فإن مُصَحَّحًا بالجعد بن درهم، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى تكليماً!! - تعالى - الله علواً كبيراً عما يقول الجعد بن درهم، ثم نزل فذبحه، قال الثوري: مَنْ قال القرآن مخلوق فهو كافر، وحذر يزيد بن هارون من الجهمية فقال: من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي وقال وكيع: لا تستخفوا بقولهم: القرآن مخلوق فإنه من شر قولهم وإنما يذهبون إلى التعطيل.

وذكر البخاري حديث جرير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنكم راؤون ربكم فقال يزيد: من كذب بهذا فهو بريء من الله ورسوله.

ثم ذكر الإمام البخاري أحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أثبت فيها أن القرآن كلام الله منها حديث جابر رضي الله عنه قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يعرض نفسه بالموقف فقال: "ألا رجل يحملني إلى قومه...؟ فإن قریش قد منعوني أن أبلغ كلام ربي".

وقال بعض أهل العلم: إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم، والأصم، والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق.

وفي باب "أفعال العباد" ذكر الإمام البخاري آثار وأحاديث عن الصحابة والتابعين وأقوال العلماء في أن أفعال العباد مخلوقة وأن للإنسان فعل قائم به يثاب أو يعاقب عليه وأنها غير أفعال الله وليس كما تزعم الجهمية الذين قالوا إن الأفاعيل كلها من الله وأنه ليس للإنسان فعل أصلاً وأنه مجبور على أفعاله، أو القدرية النفاة الذين أنكروا علم الله وقالوا: إن الإنسان هو خالق أفعال نفسه.

وذكر حديث حذيفة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله يصنع كل صانع وصنعتة" وتلا بعضهم عند ذلك قوله - تعالى - والله خلقكم وما تعملون الصافات: فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة.

وفي باب الرد على الجهمية وأصحاب التعطيل قال الإمام البخاري: ولقد بين نعيم بن حماد أن كلام الرب ليس بمخلوق وأن العرب لا تعرف الحي من الميت إلا بالفعل، فمن كان له فعل فهو حي ومن لم يكن له فعل فهو ميت، وأن أفعال العباد مخلوقة.

وفي باب قراءة الفاتحة خلف الإمام في الصلاة بالجهري: أراد الإمام البخاري من هذا الباب إثبات أن قراءة القارئ وتلاوته غير المقروء والمتلو.

ثم ختم كتابه بباب قوله - تعالى -: فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين.

ومن هنا يتأكد لنا أيضاً علاقة الراوي بالمروي حيث استند الراوي وهو الإمام البخاري بين يدي جمعه لأحاديث في الموضوع الخاص، في رده على فرقة من الفرق الضالة، وقد بين الباحث ذلك عند حديثه عن أسباب بروز ظاهرة الجمع المتخصص للروايات.

ولا شك أننا لو نظرنا في باقي الكتب المصنفة في باب الإيمان أو التوحيد والعقيدة تحديداً فإننا نجد أن أصحابها يذهبون باتجاه ذكر الأدلة وحشد النصوص التي تؤيد مذهبهم العقائدي.

ولأننا من أهل السنة والجماعة فقد اختار الباحث أن يذكر من كتب أهل السنة والجماعة دون المبتدعة من الكتب المصنفة للرواة بأسانيدهم في هذا الموضوع دون سواه.

• المبحث الخامس: مصنفات في موضوع الفضائل.

تنوعت الكتب الحديثية المصنفة في أبواب الفضائل وتعددت بحسب أغراض من قام بجمعها وتصنيفها من أهل العلم، فمنهم من صنّف في فضائل القرآن، ومنهم من صنّف في فضائل الصحابة، وفضائل الأعمال وغير ذلك.

والذي يجمع ذلك كله هو حسن علاقة الراوي بالمرروي من حيث رغبته في ترغيب الناس بالموضوع الذي جمع تحته أحاديثه المسندة، وهذا هو الذي جعله يبذل هذا الجهد فيه.

فالراوي يحب المرروي أو موضوع المرروي ابتداءً، لأجل ذلك يطلب من النصوص مما يحفظ بأسانيد المختلفة لترغيب الخلق في موضوعه، إضافة إلى السبب العام الذي لا نبرح إلا ونكره وهو أمانة التبليغ، لأن نقل النصوص دين وأمانة.

ومما يغلب على أحاديث كتب الفضائل أنها تحتمل الضعف والوهن، والوضع أحياناً، أكثر من احتمالها للصحة، وذلك لأجل تساهل كثير من الرواة في أداء الحديث الضعيف من باب فضائل الأعمال ولأجل الترغيب في الخيرات، على الرغم من أن علماءنا الأوائل أمثال الإمام ابن حجر رحمه الله وغيره وضعوا شروطاً لقبول الضعيف من الأحاديث التي فيها بيان لفضائل الأعمال.

فهذا الإمام أحمد وغيره من الأئمة يقولون: "إذا روينا في الحلال والحرام شدّنا، وإذا روينا في الفضائل ونحوها تساهلنا".^١

وقال الإمام النووي: " ويجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد ورواية سوى الموضوع من الضعيف، والعمل به من غير بيان ضعفه في غير صفات الله تعالى والأحكام، كالحلال والحرام، ومما لا تعلق له بالعقائد والأحكام".^٢

^١ اللكنوي، محمد عبد الحي، الأجوبة الفاضلة، دار الهداية، ط ١، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبوغدة، ص ٣٦.

^٢ السيوطي، جلال الدين، تدريب الراوي، مرجع سابق، ج ١ ص ٢٩٨.

" وذكر شيخ الإسلام - يعنى الإمام ابن حجر - له ثلاثة شروط، أحدها: أن يكون الضعف غير شديد، فيخرج من انفراد من الكذابين، والمتهمين بالكذب، ومن فحش غلظه، نقل العلائي الاتفاق عليه .

الثاني: أن يندرج تحت أصل معمول به .

الثالث: أن لا يعتقد عند العمل به ثبوته، بل يعتقد الاحتياط"¹ .

وكان الإمام أحمد يعمل بالضعيف إذا لم يوجد غيره، ولم يكن ثم ما يعارضه، وفي رواية عنه: " ضعيف الحديث عندنا أحب من رأى الرجال"² .

- ومن الكتب المصنفة في أبواب فضائل الأعمال تحديداً ما يأتي:
- الفضل بن دكين(ت٢١٩)، وكتابه: فضائل الولاة العادلين.
- أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، وكتابه: فضائل القرآن.
- ابن أبي شيبة(ت٢٣٥)، وكتابه: فضائل الأعمال.
- أحمد بن حنبل(ت٢٤١)، وكتابه: فضائل الصحابة.
- حميد بن زنجويه(ت٢٥١)، وكتابه: فضائل الأعمال.
- أبو داود(ت٢٧٥)، وكتابه: فضائل الأنصار.
- محمد بن أيوب ابن الضريس(ت٢٩٥)، وكتابه: فضائل القرآن.
- النسائي(ت٣٠٣هـ)، وكتابه فضائل القرآن.
- النسائي(ت٣٠٣هـ) وكتابه: فضائل الصحابة.
- محمد بن جعفر الخرائطي(ت٣٢٧هـ)، وكتابه: مكارم الأخلاق.

¹ السابق، ج١، ص٢٩٩.

² اللكنوي، محمد عبد الحي، الأجوبة الفاضلة، مرجع سابق ص٤٧.

وقد وقف الباحث على كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فوجد ابتداءً أنه مقسمٌ من حيث الرواية إلى أقسام ثلاثة، كما ذكر الألباني رحمه الله عندما قال:

"إن الأحاديث المروية في كتاب " فضائل الصحابة " للإمام أحمد ثلاثة أنواع:

الأول : من رواية أبي بكر القطيعي عن عبد الله بن الإمام أحمد عن أبيه.

الثاني : من رواية القطيعي عن عبد الله بن أحمد عن شيوخه غير أبيه.

الثالث : من رواية القطيعي عن شيوخه غير عبد الله بن أحمد.

ومن لا علم عنده بالأسانيد وطبقات الرواة يتوهم من مجرد رؤيته الحديث في كتاب " الفضائل " أنه من رواية أحمد! وليس كذلك، فينبغي التنبُّه لهذا حتى لا ينسب للإمام أحمد من الحديث ما لم يروه فيسأء إليه¹

● وقد جُمعت روايات كتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد فكانت على النحو الآتي:

١. عدد روايات الكتاب كاملاً بجزئيه: ١٩٦٢.

٢. عدد روايات أحمد بن حنبل: ٩٧٠.

٣. عدد روايات زوائد عبد الله بن أحمد بن حنبل: ٥٢٤.

٤. عدد روايات زوائد القطيعي: ٤٦٨.

¹ الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة المعارف، الرياض، ٢٠٠٤م، ج ١٢، ص 426.

والمهم هنا أن نعلم بأن الإمام أحمد وهو صاحب المسند، والذي لم يرتب مسنده ترتيباً موضوعياً إنما رتبته بحسب مسانيد الصحابة، نجد هنا يصنف كتاباً من مروياته يحكي فيه مناقب أو صفات وفضائل الصحابة الكرام، وكأنني به يطلب من خلال كتابه هذا تكميم الجهد الذي بذله في المسند، حيث جمع أحاديث الصحابة هناك، ثم بين وميّز فضائلهم ومناقبهم هنا، ولعل هذا هو مقصد من مقاصد تصنيفه لهذا الكتاب تحت هذا العنوان.

وقد بدأ الامام أحمد كتابه بأحاديث مسندة تؤكد فضل الصحابة عموماً، من مثل قوله:

" حدثنا عبد الله قال حدثني أبي قال: ثنا وكيع، قال: ثنا الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: (لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدّ أحدهم ولا نصيفه).¹

ثم شرع بسرد الأحاديث التي تبين مناقبهم وفضائلهم مبتدئاً بأبي بكر رضي الله عنه وباقي الخلفاء الراشدين، حتى يأتي على ما قُدر له أن يتناول فضائلهم من الصحابة الكرام والصحابيات الكريّمات.

ومن كتب الفضائل كذلك كتاب فضائل القرآن للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ وهو يحتوي على (٦٧) باباً من الأبواب التي تخص موضوع فضل وأدب التعامل مع كتاب الله تعالى ومن هذه الأبواب²:

- باب فضل تعلم القرآن.
- باب فضل علم القرآن والسعي في طلبه.

¹ أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٣، تحقيق وصي الله عباس، ح ٥، وقد رواه: البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كاتب المناقب، مناقب الأنصار، ح ٦٥٢٣.

² ابن سلام، أبو عبيد القاسم، فضائل القرآن، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩١م.

- باب فضل فاتحة الكتاب.
- باب تأليف القرآن وجمعه ومواضع حروفه وسوره.
- باب ما جاء في مثل القرآن وحامله والعامل به والتارك له.

ويعد أبو عبيد ابن سلام من المتخصصين في القرآن وما يتعلق به من علوم وروايات ومعارف بامتياز كبير لا سيما ونحن نستقرئ ما جمع وألّف فنجد هذا التخصص والاهتمام ظاهراً، يقول ابن الجزري: " أول من جمع القراءات في كتاب: أبو عبيد القاسم بن سلام، وجعلهم خمسة وعشرين قارئاً مع هؤلاء السبعة"¹.

ومما كتب ابن سلام مما يؤكد اختصاصه في هذا الجانب أيضاً ما يأتي:

- الناسخ والمنسوخ.
- معاني القرآن.
- القراءات.

ويعد كتاب فضائل القرآن له أول كتاب يتحدث عن فضائل القرآن فيمن صنف في الباب نفسه، يقول أحمد القاضي في تأكيد تخصص وتفنن ابن سلام في فضائل القرآن: " كان أبو عبيد فاضلاً في دينه وفي علمه، ربانياً متفنناً في أصناف علوم الإسلام من القرآن وغيره"².

¹ ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، المطبعة التجارية، ط ٢٠٠٩م، ج ١، ص ٣٣.

² ابن سلام، أبو عبيد القاسم، فضائل القرآن، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩١م.

• المبحث السادس: مصنفات في موضوع الأحكام.

يُعد موضوع العبادات والأحكام من أوسع الموضوعات وأكثرها تشعباً بحسب ما ينضوي تحته من فروع؛ كلها تتبع للعبادات المقدره شرعاً، حيث الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها.

ومما لاشك فيه أن كتب السنن التي أفردت البحث ورگزت على هذه العبادات وجمعت جمعاً موضوعياً فيها كان لها الدور الأعظم في الكشف عن أصول الشريعة والأحكام، مما يؤكد أهمية هذه الكتب في بيان تفاصيل الشريعة من أركان وسنن وآداب وغيرها، وكذا كان للجوامع دورها فهي تحوي السنن وما زاد على السنن من عقائد ومناقب ومغازي وغيرها.

وأما التصنيف المتخصص في أبواب العبادات والأحكام مما أخرج الرواة بأسانيدهم فكان على النحو الآتي:

١. المغيرة بن مقسم (ت١٣٦هـ)، وكتابه: الفرائض.
٢. إبراهيم بن سعد (ت١٨٤هـ)، وكتابه: الأحكام.
٣. خالد بن يزيد الدمشقي (ت١٨٥هـ)، وكتابه: الديات.
٤. عبد الرزاق الصنعاني (ت٢١١هـ)، وكتابه: الصلاة.
٥. أبو نُعيم الفضل بن دكين (ت٢١٩هـ)، وكتابه الصلاة.
٦. أبو عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ)، وكتابه: الطهور.
٧. محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، وكتبه: القراءة خلف الإمام، ورفع اليدين في الصلاة.
٨. إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت٢٨٥هـ)، وكتابه: الطهارة، وسجدات القرآن.
٩. أبو بكر بن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ)، وكتابه: الصيام.
١٠. محمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ)، وكتابه: تعظيم قدر الصلاة.

١١. الفريابي (ت ٣٠١هـ)، وكتابه أحكام العيدين.

١٢. النسائي (ت ٣٠٣هـ)، وكتابه: الإمامة والجماعة.

١٣. ابن حبان (ت ٣٥٤هـ)، وكتابه: صفة الصلاة.

١٤. أبو الشيخ بن حبان (ت ٣٦٩هـ)، وكتابه: الأذان والمواقيت.

هذه بعض الكتب المتخصصة برواية أحاديث الأحكام، وقد كان لهذه الكتب المتخصصة في هذا الموضوع تحديداً دورها الكبير في تحقيق المناط وتأصيل الشريعة الإسلامية، ومعالجة ما قد يشوب الأحكام الشرعية من خلافات تحتاج إلى دليل يقطع بها، فلا مجال لاجتهاد في موضع نص، وقد عملت مثل هذه الكتب المتخصصة على متابعة الرواية وإزالة التعارض بينها وبين الرواية الأخرى في الموضوع الواحد ليطمئن المسلم وهو يؤدي العبادة لله تعالى.

وفي جولة في رحاب كتاب القراءة خلف الإمام البخاري، وجد الباحث، أن الإمام البخاري إنما قصد في هذا الجزء الكلام على مسألة تتعلق بفقهاء الصلاة، ألا وهي قراءة المأموم خلف الإمام في الصلاة، والمطالع للكتاب يتبين له من منهج المؤلف في الكتاب ما يأتي:

١. قسّم الكتاب إلى أبواب، وجعل لكل باب عنواناً، وأورد تحته ما يناسبه من أحاديث وأثار مسندة، وقد جعل عناوين الأبواب متضمنة لإشارة مختصرة إلى مضمون النصوص التي سيذكرها في الباب.
٢. بدأ الكتاب بمقدمة ذكر فيها عدة نصوص تتعلق بوجوب قراءة الفاتحة في الصلاة، ثم عقد باباً في وجوب القراءة للإمام والمأموم، وأدنى ما يجزئ من ذلك، ثم أتبعه باباً ذكر فيه هل يقرأ بأكثر من فاتحة الكتاب خلف الإمام، ثم عقد باباً في المنع من الجهر بالقراءة خلف الإمام.

٣. احتفظ لنا الكتاب بفقه أئمة السلف فيما يتعلق بالمسألة محل البحث، وجاء ذلك من خلال جملة كبيرة من الآثار التي خرَّجها البخاري عن الصحابة والتابعين.
٤. عَقَّب البخاري على كثير من الأحاديث التي أوردها بالشرح والبيان، وردَّ على المخالفين وأجاب عن أدلتهم، وتكلم على كثير من الأسانيد والمتون التي أوردها، وصَحَّح وضعَّف، واختار ورَجَّح، فجاء الجزء آية بيِّنة على سعة علم البخاري وعظيم فقهه، وأن له عقلية واعية قادرة على الفهم والاستيعاب والتحليل والترجيح، وهذه كلها مما يؤكِّد علاقة الراوي (البخاري) بما يروي، وذلك من نافذة الرواية المتخصصة التي نحن بصدد بحثها هنا.
٥. لم يلتزم المصنف الصحة هنا كما التزمها في صحيحه؛ بل أورد كذلك الحسن والضعيف.

- ومن أحاديثه التي رواها في هذا الكتاب ما يأتي:

- قال البخاري رحمه الله: حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبي ، عن صالح ، عن الزهري ، أن محمود بن الربيع ، وكان ، مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في وجهه من بثر لهم أخبره أن عبادة بن الصامت أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)^١.

- قال البخاري رحمه الله: "يا أبا هريرة : إني أكون أحيانا وراء الإمام ، فغمز أبو هريرة ذراعي ، وقال : يا ابن الفارسي اقرأ بها في نفسك ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (قال الله تعالى : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل " قال : قال رسول الله صلى الله

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب صفة الصلاة، ح ٧٢٣.

عليه وسلم " اقرؤوا : يقول العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله : حمدني عبدي ولعبدني ما سأل
يقول العبد الرحمن الرحيم يقول الله : أثنى علي عبدي ولعبدني ما سأل ، يقول العبد مالك يوم
الدين يقول الله : مجدني عبدي ، ولعبدني ما سأل ، يقول العبد إياك نعبد وإياك نستعين فهذه الآية
بيني وبين عبدي نصفين ويقول العبد اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير
المغضوب عليهم ولا الضالين هذه الآية بيني وبين عبدي ما سأل " حدثنا عبد الرزاق ، قال : حدثنا ابن
جريح ، قال : أخبرني العلاء ، قال : أخبرني أبو السائب مولى عبد الله بن هشام بن زهرة ، عن أبي
هريرة رضي الله عنه بهذا)¹.

¹ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة، ح ٣٩٥.

● المبحث السابع: مصنفات في موضوع الأدب.

يعد الأدب من الأبواب والموضوعات الواسعة والمفتوحة، وقد جمع الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحيهما تحت باب الأدب أحاديث كثيرة صحيحة ومسندة، وقد صنف بعض أهل العلم في موضوع الأدب كتباً مسندة مخصصة، ومن هؤلاء المصنفين لأحاديث الآداب:

- ابن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ)، وكتابه الأدب.
- محمد بن حسين البرجلاني (ت ٢٣٨هـ)، وكتابه: سخاء النفوس
- محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ)، وكتابه: الأدب المفرد.
- أبو بكر ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ)، وله في الأدب كتب كثيرة منها:

١. مداراة الناس.
٢. الصبر والثواب عليه.
٣. مكارم الأخلاق.
٤. التواضع والخمول.
٥. قَرَى الضيف.
٦. اصطناع المعروف.

هذه بعض الكتب التي تناولت آداب النفوس، ولدى مطالعة الباحث لكتاب الأدب المفرد للإمام البخاري يجد أن الإمام البخاري قد ضَمَّن صحيحه كتاباً للأدب وهو الكتاب الثامن والسبعون من صحيحه، لكنه لم يكتف بذلك حتى أفرد للأدب كتاباً مستقلاً سماه: "الأدب المفرد" لأنه قد جعله مقصوداً على موضوع الأدب دون غيره فجاء فريداً في نوعه، جامعاً للآداب الإسلامية، فهو بحق موسوعة إسلامية في الآداب.

وقد تناول فيه الآداب الشرعية الواردة في السنة النبوية وضمَّن الكتاب بعض أقوال الصحابة والتابعين، وقد احتوى الكتاب على (٦٤٤) باباً

و(١٣٢٢) حديثاً مسنداً للإمام البخاري رحمه الله، ولم يشترط البخاري رحمه الله الصحة على نفسه في كتابه هذا كما اشترطها في الجامع الصحيح، والحديث في الآداب يعد تخصصاً مفتوحاً يشمل الأخلاق كلها، لكنه على سعته يختلف عن باب الأحكام والمغازي وغيرها.

- ومن الأبواب التي ذكرها البخاري في الأدب المفرد ما يأتي:
- باب بر الأم.
- باب بر الأب.
- باب لين الكلام.
- باب عقوق الوالدين.
- باب بر الأقارب.
- باب إمطة الأذى.
- باب فضل الزيارة.

وهي كلها أبواب تنتمي في مضامينها إلى عنوان الأدب العام.

ومن وحي عنوان الكتاب الذي سماه الإمام البخاري ب(الأدب المفرد) يتأكد لدينا عناية الإمام البخاري بالكتب والمصنفات المخصصة جنباً إلى جنب حرصه على ضبط جامعته الصحيح، فالأدب المفرد أي الأدب المخصوص لوحده في مصنف خاص بعيداً عن كتاب الأدب المضمن للجامع الصحيح.

• ومما روى البخاري رحمه الله فيه أنه قال:

- عن علي رضي الله عنه: (أن رسول الله ﷺ طرقة وفاطمة بنت النبي ﷺ، فقال: " ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله! إنما أنفسنا عند الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا! فانصرف النبي ﷺ ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعت وهو مدبر يضرب فخذه، يقول: (وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا) (الكهف: ٥٤))^١

- عن أبي عمرو الشيباني قال: حدثنا صاحب هذه الدار، وأوماً بيده إلى دار عبد الله، قال: (سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله عز وجل قال: " الصلاة على وقتها ". قلت ثم أي ؟ قال: ثم " بر الوالدين " قلت ثم أي ؟ قال: " ثم الجهاد في سبيل الله " قال: حدثني بهن ولو استزدته لزادني)^٢.

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الأدب المفرد، دار المعارف، ط ١، ٢٠٠٤م، باب ضرب الرجل يده على فخذه عند التعجب أو الشيء، ح ٤٣٣، وقد رواه البخاري أيضاً، في الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب في المشيئة والإرادة، ح ٧٠٢٧.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الأدب، باب بر الوالدين، ح ٢٣٤٥، وهو في الأدب المفرد، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٦م، باب قوله تعالى: ووصينا الإنسان بوالديه، ح ١.

● المبحث الثامن: مصنفات في موضوع الزهد.

جمع وروى مجموعة من العلماء والرواة في باب الزهد تحديداً، وذلك بإفراد هذا الموضوع في كتبٍ وأجزاء حديثية خاصة، إضافة لما رواه أصحاب السنن والجوامع في ثنايا كتبهم في هذا الموضوع، فقد ذُكر الزهد أو الرقائق في كتاب مستقل من صحيح الإمام البخاري وصحيح الإمام مسلم، وفي سنن الترمذي وغيرها.

وأما عن أبرز من تناول الزهد في كتبٍ وأجزاءٍ حديثية خاصة فالعلماء المبين ذكرهم في الجدول الآتي:

ت	الراوي	وفاته	اسم كتابه
١	عبد الله بن المبارك	١٨١هـ	الزهد والرقائق
٢	وكيع بن الجراح	١٩٧هـ	الزهد
	أحمد بن حنبل	٢٤١هـ	الزهد
٣	هناد بن السري	٢٤٣هـ	الزهد
٤	سليمان بن الأشعث (أبو داود السجستاني)	٢٧٥هـ	الزهد
٥	أحمد بن عمرو بن مخلد الشيباني	٢٨٧هـ	الزهد
٦	أحمد بن محمد بن الأعرابي	٣٤٠هـ	الزهد
٧	الحسين بن علي البيهقي	٤٥٨هـ	الزهد الكبير

وقد تبين لدى الباحث بعد دراسته لتراجم هؤلاء الرواة مدى تأثرهم بما رَوَوْا وما جمعوا، ومدى ما وصلوا إليه من الزهد في حياتهم اليومية، وهذا في المحصلة ما يؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن الرواية بالنسبة لهم لم تكن مجرد مهنة وصنعة يتكسبون منها؛ إنما كانت دِيناً يدينون الله تعالى بها، وهمودجاً يحتذون ويأتسون بها، فقد أدركوا وَوَعَوْا مقصد قوله تعالى وهو يبين واجب الأمة تجاه نبيها الكريم محمد ﷺ، فيقول تعالى: (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ) (الحشر: ٧) ، فكان أخذهم للحديث النبوي

الشريف أخذَ تحمُّلاً لأجل النقل والرواية نعم، وهذا واجبٌ ومطلوب، وأخذَ فهمٍ ووعيٍّ تامينٍ لأجل العمل والتطبيق.

فالتخصص في هذا الموضوع تحديداً لم يكن تخصص رواية فقط بل تخصص رواية وسلوك.

ويعدُّ كتاب الزهد للإمام عبد الله بن المبارك أقدمَ الكتب في الزهد على الإطلاق بحسب ما قال فؤاد سزكين في تاريخ التراث العربي^١.

ومع ما روى الإمام ابن المبارك رحمه الله تعالى في كتاب الزهد الذي بلغت مروياته (١٢٠٣) حديثاً؛ فقد كان الإمام رحمه الله تعالى يتمثلُ الزهد الحقيقي وذلك بشهادة مَنْ عاصره، ومن جاء بعده، فمن شهادة الشهود على زهد ابن المبارك:

- يقول الحافظ الذهبي: "عبد الله بن المبارك قدوة الزاهدين".

_ وقد كان لابن المبارك مفهومٌ خاص ومحدد للزهد، عبَّر عنه بعد سؤال الفضيل بن عياض له، فقد روى عليُّ بن الفضيل قال: " سمعتُ أبي وهو يقول لابن المبارك: أنتَ تأمرنا بالزهد والتقلُّ والبُلغة - وهذا يعني أن الزهد كان ركيزة من ركائز التربية عند هذا الإمام بشهادة الفضيل بن عياض رحمه الله ابتداءً - ونراك تأتي بالبضائع من بلاد خراسان إلى البلد الحرام، كيف؟! "

فقال ابن المبارك: يا أبا علي، إنما أفعلُ ذلك؛ لأصونَ به وجهي، وأُكْرِمَ به عِرْضِي، وأستعينَ به على طاعة ربي؛ لا أرى لله حقاً إلا سارعْتُ إليه، حتى أقومَ به.

فقال له الفضيل: يا ابن المبارك: ما أحسنَ ذا، إذا تمَّ ذا^٢

وهذا الفهم المتقدم لمفهوم الزهد عند هذا الإمام البحر إنما يدل على أن الدنيا كانت بيد ابن المبارك، ولم تكن في قلبه، وأنها كانت مطيته إلى الخيرات، ولم يكن هو مطية الدنيا وأهلها حتى الممات، وهذا هو مَحْضُ الزهد.

^١ سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ط١، دار الكتب العلمية، ج١، ص٤٣١.

^٢ البغدادي، الخطيب، أحمد بن عبد المجيد، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط١، ٢٠٠١م، ج٥، ص٧٠.

- وعن الحسن بن عيسى قال: "اجتمع جماعة من أصحاب ابن المبارك مثل؛ الفضل بن موسى، ومخلد بن حسين، فقالوا: تعالوا نعدُّ خصال ابن المبارك من أبواب الخير، فقالوا: جَمَعَ العلم، والفقهِ والزهد، والورع، وقيام الليل، والعبادة ..."^١.

- وقال إسماعيل بن عيَّاش: "ما على وجه الأرض مثل عبد الله بن المبارك، ولا أعلمُ أن الله خلق خَصْلَةً من خصال الخير إلا وقد جعلها فيه، ولقد حدثني أصحابي أنهم صحبوه من مصر إلى مكة، فكان يُطعمهم الخبيص، وهو الدهر صائم"^٢.

- وقال نُعيم بن حماد: " كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقاق يصير كأنه ثورٌ منحورٌ، أو بقرةٌ منحورة من البكاء، لا يجترئ أحدٌ منا أن يسأله عن شيء إلا دفعه"^٣.

وانظر كيف يبدأ الأثر يسري في نفس هذا الإمام كأثرٍ من آثار قراءته لأبوابٍ من كتب الزهد والرقاق، تلك التي جَمَعَتْ على لسان خير الوري محمد ﷺ وصفاً دقيقاً للدينا، وأنها دار فناء، لتتحول دمعات الإمام، وهزّات قلبه، ورعشات بدنه بعد مجلس السماع، إلى ترجمة عملية في الحياة، فلا ينافسُ على دنيا، ولا يتأخرُ في نُصرة دين.

- وقال الخليل أبو محمد: كان ابن المبارك إذا خرج إلى مكة يقول:

بُغِضَ الحياة وخوفُ الله أخرجني وبيعُ نفسي بما ليستُ له ثمننا
إني وَزَنْتُ بما يبقى ليعدله ما ليس يبقى فلا والله ما اتزنا^٤

^١ السخاوي، علي بن محمد، فتح المغيِّث بشرح ألفية الحديث، دار الكتب العلمية، ط ١، ٢٠٠١م، ج ٣، ص ٥٦.

^٢ ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن، صفة الصفة، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، ط ١٤٠٥، ج ٤، ص ١٤٤.

^٣ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج ٨، ص ٣٩٤.

^٤ البغدادي، الخطيب، أحمد بن عبد المجيد، تاريخ بغداد، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٦٦.

- ومن أقوال ابن المبارك في الزهد كذلك:

- قال أبو بكر بن عبد الله بن حسن: قال ابن المبارك: " طلبنا العلم للدنيا؛ فدلنا على ترك الدنيا"^١
- وعن إبراهيم بن شماس قال: قال ابن المبارك: " إذا عرفَ الرجلُ قدرَ نفسه، يصير عند نفسه أدلَّ من الكلب"^٢

- وسئل ابن المبارك: " مَنِ النَّاسُ؟ فقال: العلماء، قيل: فمن الملوك؟ قال: الزُّهاد، قيل فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم"^٣.

لقد عاش ابن المبارك الزهد ومارسه، وشهد له القاضي والداني بالزهد، بل كان له مدرسة ووجهات نظر محددة في الزهد والزاهدين، كل ذلك كأثر ظاهر من آثار تعاضده مع مروياته في الزهد عن رسول الله ﷺ، في مشهد واضح من مشاهد العلاقة والانسجام بين الراوي والمروي، وكان مما روى ابن المبارك في الزهد من كتابه المعروف (الزهد) أنه:

١. قال ابن المبارك: " أخبرنا سفيان، عن سليمان، عن إبراهيم، عن عبيدة السلماني، عن ابن مسعود قال: قال لي رسول الله ﷺ: اقرأ عليّ، قلت: اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: إني أحب أن أسمع من غيري، قال: فافتتحت سورة النساء فلما بلغت قوله تعالى: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً"(النساء: ٤١)، فرأيت عينيه تذرفان، فقال لي ﷺ: حسبك"^٤.

^١ ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن، صفة الصفة، مرجع سابق، ج٤، ص١٤٤.

^٢ الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، أبو نُعيم، حلية الأولياء، ط١، ط دار الكتب العلمية، ج٨، ص١٦٨.

^٣ السابق، ج٨، ص٣٩٩.

^٤ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب أحب أن أسمع من غيري، ح٧١١.

٢. قال ابن المبارك: أخبرنا معمر، قال: سمعتُ الزهري، يُحدث عن سالم بن عبد الله بن عمر قال: قال ﷺ: (إنما الناس كالإبل المائة، لا تجد فيها راحلة)^١.

٣. قال ابن المبارك: " أخبرنا شعبة قال: أخبرني أبو عمران الجوني، عن عبد الله بن الصامت، أن أبا ذرٍّ ﷺ قال: (يا رسول الله، الرجل يعمل لله؛ يُحبه الناس، قال ﷺ: تلك عاجل بشرى المؤمن)^٢.

لقد ترجم الإمام ابن المبارك الزهد في واقع حياته، فكان الخاشع المتجاوب مع آيات القرآن الكريم، وكان بمنزلة الراحلة النادرة في زمانه حتى صار في مصافِّ الأعلام المُجددين، وقد جمع الله تعالى له قلوب كثير من الناس، فنال بذلك عاجل بشرى المؤمنين، فرحمة الله تعالى عليه في الأولين والآخرين.

ومثلما كان ابن المبارك من أهل التخصص في الرواية والعمل بموضوع الزهد كان كذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله من الزاهدين المعدودين في زمانه، كيف لا! وهو ممن كتب في الزهد، وعاشه، وروى أحاديثه، وتمثَّله، فهذا كتاب (الزهد) عنده وقد رتبَّه على المسانيد، وفيه (٢٣٤٥) حديثاً، يُثبت مدى تعلُّق الإمام أحمد رحمه الله بمرويات هذا الموضوع تحديداً. هذا من الناحية النظرية، أما من الناحية العملية فقد تمثَّل الإمام ابن حنبل الزهد حياتياً بشكل ظاهر للعيان:

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الرقاق، باب إنما الناس كالإبل المائة، ح ٣٤١.

^٢ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب البرِّ والصلة، باب بشرى المؤمن، ح ١١٨.

● فَمَنْ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ فِي الزَّهْدِ:

- قوله: "عزيرٌ عليّ أن تُذيب الدنيا أكباد رجالٍ وَعَتَّ صدورُهُمُ القرآنُ"^١.
- وها هو يُطَلِّبُ منه أن يرويَ من كتاب الزهد، فلا يقبل عند روايته له إلا حال الزاهدين، فقد قال إسحاق بن هانئ النيسابوري: قال لي أبو عبد الله:
- "بَكَرٌ يوماً حتى تُعَارِضَنِي بشيءٍ من (الزهد)، فبَكَرْتُ إليه وقلتُ لأمِّ ولده: أعطني حَصيراً وَمِخْدَةً، فبَسَطْتُهُ في الدهليز، فخرج أبو عبد الله ومعه الكتب والمحبرة، فنظر إلى الحصير والمخدة فقال: ما هذا؟ فقلتُ: لتجلسَ عليه، فقال: ارفعه، (الزهد) لا يَحْسُنُ إلا بالزهد، فرفعتُهُ، وجلس على التراب"^٢.
- وقال سليمان بن الأشعث: "ما رأيتُ أحمد بن حنبلٍ ذَكَرَ الدنيا قطُّ"^٣.
- ثم يحدد الإمام أحمد مفهوم الزهد عنده كما حدد ذلك قبله الإمام ابن المبارك فيقول:
- "الزهد في الدنيا؛ قِصْرُ الأملِ".
- وسُئِلَ أحمد: "عن الرجل يكون معه ألف دينار، هل يكون زاهداً؟ قال: نعم، على شريطة أن لا يفرح إذا زادت، ولا يحزن إذا نقصت"^٤.
- وانظر كيف وعى علماءُنا الأوائلُ معنى الزهد، فلم يقولوا بتزك الدنيا على الإطلاق، إنما قالوا بعدم جواز تَمَكُّنِهَا من القلوب.

- وقال الحسن بن ربيع: "ما شَبَّهْتُ أحمد بن حنبلٍ إلا بابن المبارك في سَمْتِهِ وَهَيْئَتِهِ"^٥.
- وقال النسائي: "جمع أحمد بن حنبل المعرفة بالحديث، والفقه، والورع، والزهد، والصبر"^٦.

^١ ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، مناقب الإمام أحمد، ط دار ابن خلدون، ط١، ١٩٨٩م، ص ٢٥٧.

^٢ السابق، ص ٣١٢.

^٣ السابق، ص ٣١١.

^٤ العلي، عبد المنعم صالح، تهذيب مدارج السالكين لابن قيم الجوزية، ط١، دار الكتب العلمية، ج٢، ص ١١.

^٥ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١١، ص ١٩٦.

^٦ السابق، ج١١، ص ١٩٩.

- وقال المروزي: " كان أبو عبد الله إذا ذكر الموت خنفتُهُ العَبْرَةُ، وكان يقول: الخوف يمنعني أكل الطعام والشراب، وإذا ذكرتُ الموت هان عليَّ كل أمر الدنيا، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل، ما أعدُّ بالفقر شيئاً، ولو وجدتُ السبيل لخرجتُ حتى لا يكونَ لي ذِكْرٌ" ^١.

• أما عن مرويات الإمام أحمد في كتاب (الزهد) عنده فمن ذلك:

١. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا يحيى بن سعيد، عن سفيان، حدثني سليمان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاماً قطُّ، كان إذا اشتهاه أكله، وإذا لم يشتهه تركه) ^٢.

٢. قال عبد الله بن أحمد: حدثني أبي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً) ^٣.

٣. قال الإمام أحمد رحمه الله: حدثنا عبد الله، حدثنا إبراهيم بن زياد، حدثنا عباد يعني ابن عباد، عن محمد ابن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً) ^٤.

^١ السابق، ج ١١، ص ٢١٦.

^٢ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام، ح ٢٠٦٤.

^٣ السابق، كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة على المساكين، ح ١٠٥٥.

^٤ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم، ح ٦١٢٠.

- ومن أبرز الأبواب التي عالجهها ابن المبارك في رواياته من خلال كتاب الزهد مما ينتمي إلى تخصص وموضوع الزهد تحديداً ما يأتي:

١. ما جاء في فضل العبادة.

٢. ما جاء في الحزن والبكاء.

٣. ما جاء في الخشوع والخوف.

٤. في النهي عن طول الأمل.

٥. الاعتبار والتفكير.

٦. حفظ اللسان.

٧. التواضع.

٨. التقلل من الدنيا.

٩. القناعة والرضا.

١٠. ذم التنعم في الدنيا.

● خلاصة هذا الفصل:

بعد جولة تناول فيها الباحث ظاهرة الاختصاص في الرواية عبر مصنفات مخصصة خرج ببعض الملاحظات والخلاصات ومن ذلك:

١. إثبات ظاهرة التخصص في الرواية عبر مصنفات مخصصة، وذلك من خلال البحث والتقصي، وقد وجد الباحث أن هذه الظاهرة استمدت فكرتها ابتداءً من عهد الصحابة الكرام يوم كانوا يكتبون بعض حديثهم بشكل مبوب، في القضاء والصدقات وغيرها كما تبين. ثم انتقلت إلى كتب الجوامع والسنن من خلال الجمع الموضوعي لهذه المصنفات، إلى أن قام بعض الرواة بجمع موضوعي متخصص وفي مختلف الموضوعات حيث الجهاد والزهد والأحكام والفضائل والمغازي وغيرها.

٢. كان لظاهرة التخصص في الرواية أثره البالغ على تأكيد العلاقة بين الراوي والمروي، من حيث الجهد الكبير الذي كان الرواة يبذلونه وهم يصنفون تحت الموضوع الواحد، خدمة للرواية ولموضوعها على حد سواء، وما في هذا الجهد المادي أيضاً من جهد فكري حتى يظل الحديث ضمن دائرة الموضوع الواحد دون سواه، فالرواة أولاً يجمعون من الرواية المسندة من طريقهم، ثم يختارون منها ما يناسب الباب أو الموضوع الواحد للتصنيف.

٣. أن ظاهرة التخصص هذا في التصنيف أفاد منها المسلمون المتأخرون كثيراً من حيث تقريب الموضوع لهم، ثم إنها صارت منطلقاً متقدماً لعلم جديد معاصر هو علم: (الحديث الموضوعي)، والذي يقوم عليه الدارسون لاستنباط موضوعات عصرية متكاملة بأثر من الهدي النبوي الكريم.

الفصل الرابع: الثمرات العلمية التي تركتها الرواية في الموضوعات المخصصة.

المبحث الأول: علاقة الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بمسألة توثيق الروايات
وتضعيفها.

المبحث الثاني: ثمرات الرواية ضمن الموضوعات المخصصة على العلوم المختلفة.

الفصل الرابع: الثمرات العلمية التي تركتها الرواية في الموضوعات المخصصة.

تركزت الرواية في الموضوعات المخصصة مجموعة من الثمرات والفوائد انعكس أثرها على الروايات الحديثية من جهة وأدت إلى إثراء مكتبة علوم الشريعة والعلوم الإنسانية بشكل عام.

ولعل من أبرز ما يمكن أن يقال في باب الثمرات العلمية هنا ما أحدثته الرواية ضمن الأبواب المخصصة من تقديم وتهيئة لعلم الحديث الموضوعي الذي انتفع منه المسلمون الأوائل ولا يزال ننهل من ثماره حتى أيامنا هذه، وحتى لا تنحصر ثمار الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بذلك كان لابد أن نفصل في الثمرات ضمن المباحث الآتية:

المبحث الأول: علاقة الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بمسألة توثيق الروايات وتضعيفها.

المبحث الثاني: ثمرات الرواية ضمن الموضوعات المخصصة على العلوم المختلفة.

• المبحث الأول: علاقة الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بمسألة توثيق الروايات وتضعيفها.

من خلال ما سلف من متابعة لظاهرة التخصص في الرواية عبر مرويات الصحابة الكرام والتابعين، ثم ما تلا ذلك من التخصص بصورة كتب مصنفة بموضوعات مخصصة وجد الباحث أنه لا علاقة بين تخصص الرواة برواية موضوعات محددة وبين صحة أحاديث مصنفاتهم أو ضعفها، ذلك أن القصد الأبرز لدى هؤلاء الرواة غالباً هو الجمع والحشد لأكثر قدر من الروايات في الموضوع الواحد، وبسندهم الخاص، لا تتبع الصحيح عندهم فحسب.

فلم نجد أحد منهم ولا حتى الإمام البخاري قد اشترط على نفسه إخراج الصحيح في كتبه الإفرادية المخصصة بموضوعات محددة كما اشترط ذلك عند روايته الجامع الصحيح، وبذلك وجد المحققون لكتب القراءة خلف الإمام والأدب المفرد للبخاري من الصحيح والحسن والضعيف.

ولا يجوز لأجل ذلك أن يقال بأنه طالما أن فلاناً جمع رواياته في موضوع الصلاة أو الصوم أو الجهاد فإن هذا يعني أن هذه الروايات المجموعة كلها صحيحة.

وإن كان يتيح لنا هذا الجمع للروايات في الموضوع الواحد أن نبحث عن الشواهد في الباب نفسه لنصل من خلال جهد إضافي إلى مسألة التصحيح أو التحسين لأحاديث في تلك المصنفات، وقد لا نصل إلى ما يمكننا أن نعتبره شاهداً أو متابعاً في الكتب نفسها بالضرورة.

وحتى يتضح الأمر بأمثلة فإنني قمت بتتبع مرويات بعض هذه الكتب المصنفة على الأبواب المخصصة، من خلال إحصاء سريع لبعض ما حُقق منها ومن ذلك:

١. كتاب الزهد:

لأبي بكر أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الشيباني المتوفى سنة ٢٨٧هـ وقد جدت أنه جمع في هذا الكتاب ٢٨٩ حديثاً، وعند متابعة التحقيق الذي قام به الأستاذ نبيل صلاح سليم، وجدت أن عدد الأحاديث الضعيفة في هذا المصنف هو ١٢٥ حديثاً، والباقي (١٦٤) حديثاً بين صحيح وحسن^١.

- فمن أحاديثه الضعيفة:

قال ابن أبي عاصم: أخبرنا حسين بن حسن المروزي، أخبرنا ابن المبارك، عن يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن جنادة، عن أبي عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ قال: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)^٢

- ومن أحاديثه الصحيحة:

قال ابن أبي عاصم: أخبرنا ابن كاسب، أخبرنا سفيان بن عيينة، عن يحيى بن سعيد، وعمرو بن دينار ومعر، عن الزهري، عن هند، عن أم سلمة أن النبي ﷺ قال: (فلرب كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة)^٣

٢. كتاب الأدب المفرد:

للإمام البخاري، ولما يُذكر الإمام البخاري فإننا نستحضر مباشرة الجامع الصحيح الذي صنفه وبوبه واشترط على نفسه فيه أن يخرج الصحيح الثابت المسند من هدي النبي ﷺ،

^١ الشيباني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، كتاب الزهد، تحقيق نبيل صلاح سليم، دار البصيرة، الإسكندرية، ط٢٠٠٦م.
^٢ أحمد بن حنبل، المسند، ج٣٤٢، بطرق كلها عن يحيى بن أيوب به، وهو ضعيف، وانظر ما قال يحيى بن معين فيه : ليس به بأس، وقال مرة: ضعيف، وكلام ابن معين في: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، مرجع سابق، ج١١، ص٥٠.
^٣ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الفتن، باب كاسية عارية، ح٦٦٥٨.

أما كتابه الأدب المفرد فمعلوم أنه لم يشترط على نفسه فيه الصحة لأجل ذلك نجد أنه حوى الصحيح والضعيف والحسن.

والإمام البخاري ضمَّن كتابه الصحيح كتاب الأدب، غير أنه صغّر الحجم بالمقارنة مع كتاب الأدب المفرد، فقد تضمن الأول ما يقارب (٣٠٠) حديث وأثر في (١٢٨) باباً، أما كتاب الأدب المفرد فقد تضمن (٦٤٤) باباً، وجملة ما فيه من الأحاديث المرفوعة والموقوفة (١٣٢٢) حديثاً وأثراً.

والأدب المفرد عند أكثر العلماء ليست مرتبته في مرتبة الجامع الصحيح، ولذلك فإن فيه بعض الأحاديث تعقّبها العلماء وقالوا بعدم صحة أسانيدھا، وفيه أحاديث كثيرة تفرّد بإخراجها لا توجد في الكتب الستة، وليست كل أحاديثه مرفوعة، بل إن فيها آثاراً موقوفة على الصحابة وأخرى مقطوعة، ففيها أحاديث موقوفة على الصحابة مثل عمر وعلي وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهم.

وفيه روايات عن كبار التابعين مثل مجاهد وأبي رجاء وغيرهما.

وللحافظ ابن حجر كتاب "زوائد الأدب المفرد للبخاري على الستة".

وقد كان الشيخ الألباني رحمه الله حقق الأدب وخرّج أحاديثه وفصل بين صحيحه وضعيفه، وطبعته مكتبة الدليل السعودية، ط الرابعة (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م). وكان عدد الأحاديث التي ضعّف أسانيدھا: (٢١٧) حديثاً وأثراً، ليبقى (١١٠٥) حديثاً بين صحيح وحسن.

وحتى لا يطول الشرح والتمثيل فإننا نخلص بالتأكيد على أن التأليف والجمع للروايات ضمن مصنفات مخصوصة ليس قرينة قاطعة من قرائن الصحة للأحاديث، ولا هو دليل جازم من أدلة توثيق الرواة والروايات.

وأن الواجب على الدارسين عند تناولهم لأحاديث مصنفات الزهد أو الفضائل أو الفتن أو الأحكام وغيرها أن يتحققوا من كل حديث على جده، وأن لا يعتمدوا العنوان، ولا حتى اسم المصنّف كدليل من دلائل التصحيح أو التضعيف.

وهذا الكلام في مسألة التخصص في الرواية وعلاقته بالتوثيق أو التضعيف هو الأصل والغالب الأعم، ولكن عند التفصيل والتدقيق وجد الباحث أن هنالك عدة قرائن تلتقي مع تخصص الرواة بالرواية في موضوعات مخصوصة تؤدي إلى إضافة مرجحات ترفع من درجة الروايات إلى مرتبة التوثيق، وهذا بالنسبة للتخصص برواية موضوعات محددة وليس بالنسبة لرواية مصنفات كاملة ضمن موضوعات مخصوصة، ومن هذه القرائن:

١. أن أصحاب الروايات المتخصصة هم (أهل ذكر) ضمن التخصص الذي كانوا يروون فيه، ولقد قرر الله تعالى على الناس أن يسألوا أهل الذكر باعتبار أنهم الأقرب إلى الضبط والتوثيق مما يقولون من غيرهم، قال تعالى: (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (الأنبياء:٧)، ولهذا قال ابن عطية: "وأهل الذكر عام في كل من يُعزى إليه علم"، فأهل الذكر هم أهل الاختصاص في كل فن.

ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدفع باتجاه سؤال المتخصصين وقبول ما عندهم من علم ورأي، وليس أدل على ذلك مما روى عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب)^١. وكان الصحابة رضوان الله عليهم يسألون أهل التخصص فهذا راوية الإسلام أبو هريرة رضي الله عنه يسأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بل ويعرض علمه عليها باعتبار كونها المتخصصة الأولى بشأن البيت النبوي، " فقد كان أبو هريرة رضي الله عنه يجلس إلى حُجْرَتِهَا وَيُسْمِعُهَا مَا يُحَدِّثُ بِهِ النَّاسَ عَلَى سَبِيلِ الْعَرْضِ ثُمَّ يَقُولُ: (يَا صَاحِبَةَ الْحُجْرَةِ أَتَنْكِرِينَ مِمَّا أَقُولُ شَيْئًا؟)"^٢

^١ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ح ٤٧١٣.

^٢ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الفضائل، باب فضائل أبي هريرة رضي الله عنه، ح ٢٤٩٣.

ولما كان الرواة المتخصصون بالرواية في موضوع أو باب أو مجال محدد هم أهل ذكر في هذا الموضوع كان الصحابة مثلاً يرجعون إلى المتخصص منهم يسألونه مظنة بلوغ الأثبات والأوثق من الروايات، ومن أمثلة ذلك:

- في مسألة أكل اللحم والصلاة بعده دون وضوء بينهما، روى أحمد قال: - روى أحمد قال: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي عَوْنٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَدَّادٍ قَالَ قَالَ مَرْوَانُ: (كَيْفَ نَسَأَلُ أَحَدًا وَفِينَا أَزْوَاجُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَعَثَ إِلَى أُمِّ سَلْمَةَ فَأَخْبَرَتْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ فَنَشَلَتْ لَهُ كَيْفًا مِنْ قِدْرِ فَأَكَلَهَا ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى).¹

- وصفت عائشة رضي الله عنها وأم سلمة رضي الله عنها موقف النبي ﷺ من الصيام عندما يستيقظ من نومه على جنبه، وهذا مما تخصصت بها أمهات المؤمنين وهن يحكين ما يجري في بيت النبوة كما سبق وأن ذكرنا في فصل سابق.

ففي البخاري: (عن أبي بكر قال سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقصُّ يقول في قصصه: من أدركه الفجر جنباً فلا يصم.

فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث لأبيه فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن، وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حُلْمٍ ثم يصوم).²

- وتروي أم سلمة حكاية صلاة الركعتين بعد العصر اللتان صلاهما النبي ﷺ في بيتها، وهي تبين في روايتها ما يرفع الإشكال في مسألة الصلاة بعد العصر كذلك فقد روى البخاري (أن ابن عباس والمسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن أزهر رضي الله عنهم أرسلوه إلى عائشة رضي الله عنها فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعاً وسلها عن الركعتين بعد صلاة العصر، وقل لها: إنا أخبرنا عنك أنك تصلينهما وقد بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها.

وقال ابن عباس: وكنت أضرب الناس مع عمر بن الخطاب عنها فقال كريب فدخلت على عائشة رضي الله عنها، فبلغتها ما أرسلوني فقالت: سل أم سلمة: فخرجت إليهم فأخبرتهم بقولها فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني به إلى عائشة فقالت أم سلمة رضي الله عنها: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنها ثم رأته يصليهما حين صلى

¹ أحمد بن حنبل، المسند، مرجع سابق، ح ٢٦١٥٦، وإسناده صحيح.

² البخاري، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب الصائم يصبح جنباً ثم يصوم، ح ١٨٢٥.

العصر ثم دخل عليّ وعندني نسوة من بني حرام من الأنصار فأرسلتُ إليه الجارية فقلت قومي بجنبه فقول لي: تقول لك أم سلمة يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين، وأراك تصليهما، فإن أشار بيده فاستأخري عنه ففعلت الجارية فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان¹.

ومن عجيب سؤالات الصحابة رضوان الله عليهم لعائشة رضي الله عنها سؤال أبيها لها في موضوع خاص بكفن النبي صلى الله عليه وسلم ويوم وفاته:

فقد روى البخاري رحمه الله قال: عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت: "دخلت على أبي بكر فقال في كم كفنتم النبي صلى الله عليه وسلم؟، قالت: في ثلاثة أثواب بيض سحولية ليس فيها قميص ولا عمامة.

وقال لها في أي يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، قالت: يوم الاثنين.
قال: أرجو فيما بيني وبين الليل ينظر إلى ثوب عليه كان يمرض فيه به ردع من زعفران فقال: اغسلوا ثوبي هذا وزيدوا عليه ثوبين فكفونوني بها، قلت إن هذا خلق، قال: إن الحي أحق بالجديد من الميت إنما هو للمهلة، فلم يتوف حتى أمسى ليلة الثلاثاء ودفن قبل أن يصبح"².

ولقد دفع التخصص بالرواية أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن تستدرك على بعض الصحابة وأن تصحح أخطاء ما تسمع من أحاديث، وقد ألف الإمام الزركشي كتاباً في المواضع التي استدركتها عائشة من منطلق تخصصها بالبيت النبوي على بعض الصحابة الكرام، واسم كتاب الإمام الزركشي هو: (الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة)، وقد وجد الباحث الكتاب نسخة في الانترنت ولم يتمكن من الحصول عليه مطبوعاً، وهو كتاب صغير في حجمه عميق في مضمونه ومحتواه.

فقد ذكر الإمام الزركشي في بدايته المميزات الأربعين لعائشة أم المؤمنين، ثم تناول استدراكاتها على كبار الصحابة وصغارهم وفي هذه الاستدراكات ما يؤكد أهمية ظاهرة التخصص في تأكيد ضبط الرواة وتوثيق مروياتهم بل وتقديمها على مرويات غيرهم لا سيما عند الخلاف بين عدد من الرواة.
وإن كان ليس كل ما ذكره الزركشي من استدراكات عائشة رضي الله عنها في هذا الكتاب مما له علاقة بتخصصها برواية أحاديث البيت النبوي تحديداً.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب السهو، باب إذا كلم وهو يصلي، ح ١١٦٧.
² السابق، كتاب الجنائز، باب موت يوم الاثنين، ح ١٢٢١.

ومن الاستدراكات المتخصصة بالبيت النبوي والتي ذكرها الزركشي لعائشة رضي الله عنها ورواها مسلم في صحيحه ما جاء عن عبيد بن عمير رضي الله عنه قال: " بلغ عائشة أن ابن عمرو يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن فقالت:

(يا عجباً لابن عمرو، يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن، لقد كنتُ اغتسل أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم من إناء واحد وما أزيد أن أفرغ على رأسي ثلاث افرافات)¹.

ومن ذلك أيضاً ما أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقطع الصلاة المرأة والحمار والكلب، وبقي ذلك مثل مؤخرة الرجل)

وقد روى قطع المرأة الصلاة غيره من الصحابة منهم أبو ذر وأخرجه مسلم أيضاً ومنهم ابن عباس أخرجه أبو داود وزاد الحائض، قالوا: أوقفه جماعة ومنهم عبد الله ابن معقل أخرجه قاسم ابن أصبغ في مصنفه.

وقد استدركت عائشة رضي الله عنها ذلك فأخرج الشيخان في صحيحهما عن مسروق عن عائشة وذكر عندها ما يقطع الصلاة الكلب والحمار والمرأة فقالت عائشة:

(شبهتموها بالحمير والكلاب والله لقد رأيت رسول الله يصلي وأنا على السرير بينه وبين القبلة مضطجعة فتبدو لي الحاجة فأكره أن أجلس فأوذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنسل من عند رجليه)².

فمن باب السؤال للمتخصص والرجوع إليه ومن باب استدراك المتخصص على غيره من الرواة يتأكد لدى الباحث إمكانية تقديم رواية المتخصص وتوثيقها على ما سواها من الروايات.

٢. الشهرة والاستفاضة وعلاقة ذلك بتخصص الراوي برواية موضوعات مخصوصة وأثر هذه الشهرة في توثيق الروايات وتضعيفها.

يقول ابن تيمية رحمه الله وهو يحكي أهمية تخصص الرواة وشهرتهم في تخصصات معلومة واستفاضة ذلك عنهم وأنه من قرائن توثيق الروايات:

"ومثل هذا مما يشتهر عند هؤلاء مثل الزهري وابن عقبة وابن إسحاق والواقدي والأموي وغيرهم وأكثرهم ما فيه أنه مرسل، والمرسل إذا روي من جهات مختلفة ولا سيما ممن له

¹ مسلم، ابن الحجاج النيسابوري، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الحيض، ح ٣٣١.

² البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب سترة المصلي، ح ٤٩٢.

عناية بهذا الأمر ويتبع له كان كالمسند، بل بعض ما يشتهر عند أهل المغازي ويستفيض أقوى مما يروى بالإسناد الواحد، ولا يوهنه أنه لم يذكر في الحديث المأثور^١.

وهذا كلام صريح وواضح ودقيق من شيخ الإسلام ابن تيمية يؤكد فيه على أهمية التخصص في الرواية والذي يبلغ حد الشهرة والاستفاضة وأهمية ذلك كقرينة من قرائن التوثيق، حتى أنه يلمح في كلامه إلى أن المشهور المستفيض من روايات أهل التخصص في المغازي مقدم ولو كان مرسلًا على المسند من غير أهل التخصص.

وقال شيخ الإسلام أيضاً: " وحديث القينتين مما اتفق عليه علماء السير واستفاض نقله استفاضة يستغنى بها عن رواية الواحد، وحديث مولاة بني هاشم ذكره عامة أهل المغازي ومن له مزيد خبرة واطلاع، وبعضهم لم يذكره"^٢.

ثم استشهد ابن تيمية استشهد بتفصيل خبر عن الواقدي فقال:
" وما ذكره الواقدي عن أشياخه يوضح ذلك ويؤيده، وإن كان الواقدي لا يُحتج به إذا انفرد لكن لا ريب في علمه بالمغازي واستعلام كثير من تفاصيلها من جهته ولم نذكر عنه إلا ما أسدناه عن غيره"^٣.

ويضيف شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان توثيقه لبعض ما روى الواقدي لأجل شهرته في تخصص المغازي تحديداً: " وإنا سقنا القصة من رواية أهل المغازي.
مع ما في الواقدي من الضعف، لشهرة هذه القصة عندهم، مع أنه لا يختلف اثنان أن الواقدي من أعلم الناس بتفاصيل أمور المغازي وأخبارهم بأحوالها.
وقد كان الشافعي وأحمد وغيرهما يستفيدون علم ذلك من كتبه، نعم هذا الباب يدخله خلط الروايات بعضها ببعض، حتى يظهر أنه سمع مجموع القصة من شيوخه وإنا سمع من كل واحد بعضها ولم يميزه، ويدخله أخذ ذلك من الحديث المرسل والمقطوع وربما حدس الراوي بعض الأمور لقرائن استفادها من عدة جهات، ويكثر من ذلك إكثاراً يُنسب لأجله إلى المجازفة في الرواية وعدم الضبط، فلم يمكن الاحتجاج بما ينفرد به، فأما الاستشهاد بحديثه والاعتضاد به فمما لا يمكن المنازعة فيه.
لا سيما في قصة تامة يخبر فيها باسم القاتل والمقتول وصورة الحال، فإن الرجل وأمثاله أفضل ممن ارتفعوا في مثل هذا في كذب ووضع"^١.

^١ ابن تيمية، أحمد بن عبد السلام، الصارم المسلول على شاتم الرسول، دار الهداية، ط ١٩٨٧، ص ١٤٧.

^٢ السابق، ص ١٣٢.

^٣ السابق، ص ٧٧.

ومما يؤكد أهمية الشهرة والاستفاضة في الرواية المتخصصة بأبواب محددة ومدى تأثير ذلك على الضبط والتوثيق ما هو معلوم عند الحافظ ابن عبد البر رحمه الله وأنه يحتج بنقل أهل المغازي والسير في المسائل الفقهية بناءً على قاعدة أن من المشهور عند أهل العلم من أهل المغازي والسير أو الحديث والأثر أو الفقهاء ما هو أقوى من أخبار الآحاد وإن كانت حسنة أو صحيحة، إذ الشهرة عنده تغني عن الإسناد.

وكذا ما تلقاه أهل العلم بالقبول وعملوا به صحيح عنده وإن لم يكن له إسناد قائم، ومن ذلك قوله: " وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم من أخبار الآحاد أحاديث حسان في أنه لا وصية لوارث، من حديث عمرو بن خارجة وأبي أمامة الباهلي وخزيمة بن ثابت، ونقله أهل السير في خطبته بالوداع صلى الله عليه وسلم وهذا أشهر من أن يحتاج فيه إلى إسناد"²

يقول: الدكتور حاكم المطيري: " فالأئمة يُسَلَّمون لأهل المغازي والسير في فنههم وأن ما ذكره في كتبهم من المغازي وأخبارها فهم أعلم به من غيرهم، فما أجمعوا عليه من أخبار المغازي فهو مقطوع به، وما استفاض عندهم واشتهر فهو راجح الثبوت، وما ذكره بعضهم دون رد منهم فهو محتمل، وما ردوه وأنكروه فهو منكر، وحالهم في فنههم كأهل الحديث في خبر الآحاد، وكأهل التفسير في فنههم، وكأهل اللغة في فنههم، وكالفقهاء في فنههم"³.

وفي بحث (أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث) للأستاذين الدكتورين محمد عيد الصاحب وسلطان العكايلة، يقرر الدكتوران الفاضلان أن من قرائن وأسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث: " عناية بعض الصحابة بأحاديث موضوعات خاصة.

ثم يذكر الأستاذان الفاضلان نماذج لهذه العناية المخصوصة لبعض الصحابة ومن ذلك:

- عناية عدي بن حاتم رضي الله عنه بأحاديث الصيد.
- وعناية أبي ذر رضي الله عنه بالأحاديث في باب الزهد والرقائق.
- وعناية حذيفة بن اليمان رضي الله عنه بأحاديث الفتن والمنافقين.
- وعناية ابن عباس رضي الله عنهما بأحاديث التفسير.

ثم ينقل الأستاذان الفاضلان كلاماً نفيساً لابن حجر رحمه الله في التعليق على اهتمام حذيفة رضي الله عنه بأحاديث الفتن فهو يقول: " ويؤخذ منه أن كل من حُبب إليه شي

¹ السابق، ص ١٠١.

² ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٣٢.

³ المطيري، حاكم، أخبار المغازي والسير، طبيعتها وحجيتها، ومناهج الأئمة في الاحتجاج بها، كلية الشريعة، جامعة الكويت، 2009، بحث محكم في مجلة قطاع أصول الدين، جامعة الأزهر، القاهرة العدد 5.

فإنه يفوق فيه غيره، ومن ثم كان حذيفة صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، حتى خُصَّ بمعرفة أسماء المنافقين^١.

ومن المفيد ذكره هنا كذلك أن الأستاذين الفاضلين ذكرا قرينة أخرى من القرائن التي جعلت الصحابة رضي الله عنهم يتفوقون في ضبط الحديث مما يتقاطع ويشترك مع ظاهرة التخصص في الرواية التي هي محل بحثنا هنا، وهذه القرينة هي: "توظيف الصحابة لما تحملوه من الحديث قولاً وعملاً"^٢

ونقلاً كلاماً نفيساً لعامر بن شراحيل الشعبي وهو ممن ذكرنا في اختصاصهم برواية أحاديث المغازي، فهو يقول: "كنا نستعين على حفظ الحديث بالعمل به، وكنا نستعين على طلبه بالصوم"^٣.

ويعتقد الباحث هنا أن تخصص الرواة بموضوعات مخصوصة مظنة استعمالهم لها وتطبيقهم وتعايشهم معها بشكل أكبر مما لو لم يتخصص الرواة بها كما سلف بيان ذلك لدى حديثنا عن التخصص في رواية أحاديث الجهاد وأحاديث الزهد، وإن استعمال الرواة لأحاديثهم وتعايشهم معها قرينة إضافية من قرائن التوثيق والضبط للروايات، كما أن مخالفة الراوي لمقتضى رواياته مظنة تضعيف هذه الروايات، قال ابن القشيري: "يتجه أن يقال: إن الصحابي إذا روى وخالف ما روى قصداً دل على ضعف الحديث لأنهم شاهدوا الوحي وعرفوا من قرائن الأحوال ما لم نعرفه"^٤.

^١ العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٣٧.
^٢ العكايلة، والصاحب، سلطان سند، و"محمد عيد" محمود، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، ط ١، ٢٠١٠م، ص ٥٤.

^٣ ابن عبد البر، أبو عمر يوسف، جامع بيان العلم وفضله، دار المؤيد، ط ٢٠٠٠م، ص ١١.

^٤ الزركشي، بدر الدين بن محمد، البحر المحيط، ط ١، دار الكتبي، ج ٤، ص ٣٧٠.

وباختصار؛ فإن الباحث يؤكد على أن ظاهرة التخصص في الرواية ليست قرينة مطلقة على التوثيق لمرويات المتخصصين من الرواة بموضوعات مخصوصة، وقد تبين ذلك بالاستقراء للكتب الإفرادية المصنفة بموضوعات مخصوصة، وكيف أنه وجد فيها الصحيح والحسن والضعيف، وأما من ذهب إلى توثيق روايات من اشتهر بالتخصص في موضوع محدد كالمغازي مثلا، فإنه مما لا شك فيه أيضا أن أهل التخصص في الرواية أقرب من غيرهم إلى صحتها وتوثيقها وصوابها لجل ذلك كانوا يُسألون، وكانوا يُقدمون على غيرهم فيما به يتخصصون.

● المبحث الثاني: ثمرات الرواية ضمن الموضوعات المخصصة على العلوم المختلفة.

لقد انتقل أثر وثمره جهود الرواة الذي صنفوا كتباً مسندة ضمن موضوعات مخصصة إلى علوم أخرى، بصورة ايجابية انتفعت منها هذه العلوم وأدت إلى إثراء مكباتها، ولاشك أن التخصص إجمالاً يُثري ويعمق الدراسات المختلفة.

ولو علم الرواة الكرام ما للجمع المتخصص والموضوعي ضمن المصنفات المخصصة من فوائد ومنافع للناس بعدهم لأفنوا أعمارهم وهم يشتغلون بهذا التخصص والجمع الموضوعي الحميد.

فمن العلوم التي انتفعت وتأثرت إيجاباً من وجود ظاهرة تخصص الرواة بالرواية ضمن موضوعات مخصصة ما يأتي:

- العلوم حديثة.
- العلوم فقهية.
- العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- الثمرات العامة.

أولاً: الثمرات التي تركتها ظاهرة التخصص في الرواية على العلوم الحديثية:

١. ظاهرة التخصص في الرواية وعلم مشكل الآثار:

يجد الباحث في الكتب المتخصصة بموضوع الجهاد مثلاً أحاديث الراوي الواحد وأسانيده التي روى من خلالها في موضوع الجهاد، ما يجعله يعالج بالجمع أو بالنسخ أو بالتأويل مسألة الإشكال الذي قد يحصل في فهم بعض النصوص التي تعارض ظاهرها مع بعضها كما هو معلوم في علم مختلف الحديث أو مشكل الآثار.

وذلك أننا بالنظر نجد فيما جمعه الراوي الواحد في الباب الواحد من أحاديث وروايات ما يعيننا على أن نزيل الإشكال والاختلاف قبل الرجوع إلى روايات رواة آخرين في الباب نفسه لنحلّ هذا الإشكال أو ذلك.

فعند النظر في الإشكال الوارد بين حديثين مثلاً حيث وجود تعارض ظاهر بينهما فإننا نرجع إلى روايات الراوي الواحد في الباب الواحد أولاً وننظر فيهما سنداً وامتناً فإن كان أحدهما يتفوق على الآخر من حيث صحة الإسناد فإن المشكلة تكون قد انتهت بتقديم الرواية ذات الإسناد الأصح وإلا فإننا نتابع النظر في المتون كما هو مقرر عند علماء المشكل والمختلف، وهذا نجده كثيراً في كتب الجوامع والسنن عدا عن المصنفات الفردية التي صنفها أصحابها بأسانيدهم في موضوعات مخصوصة كما سلف وأن بيّنا في فصل سابق.

وعند النظر في الجامع الصحيح للإمام البخاري ككتاب من الكتب المؤسّسة لظاهرة التخصص في الرواية ضمن موضوعات مخصوصة عبر أبوابه وكتبه التي نثرها في جنبات كتابه العظيم، فإننا نجد كيف كان البخاري يروي بسنده حديثاً في باب معين ثم يروي بعده وبسنده أيضاً حديثاً آخر يزيل به إشكالاً قد يحصل في الحديث الأول، وكمثال على ذلك ولتأكيد أهمية الجمع المتخصص للروايات نجد أن البخاري رحمه الله روى حديثين في كتاب الأدب وفي باب (لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشاً ولا متفحشاً)، وكان في الحديث الثاني ما يشرح ويزيل الإشكال، أما الحديث الأول فقد قال البخاري رحمه الله:

" حَدَّثَنَا حَنْصُ بْنُ عُمَرَ حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ سُلَيْمَانَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ سَمِعْتُ مَسْرُوقًا قَالَ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ
 بْنُ عَمْرٍو ح وَحَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ حَدَّثَنَا جَرِيرٌ عَنْ الْأَعْمَشِ عَنْ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ دَخَلْنَا عَلَى
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو حِينَ قَدِمَ مَعَ مُعَاوِيَةَ إِلَى الْكُوفَةِ فَذَكَرَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ لَمْ
 يَكُنْ فَاحِشًا وَلَا مُتَّفَحِّشًا وَقَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ مِنْ أَحْيَرِكُمْ أَحْسَنَكُمْ خُلُقًا".¹

ثم ذكر البخاري رحمه الله حديثاً آخر في الباب نفسه قال فيه:

حَدَّثَنَا عَمْرُو بْنُ عَيْسَى حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سَوَاءٍ حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُكَدِّرِ عَنْ عُرْوَةَ
 عَنْ عَائِشَةَ " أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا رَأَهُ قَالَ بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ وَبِئْسَ
 ابْنُ الْعَشِيرَةِ فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انْطَلَقَ الرَّجُلُ
 قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ كَذَا وَكَذَا ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ
 إِلَيْهِ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهْدْتَنِي فَحَاشَا إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ
 مَنْزِلَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ".²

فالحديث الثاني بتفصيله وتخصيصه أزال الإشكال الذي قد يرد بين الحديث الأول العام وبين مقدمة
 الحديث الثاني الذي فيه ما يخالف في ظاهره الحديث الأول، ونلاحظ هنا ما للجمع المتخصص من
 الراوي الواحد وهو هنا الإمام البخاري من أهمية في تيسير رفع الإشكال.

ومثل ذلك نجده بسهولة لدى مطالعتنا لأبي من المصنفات التي جمعها الراوي الواحد ضمن
 موضوعات مخصوصة كمثال الإشكالات التي أوردتها المشككون على بعض أحاديث الأحكام أو الجهاد أو
 غيرها فإننا نتابع حل إشكالاتها من خلال النظر في الكتب المتخصصة في هذه الأبواب أولاً وقبل كل
 شيء.

¹ البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب لم يكن فاحشاً، ح ٦٠٢٩

² السابق، ح ٦٠٣٢.

وباختصار؛ فإن ظاهرة التخصص في الرواية تفيد في تيسير رفع الإشكال والاختلاف الظاهر في الروايات وذلك من خلال جمع الرواة لها في أبواب مخصوصة.

ومن الدراسات المميزة التي وقع عليها الباحث فيما يتعلق بمختلف الحديث لدى الراوي الواحد في الموضوع الواحد كتاب (مختلف الحديث عند الإمام أحمد، جمعاً ودراسة)، للدكتور عبد الله الفوزان، فقد أحسن الدكتور الفوزان وهو يستثمر حديث الراوي الواحد (الإمام أحمد) بعد ترتيب رواياته بشكل موضوعي متخصص ليكون ذلك مدخلاً سهلاً لدراسة مشكل الآثار أو مختلف الحديث¹.

¹ ينظر في: الفوزان، عبد الله بن فوزان، مختلف الحديث عند الإمام أحمد جمعاً ودراسة، دار المنهاج، ط ١، ط ١٤٢٨هـ ج ١.

٢. ظاهرة التخصص في الرواية وعلم الحديث الموضوعي:

هناك عموم وخصوص بين ظاهرة التخصص في الرواية والحديث الموضوعي، حيث أن الحديث الموضوعي يُعنى بالجمع المتخصص للموضوع الواحد ولا يشترط أن يكون هذا الجمع لراوٍ واحد بعينه، فمثلاً في الحديث الموضوعي يتم جمع أحاديث الجهاد كلها بصرف النظر عن روايتها، بينما في مسألة التخصص في الرواية التي نبحت فيها فإن المقصود هنا الجمع الموضوعي لراوٍ بعينه، حيث نجمع أحاديث الجهاد التي رواها خالد بن الوليد رضي الله عنه تحديداً.

وبذلك يمكن القول بأن الحديث الموضوعي عام والتخصص في الرواية خاص، وبالتالي فإن العلماء الذين قاموا بالتصنيف المتخصص بأسانيدهم في أبواب محددة كما سلف وأن ذكرنا حيث المصنفات المتخصصة في الأحكام والجهاد والزهد والإيمان والمغازي وغيرها، قد ساهموا في توفير الجهد الكبير الذي كان سينفقه الباحثون في الحديث الموضوعي.

ولو أراد باحث أن يقوم بعمل دراسة موضوعية بعنوان: (أحاديث الزهد)، فإنه لن يستغني عن النظر في المصنفات المتخصصة في هذا الباب والتي صنفتها أصحابها بأسانيدهم، والتي ذكرناها سالفاً، وغيرها من المصنفات الإفرادية في الباب نفسه.

هذا بالنسبة للمصنفات التي تركها أصحابها مرتبة موضوعياً بأسانيدهم الخاصة، وكم نحتاج إلى جهد آخر في الفرز والجمع الموضوعي لأحاديث المسانيد، لنستخرج منها ما روى كل صحابي على حده في الموضوعات المختلفة، وليكون في ذلك تأسيس للدراسات الموضوعية العصرية بشكل عام.

- وباختصار؛ تعتبر ظاهرة التخصص في الرواية واحدة من المؤسسات المهمة لعلم الحديث الموضوعي الذي ظهر وتوسع بشكل متأخر.

٣. ظاهرة التخصص في الرواية وموضوع الشواهد والمتابعات:

عند النظر في تعريف الشاهد والمتابع نجد أن لظاهرة التخصص في الرواية التي نحن بصدد دراستها ما يتقاطع مع موضوع الشاهد والمتابع ويعين الباحثين في هذا الأمر على الوصول إلى الشواهد والمتابعات بشكل يسير، وذلك أننا حين ننظر في الكتب والمصنفات التي صنفها أصحابها في موضوعات مخصوصة وبأسانيدهم فإننا نجد فيها من المتابعات والشواهد ما يؤثر في الحكم على الأحاديث ونقلها من مرتبة الضعيف إلى الحسن أو الحسن لغيره على الأقل.

وصورة ذلك أن يروي تابعي كسعيد بن جبير رحمه الله حديثاً من طريق صحابين اثنين في باب من أبواب المغازي أو التفسير مثلاً، بحيث يشهد الحديث الأول للثاني فيقوي درجته، وهذا كثيراً ما نجده في المصنفات الإفرادية المسندة ذات الموضوعات المخصوصة.

وتبقى المصنفات المخصوصة بموضوعات محددة بالإضافة إلى الجوامع والسنن مصدراً أساسياً لكل باحث عن الشواهد والمتابعات لتعلق ذلك بالموضوع الواحد، فلا يُعقل أن يشهد حديث في موضوع الصلاة لآخر في موضوع الصيام مثلاً.

ومن أمثلة ذلك ما ذكر السخاوي رحمه الله في موضوع دبغ الجلد قال: حديث (لو أخذوا إهابها، فدبغوه فانتفعوا به) المروري عند مسلم والنسائي من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ: (مر بشاة مطروحة أعطيها مولاة ميمونة من الصدقة، فقال وذكره).

(لفظة: الدباغ) فيه (ما أتى بها عن عمرو من أصحابه) (إلا ابن عيينة) بالصرف للضرورة، فإنه انفرد بها ولم يتابع عليها.

وقد توبع (شيخه) عمرو (عن عطاء) في الدباغ، فأخرجه الدارقطني والبيهقي من طريق ابن وهب، عن أسامة بن زيد الليثي، عن عطاء، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ: قال لأهل شاة ماتت: (ألا نزعتم إهابها، فدبغتموه فانتفعتم به).

قال البيهقي : وهكذا رواه الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن عطاء ، وكذلك رواه يحيى بن سعيد عن ابن جريج عن عطاء ، فهذه متابعات لابن عيينة في شيخه (فاعترض) بها¹.

وهنا نلاحظ كيف شهدت رواية ابن عباس الثانية لروايته الأولى في الموضوع ذاته فاعتضدت كذلك بها.

يكمل السخاوي رحمه الله فيقول: " ثم وجدنا من رواية عبد الرحمن بن وعله عن ابن عباس مرفوعاً : أيما إهاب - بكسر الهمزة، أي: جلد دبغ - فقد طهر ، أخرجه مسلم، وأصحاب السنن ، ولفظ مسلم) : إذا دُبغ الإهاب ، فكان فيه لكونه بمعنى حديث ابن عيينة ، شاهدنا في الباب"².

٤. ظاهرة التخصص في الرواية، وجمعها لفوائد التصنيف، بطرق الجوامع والسنن، والمسانيد، والأجزاء الحديثية:

من المعلوم أن علماء الحديث ورواة السنة قد صنفوا وجمعوا الحديث النبوي الشريف بطرق مختلفة لعل أبرزها طريقة الجوامع والسنن والتي رتبها أصحابها على الموضوعات والأبواب الفقهية وغيرها، دون النظر في رواة هذه الموضوعات، كما أن من صنف بطريقة المسانيد قد اعتنى بجمع مرويات كل راو على حده فيقال مسند كذا من الصحابة دون النظر في موضوعات مرويات هؤلاء الرواة.

أما التصنيف بطريقة الأجزاء الحديثية فهو يجمع بين فكرة الجوامع والمسانيد بصورة يحكي فيها المصنّف مرويات صحابي أو راو بعينه في موضوع محدد ومثال ذلك: جزء القراءة خلف الإمام للإمام البخاري رحمه الله.

وتأتي ظاهرة التخصص في الرواية أو الرواية المخصوصة من الراوي الواحد لتؤكد وتعمق وتطور فكرة الأجزاء الحديثية من خلال متابعة مسانيد الصحابة أولاً وترتيبها

¹ السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، مرجع سابق، ج٢، ص٢٥٧.

² السابق، ج٢، ص٢٥٨.

بشكل موضوعي لاكتشاف ما عند هؤلاء الصحابة من ميول في الرواية وتأكيد ظاهرة التخصص لديهم مثلما تم التقديم في فصل سابق بجمع مرويات حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في باب الفتن، ومرويات أمهات المؤمنين في الشؤون الخاصة ببيت النبوة الشريف.

إننا بحاجة ماسة إلى خطوة مكتملة للجهد الذي بذله علماؤنا الأوائل ممن صنفوا بطريقة الجوامع والسنن أو بطريقة المسانيد، وذلك من خلال الجمع المتخصص الموضوعي لكل راو على حده.

ويظن الباحث أن في الجهود التي بذلها الدكتور بشار عواد معروف وآخرون من خلال تصنيفهم لكتاب المسند الجامع ما فيها من محاولة جادة للوصول إلى التصنيف المتخصص لكل راو على حده ففي المسند الجامع نجد لكل صحابي ما روى على حده مع ترتيب موضوعي متخصص لكل صحابي فيما روى، ففي الجزء السابع مثلاً نجد مرويات الصحابي الجليل سمرة بن جندب كلها وعددها (٨٥) رواية بلا مكرر، وقد تم ترتيب هذه الروايات بشكل متخصص موضوعي على النحو الآتي:

١. باب الصلاة عند سمرة رضي الله عنه.

٢. باب الجنائز عنده.

٣. باب الزكاة عنده.

٤. باب الصيام عنده.

٥. باب النكاح عنده.

٦. باب العتق عنده.

٧. باب المعاملات عنده.

٨. باب الفرائض عنده.

٩. باب الحدود والديات عنده.

١٠. باب الأقضية عنده.

¹ معروف، بشار عواد، وآخرون، المسند الجامع، مرجع سابق، ج٧، ص٩٨.

١١. باب الأظعمة عنده.

١٢. باب الأشربة عنده.

١٣. باب اللباس والزينة عنده.

١٤. باب الذبائح عنده.

١٥. باب الطب عنده.

١٦. باب الأدب عنده.

١٧. باب الرؤيا عنده.

١٨. باب القرآن عنده.

١٩. باب العلم عنده.

٢٠. باب الجهاد عنده.

٢١. باب المناقب عنده.

٢٢. باب الزهد عنده.

٢٣. باب الفتن عنده.

٢٤. باب القيامة والجنة والنار عنده.

ولدى النظر في هذه الأبواب كلها يمكننا أن نكتشف ظاهرة التخصص في الرواية لدى هذا الصحابي الجليل فهو في الغالب يروي في معظم الموضوعات، ولكننا بتعداد ما روى في كل باب قد نجد التخصص الغالب في الرواية عند هذا الصحابي الجليل وذلك بالنظر في الباب الذي جمع فيه معظم رواياته.

وعلى كل حال فإنه قد ترجح لدى الباحث ما لظاهرة التخصص في الرواية والكشف عنها والاعتناء بها من أهمية في إضافة نقلة نوعية على الطرق المعتمدة لتصنيف وتدوين السنة النبوية الشريفة.

● ثانياً: الثمرات التي تركتها ظاهرة التخصص في الرواية على العلوم الفقهية:

يشكل الحديث الشريف المادة الأساسية بعد القرآن الكريم لاستنباط الأحكام الشرعية، وبعد التصنيف المتخصص للروايات الحديثية مادة ميسرة للأبحاث الفقهية المختلفة، وليس أدل على ذلك من فكرة السنن والجوامع والتي عالج فيها الرواة الموضوعات الفقهية بشكل جمعوا فيه الأبواب الفقهية ذات العناوين المتقاربة تحت كتب مخصوصة وإن لم تكن لكل راو بشكل مخصوص، ثم جاءت فكرة المصنفات المخصصة لرواة بأعينهم تحت أبواب فقهية أو ما عرف بأبواب الأحكام كل ذلك مما ساعد في التيسير على الباحث الفقيه دراسته للمسائل الفقهية بشكل دقيق.

ولقد قام الباحث ببيان جملة من المصنفات الحديثية التي تناولت الأحكام الفقهية من خلال فصل سابق.

ويعتقد الباحث أن من أكثر ما يفيد الفقيه لدى دراسته لكتب الأحكام الحديثية؛ متابعة ما إذا كان هنالك ناسخ أو منسوخ في المرويات، وعلم الناسخ والمنسوخ إنما يبنى في الغالب على الروايات الحديثية، فلعل في النظر إلى الكتب الحديثية المتخصصة بالأحكام عن رواة مخصوصين ما يفيد في هذا الأمر الصعب وفك لغزه وبيانه.

يقول ابن الصلاح في النوع الرابع والثلاثين: (معرفة ناسخ الحديث ومنسوخه): "هذا فنٌ مهمٌ مستصعب، رويانا عن الزهري رضي الله عنه أنه قال: أعيى الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنسوخه، وكان للشافعي رضي الله عنه فيه يد طولى وسابقة أولى، رويانا عن محمد بن مسلم بن وارة أحد أئمة الحديث أن أحمد بن حنبل قال له وقد قدم من مصر: كتبت كتب الشافعي؟،

فقال: لا، قال: فرطت، ما علمنا المُجمل من المفسّر ولا ناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنسوخه حتى جالسنا الشافعي"¹.

ومن الكتب المصنفة في ناسخ الحديث ومنسوخه كتاب: الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار، للإمام أبي بكر محمد بن موسى الحازمي رحمه الله.

وإن من أعظم فوائد الرواية المتخصصة أو المصنفات المخصصة في الأبواب الفقهية لرواة مخصوصين أنه يتيح لنا معرفة الرأي الفقهي الذي يتبناه رواتها ومصنفوها بشكل واضح ومحدد وصريح، وذلك بمجرد مطالعة هذه الكتب الحديثية الفقهية، ومثال ذلك:

من خلال مطالعة كتاب القراءة خلف الإمام تعرفنا على مذهب مصنفه (الإمام البخاري) في هذه المسألة وأنه يوجب قراءة المأموم خلف الإمام خصوصاً في الصلاة السرية.

وما الكتب المتأخرة والتي قام مصنفوها ببناء فقههم على المرويات النبوية كمثل كتاب (بلوغ المرام من أدلة الأحكام) لابن حجر العسقلاني، وكتاب (أحكام المساجد) للألباني، وكتاب (فقه الدليل) لعائض القرني وغيرها إلا ثمرة من ثمار التصنيف الحديثي المتخصص.

¹ الشهرزوري، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، علوم الحديث، مرجع سابق، ص ٢٧٧.

● ثالثاً: الثمرات التي تركتها ظاهرة التخصص في الرواية، في العلوم الإنسانية:

مثلما تركت ظاهرة التخصص في الرواية أثرها وآتت أكلها بالنسبة للعلوم الفقهية كان أيضاً للعلوم الإنسانية نصيب من حيث الأثر الذي تركته الروايات المخصصة والمصنفات المخصصة فيها.

فعلى سعيد ما تم جمعه من مرويات لأمهات المؤمنين تحكي خصوصيات البيت النبوي وما فيه من الجوانب النفسية والاجتماعية والإنسانية فإننا نحصل إثناء مكتبة العلوم الإنسانية وقد حصل.

فبالنظر إلى الكتب التربوية المؤصلة تأصيلاً شرعياً فإننا نجد أنها كلها أخذت من الحديث النبوي الشريف منهاجها وأدلتها، ولعل الناظر في كتاب منهج التربية النبوية لنور الدين سويد وما فيه من أدلة أخذها صاحبها غالباً من البيت النبوي بل وعلى السنة أمهات المؤمنين ليجد كم نحن بحاجة إلى هذا النوع من المصنفات والدراسات، وجدير أن نذكر بأنه ختم الجزء الأول من كتابه هذا بفصل هو: (الأربعون النبوية إلى الآباء)¹، ومثل ذلك الدراسة التي قدمها الدكتور عبد الله الزهراني والتي هي بعنوان: (المرويات الواردة في أحكام الصبيان في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن الدارمي جمع وتخريج)²، وقد جمع فيها (٦٣٠) حديثاً شريفاً بين صحيح وحسن وضعيف، وإن كانت تحتاج منا إلى جهد لفرز مرويات كل صحابي على حده ليتبين لنا من خلالها من هو أكثر الصحابة تخصصاً في المرويات التي تحكي أحكام الصبيان عموماً.

وفي جولة سريعة لما تمحضت عنه دراستنا لمرويات الصحابة المتخصصة فإن الباحث أيضاً قام بدراسة لمرويات حذيفة رضي الله عنه في باب الفتن وموضوع الفتن ليس موضوعاً عقائدياً أو فقهياً صرفاً بقدر ما هو موضوع اجتماعي إنساني

¹ وانظر: سويد، محمد بن نور الدين، منهج التربية النبوية للطفل، دار ابن كثير، ط ١، ١٩٩٨م.
² وانظر: الزهراني، عبد الله، المرويات الواردة في أحكام الصبيان في الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد وسنن الدارمي جمع وتخريج، ط دار الكتاب العربي، ط ٢، ٢٠١١م.

نفسى كذلك، وقد بحث الكثيرون فى تحليل مرويات الفتن وأثرها على النفس البشرية لاسيما تلك التى رواها حذيفة رضى الله عنه لاعتبار تخصصه فى هذا الباب.

أما مرويات أمهات المؤمنى فىما يتعلق بخصوصيات البيت النبوى فقد تناول الباحث فىها العناوين الإنسانية والاجتماعية التالية، ودلل عليها بما يؤكد تخصص أمهات المؤمنى بهذا المجال وهذا العناوين هى:

- إذنه ﷺ باللهو المباح لأهله.
- معالجة النبى ﷺ لغيره بعض نساءه.
- الرفق والعدل النبوى بين أمهات المؤمنى.
- وصف غضب أو انفعال النبى ﷺ فى بيته.
- وصف عميق حب النبى ﷺ لأمهات المؤمنى.
- وصف مشهد إدارة الأزمات فى البيت النبوى الشريف.

وكلها عناوين إنسانية تتناول الجانب الاجتماعى والنفسى للبيت النبوى وتشكل بما تحتها من روايات جاءت على أسنة أمهات المؤمنى ثروة عليمه فى العلوم الاجتماعية والإنسانية.

ومما يجدر الإشارة إليه بين يدي حديثنا عن ثمرات التخصص فى الرواية وانعكاس ذلك على الدراسات الإنسانية أن نؤكد على أن تخصص الرواة فى الرواية ضمن موضوعات مخصوصة مظنة تأثرهم بما رروا وانطباعهم بما صنفوا وهذه مسألة لها ارتباطها بالدراسات الاجتماعية والنفسية البشرية وقد أشار الباحث عند حديثه فى المصنفات التى تناول أصحابها موضوع الزهد والجهاد تحديداً ما لهذين الموضوعين على رواتهما، وهذا أيضاً ما يؤكد انسجام الراوى مع ما روى وأنه كان يتعاطى مع الروايات بشكل نفسى واجتماعى مثلما كان يتعاطى معه بشكل علمى ومعرفى.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن المصنفات التى رواها أصحابها بأسانيدهم فى موضوع الأدب عموماً مما ينضوي تحت أبواب العلوم الإنسانية التى نحن بصدده الحديث عنها هنا، وهذا ما يؤكد دور المصنفات الإفرادية المسندة فى إثراء مكتبة العلوم الإنسانية.

ففي أبواب كتاب الأدب المفرد للإمام البخاري رحمه الله مثلا نجد العناوين الآتية والتي هي من صلب العلاقات والعلوم والمعارف الإنسانية:

- باب قيام الرجل للرجل تعظيماً.
- باب فضل الزيارة.
- باب الرفق.
- باب رحمة العيال.
- باب الحياء.
- باب إفشاء السلام.

وقبل أن نطوي صفحة الحديث عن أثر الروايات المخصصة على العلوم الإنسانية فإن الباحث يريد أن يقف على مقدمة تحقيق كتاب (مدارة الناس) لابن أبي الدنيا، وفيه تعليق صريح من محقق الكتاب الأستاذ محمد خير رمضان يوسف يربط فيه بين موضوع الكتاب (مدارة الناس) وبين العلوم الإنسانية والاجتماعية ويثبت من خلال تقديمه للكتاب دور علمائنا الأوائل السابق في علم الاجتماع، وكل ذلك كثمرة من ثمار الرواية المخصصة في الموضوعات المحددة.

يقول محمد خير رمضان يوسف في مقدمة تحقيقه لكتاب (مدارة الناس) لابن أبي الدنيا:

" هذا كتاب في العلاقات العامة والعلاقات الإنسانية، والمهارات الاجتماعية في الإسلام.

أصول فيها، وإرشادات إليها، وركائز، وبيان أساليب، وتوجيه إسلامي لكيفية التعامل مع فئات المجتمع المختلفة، وآداب وأخلاق وسلوك"¹.

¹ ابن أبي الدنيا، أبو بكر بن عبد الله بن محمد، مداراة الناس، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط ١، ط ١٩٩٨م، ص ٧.

ثم يتابع المحقق محمد خير يوسف كلامه في مقدمة التحقيق مؤكداً على دور ابن أبي الدنيا البارز والمتقدم في علم العلاقات العامة فيقول:

" والحافظ ابن أبي الدنيا هو أول من كتب في العلاقات العامة في التاريخ بأصولها العامة المذكورة في هذا الكتاب في القرن الثالث الهجري.

فهو الرائد في هذا المجال وهو أبو الفكرة فيها وهو مبدع تصنيفها وهو ابن بجدتها، وليس (ايقي لي) الذي ذُكر أنه أبو العلاقات العامة، والرائد فيها، والذي برز نشاطه في هذا المجال في أول القرن العشرين الميلادي.

ولا (ادوارد بيرنيز) الذي عُد أول من قام بتدريس العلاقات العامة في جامعة نيويورك في العقد الثاني من القرن العشرين.

فقد أملى ابن أبي الدنيا كتابه هذا على جموع من العلماء وطلبة العلم منذ العصر العباسي الثاني¹.

ويتناول المحقق محمد خير بمزيد من الاستفاضة إبداعات ابن أبي الدنيا في علم النفس وعلم الاجتماع من خلال رواياته المخصوصة عن النبي ﷺ بما هو الأقرب إلى هذه الأبواب من العلوم الإنسانية فيقول:

" وليس إبداعه كامناً في هذا الكتاب فقط، بل هو صاحب أوليات متعددة في أفراد علوم مختلفة بالتصنيف قبل علماء عديدين.

ولن أوفي هذا الكتاب حقه من الدراسة لكنني أقرب مفهوم هذا التخصص الحديث لما ورد في هذا الكتاب والعكس، ليعلم القارئ أن كنوز العلم الحقيقية والسليمة مخزنة في أصولنا التشريعية ومناهجنا الإسلامية التي سطرها علماؤنا العاملون المخلصون وأن ما نقوله هنا ليس ادعاءً.

¹ السابق، ص ٨.

كما أن هذا ردُّ وتقويم للسلوك غير العلمي الذي ينتهجه أصحاب التخصص من المسلمين المتشبعين من موائد الغرب العلمية الهزيلين بالعلوم الشرعية الأساسية، فإذا ظفروا ببعض الأحكام العامة خلطوا الصالح بالطالح وجروا النصوص إلى أقوال ومبادئ غريبة مبنية على أسس علمانية، مثلما كُتب في الإعلام الاسلامي وعلم الاجتماع الاسلامي وعلم النفس الاسلامي حيث جعلت الآيات والأحاديث في فصول ونُقلت فصول أخرى من كتب الغربيين، وطرز الغلاف بعنوان إسلامي فكان علماً فجاً وترقيعاً ظاهراً.....وأخيراً أدعوا الله أن يكون هذا الكتاب فتحاً لأهل التخصص فينهلوا من معينه...¹.

¹ السابق، ص ٨.

● رابعاً: الثمرات العامة التي تركتها ظاهرة التخصص في الرواية:

هنالك ثمار عامة تركتها ظاهرة التخصص في الرواية بشكل عام ومن ذلك:

١. تحصيل الفهم الشمولي لمقاصد التشريع من خلال متابعة الأحاديث المتخصصة في الباب الواحد:

فبالنظر إلى أبواب الموضوع الواحد مما روى الراوي الواحد تحديداً يمكننا تكوين صورة متكاملة عن الراوي والمروي مما يتيح لنا تقديم كل ما من شأنه أن يقرب الفهم الشمولي لمقاصد التشريع، لخدمة أغراض الوعظ والإرشاد أو التربية والتزكية أو البحث العلمي، أو غيرها من الأمور، وهذا كله مما يؤكد العلاقة بين الراوي والمروي ومن بعدهم ممن حمل عنهم هذا العلم الكريم.

فمثلاً لو أننا رجعنا إلى كتاب الزهد الذي صنفه الإمام عبد الله بن المبارك، فإننا نملك إعادة تبويبه بما يخدم تقديمه للناس بشكل عصري ونافع؛ نحقق من خلاله الفهم المتكامل لمسألة الزهد في هذه الدنيا، وما تحتاجه من دعم وترشيد، وما يدور حولها من إشكالات.

كل ذلك ضمن القراءة الكلية لا الجزئية لهذا الموضوع، مع استثناء الأحاديث الضعيفة، والموضوعة الدخيلة، وإرجاء أفهام الرواة والمصنفين التي كانت أحياناً تضاف إلى هذه المصنفات، بحيث يتم إرجاء هذا كله إلى ما بعد تنقية وجمع ما صحَّ من حديث النبي ﷺ أولاً، ليصار إلى الاستفادة منها بالقدر المناسب بعد ذلك.

ومن أمثلة ذلك أننا بالعودة إلى كتاب الزهد لأحمد بن حنبل رحمه الله مثلاً، فإننا نجد أنه يجيب من خلال تتبعه للروايات النبوية على أسئلة كثيرة تجمع موضوع الزهد عبر أبواب الكتاب الكثيرة، فمن الأسئلة التي نجد أن الكتاب قد أجاب عليها، ما الزهد؟، ولماذا الزهد؟، ومتى وأين يكون الزهد؟، ومن هو الزاهد؟، وكم يكلف الزهد صاحبه؟، وكيف يكون الزهد؟ وغيرها من الأسئلة الجامعة، كل ذلك بصورة تجعل موضوع الزهد مشمولاً في المصنفات التي تناولها رواه رحمهم الله.

٢. الإعانة على حفظ واستيعاب المتون النبوية بتكرار قراءتها:

ذلك أن كثيراً من الرواة كان يحرص على جمع طرقه وأسانيده للحديث (المتن) الواحد، حتى يثبت إسناده، أو لبيان علو هذا الإسناد، أو لإظهار تعدد طرقه، وبالتالي فإننا من خلال هذه المصنفات المتخصصة وإن كنا نتابع هذه الروايات ذات الطرق المتعددة لأغراض حديثة إلا أننا نفيد منها أيضاً من حيث تكرار قراءتها، فبالنظر المتكرر في أحاديث الموضوع الواحد للراوي الواحد ما يعين على حفظها مع عدم تشتيت النظر في العديد من الرواة، أو في العديد من الموضوعات المفتوحة، ومعلوم أن الأمر إذا تكرر فإنه يُحفظ ويتقرر.

ومن أمثلة ذلك، أننا لو نظرنا مثلاً في أحاديث كتاب الجهاد للإمام عبد الله بن المبارك مثلاً، فإننا نجد أنها تنتمي كلها إلى موضوع الجهاد تحديداً، ولاشك أنه بجمعه لأحاديث هذا الكتاب يكرر أحياناً الحديث نفسه لاحتمال ورود معان عديدة شملها هذا الحديث، وإن لم يكن التكرار للحديث بمتنه فإنه لاشك يكرر المضمون الذي تناول الموضوع ذاته، مما يجعل الحفظ بتكرار النظر أسهل لأحاديث كتاب الجهاد هنا من لو أن أحاديث الجهاد بقيت موزعة في المسانيد وغيرها من الكتب الحديثية.

• خلاصة هذا الفصل:

تبين للباحث هنا أنه لا اعتبار لتخصص الرواة في الرواية ضمن موضوعات مخصوصة بمسألة صحة ما يروون أو ضعف ذلك، هذا على العموم وإن كان لاشتهار الراوي بالرواية في موضوعات مخصوصة كبير الأثر في تقديم روايته على غيرها.

ومعلوم أنه كان الهدف العام هو الجمع تحت الموضوع الواحد دون النظر في صحة ما يروي الراوي أو عدم ذلك لا سيما وقد أسند في الرواية، وطالما أنهم كانوا يُسندون إذاً فقد أُخِلوا ذمتهم بالنسبة لمسألة الصحة والضعف فيما بعد ذلك.

إلا أن الباحث يؤكد على أنه ينبغي الإفادة من المصنفات التي على الموضوعات من جهة سهولة تحصيل الشواهد والمتابعات، لا سيما من مرويات الراوي نفسه، وهذا بالتالي ما يؤثر لاحقاً على عملية التصحيح والتضعيف للروايات، ويفيد في ضبط ذلك وإحكامه، وكل ذلك إنما يصب في خدمة توثيق الروايات وتوثيق العلاقة بين الراوي والمروي .

كما تبين للباحث ما للرواية المتخصصة من تأثير إيجابي على مختلف العلوم حيث تعمق هذه الروايات النظرة إلى الموضوعات التي تحتها، وتوفر فرصة أكبر للإفادة منها وتؤكد على أهمية التأصيل الشرعي لمختلف العلوم المعتادة والمستجدة، لا سيما إن كان هنالك نشاط متقدم لدى الباحثين في مواكبة حاجات العصر ومتابعة الروايات التي تغطيها.

- الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الأمين ﷺ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان الى يوم الدين وبعد:

فقد عاش الباحث في رسالته هذه والموسومة ب(العلاقة بين الراوي والمروي من جهة اختصاص بعض الرواة في موضوعات مخصوصة)، شهوراً مانتعاً قضاها مطوّفاً أرجاء مرويات النبي ﷺ وما فيها من فوائد ودروس، كما عاش مطوّفاً أفياء الرواة الذين حملوا حديث النبي ﷺ في القلوب والسطور وجعلوا احترامه فوق الرؤوس.

ليصل الباحث في نهاية المطاف إلى التأكد من حقيقة العلاقة بين الراوي والمروي؛ فالراوي قريب من صاحب الرواية الأعظم سيدنا محمد ﷺ لحظة الرواية، وهو الحامل لها والمؤدي لها، وهو المستعمل لها في شؤونها كلها، وهو الذي يحسن استدعاءها في كل وقت وحين.

لقد كان للعيش في كتب التراجم والسير، وملتابعة المسانيد والأجزاء الحديثية، وملاحقة أسباب ورود الحديث، ولمعاينة دواعي إخراجها؛ أكبر الأثر في نفس الباحث بما يعزز في نفسه مصلحة إثبات هذه العلاقة وهذا الانسجام بين الرواة وما رَوَوْا من خيرٍ عن خير الوري سيدنا محمد ﷺ.

وكان من أهم ما توصل إليه الباحث بعد الدراسة التأكيد على ما يأتي:

١. وجود ظاهرة التخصص في الرواية لدى الرواة من عهد الصحابة الكرام والتابعين رحمهم الله فمن بعدهم، حيث تم استخراج بعض التخصصات التي كان الصحابة رضي الله عنه يركزون عليها من مثل تركيز أمهات المؤمنين على الرواية لأحاديث تخص البيت النبوي، وغير ذلك من التخصصات التي تم استخراجها بتتبع الجمع لمرويات الصحابة والتابعين..

٢. تم التأكيد على ظاهرة التخصص هذه من خلال تتبع الباحث للمصنفات المتخصصة في الرواية لموضوعات مخصوصة..

٣. بيان ما لظاهرة التخصص في الرواية من أهمية في العلوم الانسانية.

٤. بيان ما لظاهرة التخصص في الرواية من علاقة بمسألة توثيق المرويات الحديثية عموماً.

ولا ينسى الباحث أن يكرر شكره لمن كان داعماً وراعياً لمسيرته البحثية، ويخصُّ بالذكر فضيلة الدكتور محمود نادي عبيدات المشرف على الرسالة، وسائر الأساتذة المناقشين.

• التوصيات الختامية:

يوصي الباحث بأمر منها:

١. أن تتشكل اللجان وفرق العمل لتعميق دراسة الرواة من الصحابة وأثر الرواية على كل منهم من النواحي العلمية والاجتماعية والفكرية، وحتى من ناحية الحياة السياسية والاقتصادية وغير ذلك.
٢. أن يتم تعزيز وتعميق دراسة الأثر الحقيقي الذي تركته الروايات على رواتها.
٣. أن يتم متابعة البحث في ظاهرة التخصص لدى الرواة المكثرين والمقلين للرواية واكتشاف ميولات الصحابة واتجاهاتهم في الرواية.
٤. أن يتم تعميق البحث في أسباب المرويات ودواعيها لدى الرواة من الصحابة ومن بعدهم.
٥. أن يتم إعادة تبويب المعاجم والمسانيد بحسب الموضوعات الفقهية المتخصصة لا سيما الأبواب ذات الموضوعات سيما العصرية منها، مع

المحافظة على مسانيد رواة الأحاديث فيها، لتنفيذ من ذلك في دراسة أعمق حول العلاقة بين الراوي والمروي.

٦. أن يتم متابعة ظاهرة التخصص لدى التابعين وأتباعهم واكتشاف صور التخصص لديهم وعلاقة ذلك بالمراحل التاريخية التي عاشها هؤلاء الرواة.

٧. أن يتم تجسير العلاقة بين علم الحديث الموضوعي وظاهرة التخصص في الرواية بشكل يخدم التأصيل الشرعي للموضوعات العصرية.

الفهارس:

- فهرس الآيات
- فهرس الأحاديث
- فهرس الأعلام المترجم لهم في الرسالة.
- فهرس المراجع والمصادر
- فهرس الموضوعات

--	--	--

٤٢	"إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" (البقرة: ١٥٩-١٦٠).	١.
١٩٧	"كُنِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (البقرة: ٢١٦)	٢.
١٩٦	"أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ" (آل عمران: ١٤٢).	٣.
١٩١	" فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا" (النساء: ٤١)	٤.
١٩٩	" وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا" (النساء: ٧٥).	٥.
٦١	"ثَانِيِ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا" (التوبة: ٤٠)	٦.
١٥٠	"وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا" (الكهف: ٥٤) ^١	٧.
١٧٣	" فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (الأنبياء: ٧)	٨.
٤٧	"وَاذْكُرْ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا" (الأحزاب: ٣٤)	٩.
١٨٧	" وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ" (الحشر: ٧)	١٠.
١٩٩	" مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ" (الجمعة: ٥)	١١.

فهرس الأحاديث

الصفحة	الحديث	ت
٣٠	أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعلي في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة	
٧٨	أتيت رسول الله ﷺ فعلمني الإسلام	
٦٥	اجتمعن أزواج النبي ﷺ فأرسلن فاطمة إلى النبي ﷺ فقلن لها قولي له إن نساءك ينشدنك العدل في ابنة أبي قحافة	
٨٩	أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه	
٨٢	إذا رميت بسهمك فغاب عنك	
٣٠	"أربع سمعتهن من أبي سعيد يحدث بهن عن رسول الله ﷺ، فأعجبني وأنقني	
٥١	أرحم أمي بأمي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأقروهم لكتاب الله أبي بن كعب، وأفرضهم زيد بن ثابت	
٦٧	استيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فزعاً يقول: سبحان الله ماذا أنزل الله من الخزائن وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات؟ يريد أزواجه لكي يصلين، رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة	
٦٠	أذنت لرسول الله صلى الله عليه وسلم غسله من الجنابة، فغسل كفيه مرتين أو ثلاثاً، ثم أدخل يده في الإناء، ثم أفرغ به على فرجه وغسله بشماله ثم ضرب بشماله الأرض فدلكتها دلكتاً شديداً	
٧٩	إذا رميت سهمك فاذكر اسم الله	
٦٩	أريتك في المنام مرتين	
٦٣	أعتقت وليدة ولم تستأذن النبي صلى الله عليه وسلم، فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه، قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي	
١٢٣	أغمي على عبد الله بن رواحة	
١٦٢	اقرأ علي قلت: اقرأ عليك	
١٠٢	أقرؤنا أبي وأقضاننا علي	
٨٦	اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام	
٥٥	ألا تحدثيني عن مرض رسول الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثقل النبي ﷺ فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماء في المِخْضَب، قالت: ففعلنا، فاغتسل،	
١١٦	ألا تشد فنشد معك	

١٥٨	ألا تصلون؟ فقلت: يا رسول الله! إنما أنفشنا عند الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا! فانصرف النبي ﷺ ولم يرجع إليّ شيئاً.
١٢٣	أن أباه استشهد يوم أحد
٨٥	أن الأمانة نزلت في جذور قلوب الرجال
٧١	إن جبريل كان واعدني
٩٨	إن شر الدواب عند الله
١٠٣	انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه
٨٣	إن لم تجدوا غيرها فاغسلوا واطبخ
١٨٣	إن من خيركم أحسنكم خلقاً
٥٠	إنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ: أَكْثَرُ أَبُو هَرِيرَةَ، وَلَوْلَا آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا
١٠٩	أن هلال بن أمية قذف امرأته
٨١	إنا بأرض صيد أصيد بقوسي؟
٨٢	إنا بأرض قوم من أهل الكتاب
٧٩	إنا قوم نتصيد بهذه الكلاب
٧٨	إنا نصيد الصيد
٨٦	إنما كان النفاق على عهد النبي ﷺ
١٦٣	إنما الناس كالإبل المائة، لا تجد فيها راحلة
٢٥	إني كنت امرأً مسكيناً أصحب رسول الله ﷺ على ملء بطني
٧٠	إني لأعلم إذا كنت عني راضية وإذا كنت علي غضبي، قالت فقلت: من أين تعلم ذلك
١٥٨	أي العمل أحب إلى الله
٢٧	أَيُّقَبَّلُ الصَّائِمُ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: سَلْ هَذِهِ لَأْمَ سَلِمَةَ
١١٠	بات رسول الله ﷺ عند ميمونة
١٨٣	بئس أخو العشيرة
٦٣	بئسما عدلتمونا بالكلب والحمار، قد رأيت رسول الله ﷺ يصلي وأنا معترضة بين يديه، فإذا أراد أن يسجد غمز يعني.
٢٨	بايعتُ النبي ﷺ ثم عدلتُ إلى ظلِّ الشجرة، فلما خَفَّ الناس قال ﷺ: يا ابن الأكوع، ألا تبايع؟ قال: قلت: قد بايعتُ يا رسول الله بالسواك.
١٢٠	بعث النبي ﷺ سرية عينا
٥٩	بيننا أنا مع النبي صلى الله عليه وسلم مضطجعة في خميصة إذ حضتُ فأنسلتُ فأخذتُ ثياب حياضتي قال: أنفستِ؟ قلت: نعم، فدعاني فاضطجعت معه في الخميصة
٨٥	بيننا نحن جلوس عند عمر
٦٩	تزوجها وهي بنت ست سنين، وبنى بها وهي بنت تسع سنين

٨٥	تعرض الفتن على القلوب كالحصير
١٤٢و٤٥	جاء ناسٌ من أصحاب رسول الله ﷺ إلى النبي ﷺ، فسألوه: إننا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: وقد وجدتموه
٨٢	حرم رسول الله ﷺ لحوم الحمر الأهلية
٦٨	حلف ألا يدخل على بعض أهله شهرا
٧٢	حين قال لها أهل الإفك ما قالوا
١٧٣	خذوا القرآن من أربعة: من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - وسالم مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب
٦٧	خَرَجَ مِنْ عِنْدَهَا لَيْلًا قَالَتْ: فَغَرْتُ عَلَيْهِ فَجَاءَ فَرَأَى مَا أَصْنَعُ فَقَالَ: مَا لَكَ يَا عَائِشَةُ أَعْرَتِ؟ فَقُلْتُ: وَمَا لِي لَا يَخَارُ مِثْلِي عَلَى مِثْلِكَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَقَدْ جَاءَكَ شَيْطَانُكَ؟ قَالَتْ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَوْ مَعِيَ شَيْطَانٌ
١١٦	خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع
١٠٢	خطب رسول الله ﷺ فقال أيها الناس إنكم محشورون
٨٦	الذجال أعور العين اليسرى
٦٦	دخل علي رسول الله ﷺ في اليوم الذي بدئ فيه فقلتُ وا رأساه، فقال: وددتُ أن ذلك كان وأنا حيٌّ فهيأتكِ ودفنتكِ.
١٧٥	دخلت على أبي بكر فقال في كم كفتتم النبي ﷺ
٦٩	دخل علي النبي ﷺ بأسير
٦١	دعهنَّ، فإن لكل قوم عيداً
١٧١	الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
٦٣	رأى في بيتها جارية في وجهها سفعة فقال: استرقوا لها فإن بها النظرة
٧٠	رأيتك يا رسول الله وأنت قائم تكلم دحية الكلبي، فقال: وقد رأيتَه؟ قالت: نعم، قال: فإنه جبريل وهو يقرئك السلام، قالت: وعليه السلام
٢٧	رباطُ يومٍ في سبيلِ الله أفضلُ - وربما قال خيرٌ - من صيامِ شَهْرٍ وقيامه، ومن مات فيه وُقِيَ فتنة القبر، ومُيَّ له عمله.
١٦٣	الرجل يعمل لله يحبه الناس
٩٨	رجل من قريش له زمة
٦١	سابقني النبي ﷺ فسبقته، فلبثنا، حتى إذا رهقني اللحم سابقني، فسابقني، فقال: هذه بتيك"
٧٩	سألت رسول الله ﷺ عن الصيد أصيده
٧٨	سألت رسول الله ﷺ عن صيد المعراض
٦٤	سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني ناس من عبد القيس فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان

٩٨	سألت مجاهدا عن سجدة في (ص)	
١٢٠	شهدنا خيبر	
١٧٦	شبهتمونا بالحمير والكلاب	
٢٨	"صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل	
٨٩	الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أي رب منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه	
٤٣	"صَحَّيْنَا مع رسول الله ﷺ أضحية ذات يوم، فإذا أناسٌ قد ذبحوا ضحاياهم قبل الصلاة، فلما انصرف رأهم النبي ﷺ	
٩٣	ضمني رسول الله ﷺ إلى صدره	
١٣٤	غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها، ولَقَابُ قوس أو قيد أحدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ولو أن امرأة من	
١٢١	غزا غزوة الفتح في رمضان	
١٧١	فلرب كاسية في الدنيا	
٨٧	في أصحابي اثنا عشر منافقا	
٦٥	قام النبي ﷺ من فراشه في بعض الليل فظننت أنه يريد بعض نسائه فتبعته حتى قام على المقابر فقال: السلام عليكم	
١٠٣	قدم النبي ﷺ المدينة	
١٥٤	قسمت الصلاة بيني وبين عبدي	
٢٥	كان إذا اغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه، ثم يتوضأ كما يتوضأ للصلاة، ثم يُدخل أصابعه في الماء فيُخلل بها أصول شعره	
٦٩	كانت ترجل رسول الله ﷺ	
٦٨	كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج سافراً أقرع بين نسائه فأيتهاً خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي	
٦٢	كان رسول الله ﷺ في حجرتي يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة كيف يلعبون،	
٢٦	كان رسول الله ﷺ مُعْتَكِفاً، فأتيته أزوره ليلاً، فحدّثته ثم قمّت فانقلبتُ، فقام معي لي قلبي.	
٥٩	كان رسول الله ﷺ يُبَاشِر نساءه فوق الإزار وهُنَّ حِيضٌ	
٦٠	كان رسول الله ﷺ يبشرنى وهو صائم، وكان أملككم لإربه"	
٤٥	"كان رسول الله ﷺ يُصلي من الليل تسعاً، فلما أسنَّ وثقل صلى سبعا"	
٥٩	كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضطجع معي وأنا حائض وبينني وبينه ثوب	

٦٣	كان رسول الله ﷺ يصلي وأنا حذاءه وأنا حائض وربما أصابني ثوبه إذا سجد، قالت: وكان يصلي على الخُمرة	
٧١	كان عندها وفي البيت مخنث	
٩٨	كان في بني إسرائيل القصاص	
٨٤ و ٤٧	كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجهنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر قال نعم	
٦٠	" كان يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن "	
٤١	كان يصلي على راحلته في السفر حيثما توجهتُ به، وذكر أن النبي ﷺ كان يصنع ذلك في السفر "	
٦٠	كان يقبلها وهو صائم	
٤١	كان يلبس خاتماً من ذهب، ثم قام رسول الله ﷺ فنبذه	
٦٦	كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلاً، فتواصيتُ أنا وحفصة أن أيتنا ما دخل عليها النبي ﷺ فلتقل: إني أجد منك	
٢٨	كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة	
٤٤	"كنا بصفين ، فقال رجل : ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله، فقال عليٌّ: نعم، فقال سهل بن حنيف: اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا	
٧٠ و ٥٤	كنتُ أشربُ وأنا حائضُ، ثم أناولهُ النبيُّ ﷺ، فيضعُ فاهُ على موضعِ في، فيشربُ، وأنعرقُ العرقُ وأنا حائضُ	
٥٩ و ٥٣	"كنتُ أغتسلُ أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد وهو بينهما"	
٦٢	كنتُ أَلعبُ بالبنات ويجيء صواحي فيلعبن معي، فإذا رأين رسول الله ﷺ تعمقن منه، وكان رسول الله ﷺ يدخلهن عليَّ	
٥٤	كنتُ أنامُ بين يدي رسول الله ﷺ ورجلاي في قبلته، فإذا سجد غمزني، فقبضتُ رجليَّ	
١٧٤	كيف نسأل أحداً وفينا أزواج النبي ﷺ	
١٥٠	لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدَّ أحدهم ولا نصيفه	
٨٦	لأنا أعلم بما مع الدجال منه	
١٥٤	لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب	
٦٧	لا يحنو عليكن بعدي إلا الصابرون، سقى الله عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة	
٩٩	لتركبن طبقاً عن طبق	
٥٤	لقد توفي النبي ﷺ وما في ربيِّ من شيءٍ يأكله ذو كبدٍ، إلا شطر شعيرٍ في ربيِّ لي، فأكلتُ منه، حتى طال عليَّ، فكلتُه ففني	

٨٥	لقد خطبنا النبي ﷺ خطبة ما ترك فيها شيئاً
١١٦	لقيت يوم بدر عبيدة بن سعيد
٦٨	لما تزوج أم سلمة
٧٠	لما ثقل النبي ﷺ فاشتد وجعه
١١٦	لما كان يوم أحد هزم المشركون
١٠٩	لما نزلت إن يكن منكم عشرون صابرون
٦٤	لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في سبحته جالساً قط حتى كان قبل موته بعام أو بعامين فكان يصلي في سبحته جالساً ويقراً السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها
١٣٤	لولا أن أشق على أمتي، أو قال على الناس، لأحببت أن لا أتخلف عن سرية تخرج في سبيل الله، ولكن لا أجد ما أحملهم
١٤٢	لا حول ولا قوة إلا بالله
٩٠	ليس أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً عن رسول الله ﷺ مني،
٧٠	مات رسول الله ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي، فلا أكره شدة الموت لأحد أبداً بعد ما رأيت من رسول الله ﷺ
٢٦	ما أحب أن أصبح محرماً أنضح طيباً
٦٦	ما رأيت صانعة طعام مثل صافية أهدت إلى النبي ﷺ إناء فيه طعام، فما ملكت نفسي أن كسرتة، فقلت: يا رسول الله، ما كفارته؟ فقال: إناء كإناء، وطعام كطعام
٦٢	ما ضرب رسول الله ﷺ خادماً له قط، ولا امرأة له قط، ولا ضرب بيده إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء فانتقمه من صاحبه إلا أن تنتهك محارم الله عز وجل فينتقم لله عز وجل
١٦٥	ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط
٦٨	مروا أبا بكر يصلي بالناس، قالت عائشة: إن أبا بكر رجل أسيف فمتى يقوم مقامك تدركه الرقة، قال النبي ﷺ: إنكن صواحب
١٣٥	من احتبس فرسا في سبيل الله
١٧٤ و ٦١	من أدركه الفجر جنباً فلا يصم. فذكرت ذلك لعبد الرحمن بن الحارث لأبيه فأنكر ذلك، فانطلق عبد الرحمن، وانطلقت معه حتى دخلنا على عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما فسألتهما عبد الرحمن عن ذلك قال: فكلتاهما قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حُلْم ثم يصوم

٢٤	مَنَعَتْ الْعِرَاقَ دَرَهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتْ الشَّامَ مُدِّيَّهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرَ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا	
٦١	من هذا؟ قالت: أخي من الرضاعة، فقال النبي ﷺ انظروا من ترضعون، فإنما الرضاعة من المجاعة	
١٠٢	نزلت في عبد الله بن حذافة	
١٠٠	نزلت هذه الآية: ومن يقتل مؤمنا	
١٠٣	نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة	
١٧	نَصَرَ اللَّهُ امْرَأَةً سَمِعَتْ مَنًّا حَدِيثًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مَبْلُغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ	
٢٩	"نظرتُ إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحنُ في الغار، فقلتُ: يا رسول الله! لو أنَّ أحدهم نظرَ إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: يا أبا بكر! ما ظنُّك باثنين، الله ثالثهما	
٥٤	نعم ويتوضأ	
٨٢	نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع	
١٠٩	هي محكمة وليست بمنسوخة	
١٦٥	والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم؛ لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً	
١٣٥	والذي نفسُ محمدٍ بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ،	
١٠٩	وما جعلنا الرؤيا	
٦٦	يا رسول الله كل نساءك لها كنية غيري، قال: أنت أم عبد الله	
١٧٣	يا صاحبةَ الحُجْرَةِ أَتُنَكِّرينَ مِمَّا أَقُولُ شَيْئًا	
٨٩	يا عبد الله بن عمرو إنك لتصوم الدهر وتقوم الليل، وإنك إذا فعلت ذلك هجمتُ له العين، ونهكت، لا صام من صام	
١٧٦	يا عجباً لابن عمرو يأمر النساء	
٨٩	يا ليتني قبلتُ رخصةَ الرسول ﷺ	

١.	ابن أبي الدنيا، أبو بكر بن عبد الله بن محمد، مداراة الناس، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، ط١، ط١٩٩٨م.
٢.	ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، العلل ومعرفة الرجال، دار المعرفة، ط١، ١٤٠٥هـ
٣.	ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، مقدمة في أصول التفسير، ط٢، مكتبة التراث الإسلامي، مصر
٤.	ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، منهاج السنة، دار المعرفة، ط٢٠٠١م.
٥.	ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلیم، الصارم المسلول على شاتم الرسول، دار الهداية، ط١٩٨٧م.
٦.	ابن الجزري، محمد بن محمد الدمشقي، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي الضباع، المطبعة التجارية، ط٢٠٠٩م.
٧.	ابن الجوزي، أبو الفرج، عبد الرحمن، صفة الصفوة، تحقيق محمود فاخوري، دار المعرفة، ط ١٤٠٥
٨.	ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، مناقب الإمام أحمد، ط دار ابن خلدون، ط١، ١٩٨٩م
٩.	ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، الموضوعات دراسة وتحقيقا وترجمة، تحقيق محمود قيسية، ط مؤسسة النداء، ط٣، ٢٠٠٣م
١٠.	ابن حبان، أبو حاتم محمد، صحيح ابن حبان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٣م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط
١١.	ابن سعد، محمد بن سعد البغدادي، الطبقات، دار المعارف، ط ١٩٩٩م
١٢.	ابن سلام، أبو عبيد القاسم، فضائل القرآن، تحقيق وهبي غاوجي، دار الكتب العلمية، ط١٩٩١م.
١٣.	ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق مجموعة من الباحثين، نشر وزارة الأوقاف في المغرب، ١٩٩١م
١٤.	ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب، الفروسية، دار المعرفة، ط١
١٥.	ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تفسير القرآن العظيم، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م
١٦.	ابن كثير، إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار المعرفة، ط٧، ٢٠٠٢م
١٧.	ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، لسان العرب، ط دار إحياء التراث بيروت، ط١٩٩٥، ١م
١٨.	أبو زهو، محمد محمد، الحديث والمحدثون، ط دار الكتاب العربي، ١٩٨٤م
١٩.	أبو شهبة، محمد محمد، الوسيط في علوم ومصطلح الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة
٢٠.	الإدريسي، عبد الواحد إدريس، فقه الفتن، مكتبة دار المنهاج، ط ١٤٣١هـ.
٢١.	الأرنؤوط، شعيب، وآخرون، مقدمة مسند الإمام أحمد، ط مؤسسة الرسالة، ط١٩٩٩، ٢م
٢٢.	الأسعد، طارق أسعد، علم أسباب ورود الحديث، ط دار ابن حزم، ط١،

٢٠٠١م	
٢٣.	الأصفهاني، أحمد بن عبد الله، أبو نُعيم، حلية الأولياء، ط١، ط دار الكتب العلمية
٢٤.	الألباني، محمد ناصر الدين، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، مكتبة المعارف، الرياض، ٢٠٠٤م
٢٥.	الآمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر، الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ
٢٦.	الأندلسي، علي بن حزم، أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحدٍ من العدد، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١
٢٧.	البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٩م، تحقيق مجموعة باحثين.
٢٨.	البغدادي، الخطيب، أحمد بن علي بن ثابت، الكفاية في معرفة أصول الرواية، تحقيق إبراهيم الدمياطي، دار الهدى، مصر، ط١، ط٢٠٠٣م
٢٩.	البغدادي، الخطيب، أحمد بن علي، تاريخ بغداد، دار الغرب الإسلامي، تحقيق د. بشار عواد معروف، ط١، ٢٠٠١م
٣٠.	البغدادي، الخطيب، أحمد بن علي، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعرفة، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ
٣١.	الجديع، عبد الله، تحرير علوم الحديث، مؤسسة الريان، ط٣، ٢٠٠٧م
٣٢.	الحنبلي، ابن رجب، شرح علل الترمذي، تحقيق ودراسة د. همام عبد الرحيم سعيد، دار الرازي - عمان، ط٢، ٢٠٠١م
٣٣.	الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، الرحلة في طلب الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط١
٣٤.	الخطيب، محمد عجّاج، الوجيز في علوم الحديث، ط١، ٢٠٠١م، ط الشركة المتحدة للنشر
٣٥.	الخُفّش، د. فيصل عفيف، عائشة أم المؤمنين أفقه نساء الأمة على الإطلاق، دار عمار، عمان، ط٢٠١١م
٣٦.	الدمشقي، عبد الرحمن بن عمر أبو زرة، التاريخ، تحقيق شكر الله بن نعمة الله القوجاني، نشر مجمع اللغة العربية، دمشق
٣٧.	الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، معجم الشيوخ الكبير، تحقيق: الدكتور محمد الحبيب الهيلة / نشر مكتبة الصديق، ط الأولى، ١٩٨٨م
٣٨.	الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، تذكرة الحفاظ، تحقيق عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية، ط٢٠٠٨م
٣٩.	الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، سير أعلام النبلاء، تحقيق بشار عواد وآخرون، ط١، ط٢٠٠٢م، مؤسسة الرسالة.
٤٠.	الرامهرمزي، الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد، المحدث الفاصل بين الراوي والواعي، ط دار الفكر - بيروت، ط٣، ١٩٨٤م
٤١.	ريان، د. نزار عبد القادر، الدواعي العلمية لرواية الصحابة الأحاديث

النبوية، منشورات مجلة الجامعة الإسلامية في غزة، المجلد التاسع، العدد الأول، ط ١، ٢٠٠١م	
الزركشي، بدر الدين بن محمد، البحر المحيط، دار الكتبي، ط ١.	.٤٢
زين العابدين، محمد عصري، أسباب ورود الحديث ضوابط ومعايير، منشورات الجامعة الإسلامية بماليزيا، ط ١، ٢٠٠٥م	.٤٣
السباعي، مصطفى، السنة ومكانتها من التشريع، ط المكتب الإسلامي، ط ١، ١٩٩٨م	.٤٤
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، تخريج وشرح ألفاظ، صلاح عويضة، دار الكتب العلمية_بيروت، ١٩٩٦م	.٤٥
سزكين، فؤاد، تاريخ التراث العربي، ط ١، دار الكتب العلمية	.٤٦
سعيد، محمد رأفت، أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس، كتاب الأمة، العدد ٣٧	.٤٧
السيوطي جلال الدين، عبد الرحمن بن الكمال، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، ط دار الكتب العلمية بيروت، ط ١، ١٩٩٦م	.٤٨
الشافعي، محمد بن إدريس، الرسالة، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٩٤٠م	.٤٩
الشرمان، د. خالد محمد محمود، الحديث الموضوعي دراسة تأصيلية تطبيقية، دار الفرقان، عمان، ط ١، ٢٠٠٩م	.٥٠
الشهرزوري، أبو عمرو عثمان بن الصلاح، علوم الحديث، تحقيق نور الدين عتر، ط دار الفكر المعاصر، بيروت، ودار الفكر دمشق، ط ٣، ١٩٨٤م	.٥١
الشيباني، أحمد بن حنبل، المسند، ط مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٩٩٩م، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون.	.٥٢
الشيباني، أحمد بن حنبل، فضائل الصحابة، مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٣، تحقيق وصي الله عباس	.٥٣
الشيباني، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم، كتاب الزهد، تحقيق نبيل صلاح سليم، دار البصيرة، الإسكندرية، ط ٢٠٠٦م	.٥٤
الطريفي، عبد العزيز، أسانيد التفسير، مكتبة الرشد، ط ٢٠٠٩م.	.٥٥
عتر، د. نور الدين، منهج النقد في علوم الحديث، ط ١٩٩٢، ٣م، دار الفكر - دمشق	.٥٦
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، تقريب التهذيب، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٩٥م	.٥٧
العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ط دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٨٩م	.٥٨
العسقلاني، أحمد بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ط دار الكتب العلمية، ط ١، ١٩٩٥م	.٥٩
العكايلة، والصاحب، سلطان سند، ومحمد عيد محمود، أسباب تفوق الصحابة في ضبط الحديث، دار ابن الجوزي، ط ١، ٢٠١٠م.	.٦٠

٦١.	العلي، عبد المنعم صالح، تهذيب مدارج السالكين لابن القيم، دار الكتب العلمية، ط١.
٦٢.	العواجي، محمد بن محمد، مرويات الإمام الزهري في المغازي، دار الهداية، ط٢٠٠٤م.
٦٣.	الفوزان، عبد الله بن فوزان، مختلف الحديث عند الامام أحمد جمعاً ودراسة، دار المنهاج، ط١، ط١٤٢٨هـ.
٦٤.	الفيروزبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، ط مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٩٣م.
٦٥.	القاسمي، جمال الدين، قواعد التحديث في فنون مصطلح الحديث، ط دار الكتب العلمية، ١٩٩٨م.
٦٦.	قرداش، آمال، دور المرأة في خدمة الحديث الشريف في القرون الثلاثة الأولى، كتاب الأمة، العدد ٧٠، ط١، ١٤٢٠هـ منشورات وزارة الأوقاف القطرية
٦٧.	قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط دار الشروق، ١٩٩٨م، ط١٥
٦٨.	الكتاني، محمد بن جعفر، الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، ط دار البشائر الإسلامية، ط١٩٩٣م
٦٩.	الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى، الكليات، ط مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٩٣، ٢م.
٧٠.	اللكنوي، محمد عبد الحي، الأجوبة الفاضلة، دار الهداية، تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ط١.
٧١.	المروزي، نعيم بن حماد، كتاب الفتن، تحقيق أحمد سفيان، دار التوحيد، القاهرة، ط١٩٩١م
٧٢.	المروزي، نعيم بن حماد، كتاب الفتن، المكتبة التوفيقية، تحقيق أيمن محمد محمد.
٧٣.	مصطفى، إبراهيم، والزيات، أحمد، وعبد القادر، حامد، ومحمد النجار، المعجم الوسيط، تحقيق: مجمع اللغة العربية
٧٤.	المطيري، حاكم، المغازي والسير علماءها وطبقاتهم، كلية الشريعة، جامعة الكويت، ط٢٠٠٩، بحث محكم بمجلة قطاع أصول الدين جامعة الأزهر - القاهرة
٧٥.	المطيري، حاكم، أخبار المغازي والسير طبيعتها وحجيتها ومناهج الأمة في الاحتجاج بها، كلية الشريعة، جامعة الكويت، ط٢٠٠٩م.
٧٦.	معروف، بشار عواد وآخرون، المسند الجامع، ط دار الجيل بيروت والشركة المتحدة الكويت.
٧٧.	النسائي، أحمد بن شعيب، سنن النسائي، دار المعرفة، ط٢٠٠٢م، ط١.
٧٨.	النسائي، أحمد بن شعيب، عمل اليوم والليل، تحقيق فاروق حمادة، ط مؤسسة الرسالة، ط ١٩٨٥
٧٩.	النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم، معرفة علوم الحديث، ط دار المعرفة، ط١، ٢٠٠١م
٨٠.	النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، ط١، ٢٠٠١م

هرماس، عبد الرزاق إسماعيل، أضواء على تدوين التفسير، بحث في مجلة دعوة الحق المغربية، ط ٢٠١٢م.	.٨١
--	-----

• مراجع الكترونية:

١. الموسوعة الشاملة.
٢. المكتبة الوقفية.
٣. ملتقى أهل الحديث.
٤. المكتبة الإسلامية.
٥. الموسوعة الذهبية.

فهرس الموضوعات

رقم الصفحة	الموضوع	ت
٢	ملخص باللغة العربية	
٣	ملخص باللغة الانجليزية	
٥	المقدمة	
٧	مشكلة الدراسة	
٨	أهمية الدراسة	
٩	أهداف الدراسة	
١٠	الدراسات السابقة	
١١	تحديات الدراسة	
١١	منهجية الباحث في الدراسة	
١٢	حدود الدراسة	
١٣	الخطة	
١٧	التمهيد: المفاهيم الأساسية	
٤٩	الفصل الأول: اختصاص بعض الرواة من الصحابة بالرواية في موضوعات مخصوصة	
٥٣	المبحث الأول: اختصاص أمهات المؤمنين بالأحاديث التي تبرز الحياة الخاصة للرسول ﷺ.	
٧٧	المبحث الثاني: اختصاص عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه في أحاديث الصيد.	
٨١	المبحث الثالث: اختصاص أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه يف أحاديث الأظعمة والصيد.	
٨٤	المبحث الرابع: اختصاص حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في أحاديث الفتن.	
٩٢	الفصل الثاني: اختصاص بعض الرواة من التابعين بالرواية في موضوعات مخصوصة.	
٩٣	المبحث الأول: اختصاص بعض أصحاب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما برواية أحاديث التفسير عنه.	
١١٢	المبحث الثاني: اختصاص بعض التابعين بالرواية في موضوع المغازي والسير.	

١٢٦	الفصل الثالث: ظاهرة الاختصاص في الرواية وشيوعها في المصنفات الخاصة.	
١٣٠	المبحث الأول: مصنفات في موضوع الجهاد.	
١٣٦	المبحث الثاني: مصنفات في موضوع الفتن والملاحم.	
١٤٠	المبحث الثالث: مصنفات في موضوع الدعاء وعمل اليوم والليلة والذكر.	
١٤٣	المبحث الرابع: مصنفات في موضوع الإيمان والاعتقاد.	
١٤٧	المبحث الخامس: مصنفات في موضوع الفضائل.	
١٥٢	المبحث السادس: مصنفات في موضوع الأحكام.	
١٥٦	المبحث السابع: مصنفات في موضوع الأدب.	
١٥٩	المبحث الثامن: مصنفات في موضوع الزهد.	
١٦٨	الفصل الرابع: الثمرات العلمية التي تركتها الرواية في الموضوعات المخصصة.	
١٧٠	المبحث الأول: علاقة الرواية ضمن الموضوعات المخصصة بمسألة توثيق الروايات وتضعيفها.	
١٨١	المبحث الثاني: ثمرات الرواية ضمن الموضوعات المخصصة على العلوم المختلفة.	
٢٠٠	الخاتمة	
٢٠٢	الفهارس	